مؤامرة إبليس

رواية

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

تنبيه

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرروة عن رأي الناشر

خلف الجامع الأزهر بجوار مسجد عليش

01141212805 - 01111322668 – 01008584820

E-mail: elmarafa@hotmail.com

نصر سليمان

مؤامرة إبليس

رواية

مقدمة

أسوق في روايتي من الحقائق ماهو أقرب للخيال، والخيال الذي كاد يقترب من الواقع، تتأرجح أحداثها بين العقل واللاعقل، الطبيعة وماوراء الطبيعة، عالم الإنس وعوالم الجن والسحر الأسود، الفكر المحدود واللامتناهي، كلمات قد تبث الرعب في قلبك، وقد تدهشك، وربما لاتستهويك وتمر بها مرور الكرام، قد تغير فيك فكرة أو موقف أو تزعزع يقين أو تُثبت شك، قد تجد نفسك مستهدفاً بإحدى أو عدة شظايا من تلك المؤامرة الشيطانية؛ وعندها ربما ينتابك ألم اليأس وتقع في براثن إبليس فينال منك شر منال، أو قد تدير لها ظهرك وهنا تكون الومضة المضيئة في صدرك قد عُتمت وخلد ضميرك في سُبات عميق.

هي رواية ليست كالروايات فإن كنت على استعداد أن تخوض تجربة ربما تتلاعب بك وبأعصابك فأنت في المكان الصحيح، وإن رغبت في التسلية والقراءة الخفيفة فأنصحك بعدم الخوض في تلك التجربة والانصراف عن القراءة فورا، فأنت على وشك الانخراط في مؤامرة شيطانية ربما يصيبك منها شيء، لاتجزع أو ينتابك الرعب، أو اجزع واملأ بالرعب قلبك، فلست أدري أثر تلك الكلمات عليك،ولست مسئولاً عنك وماسوف يحدث لك، فأنت قد اخترت وعليك تحمل النتيجة.

* * *

"أمازلت تسير على أديم الأرض أيها الإنسان مدعياً الصلاح والإصلاح؟ أمازلت قادرا على خداع نفسك بهذه الأفعال؟ لقد حانت نهايتكم، وسوف نبيدكم ونجتزكم يابني البشر من فوق الأرض ونستخلفها كما كانت لنا في غابر الزمان. استمتعوا بتلك السويعات القليلة فمصيركم بات محتوماً. سوف نقتلكم جميعا ونبيدكم من على وجه البسيطة، أرضنا ومملكتنا التي سلبتوها منا. لن نترك على أديمها بشرا. سوف تموتون جميعا دون أن نريق نقطة دماء مثلما تفعلون مع بعضكم البعض. أنتم الأبالسة ولسنا نحن؛ وقريبا نتشفى في فناءكم وعودتكم من حيث أتيتم، من الأرض إلى باطنها.

انطلقت ضحكة مدوية كالعواء ممزوجة بفحيح شيطاني قاتل أصابت قلب الشيخ سليم بالرعب.

أخذ الشيخ سليم يتلفت يمينا ويسارا وهو يسرع الخطى إلى بيته وقدماه لاتكادان تسعفانه بعدما أصابتها رجفة جعلتها تلتف على نفسها فلاتكاد تحمله بعد أن اخترقه هذا الصوت الشيطاني وملأ كل أركانه وخلايا جسده رعبا. فمن أين أتى هذا الصوت؟ ولمن كان هذا الفحيح الغريب؟ أخذ الشيخ سليم ينظر يمينا ويسارا بعيون لاتكاد تقوى على النظر بعدما تملكه خوف قاتل أفقده توازنه وجعله كالمخمور بلاخمر.. لم يجد الشيخ سليم شيئا أو أحدا حوله سوى تلك الرياح والأعاصير المرعبة التي صاحبت هذا السيل من الأمطار في فجر تلك الليلة الصيفية التي لم يعتاد مثلها أهل الجنوب في تلك الأيام.أخذت الرياح تضرب وجهه بقوة، بينما مياه الأمطار تتخلل ملابسه وتنفذ إلى جسده لتزيد رعشة مفاصله وأطرافه وتجعله كالجرذ المبلول الذي يود أن يلوذ بجحر يؤويه ويمنع عنه ما يلاقيه ويكاد أن يوقعه أسيرا في يد المطاردين. أراد الشيخ سليم أن يصل بيته على عَجل حتى يتخلص من هذا الكابوس الذي أتاه وهو مستيقظا بعد عودته من صلاة الفجر في مسجد الحي الذي يسكنه ويبعد عن منزله بحوالي ثلاثمائة متر. لايدري الشيخ سليم لماذا طالت المسافة إلى بيته فخيل إليه أنها قد ابتعدت بُعد البلدة المجاورة لمدينته نجع حمادي، وان الوقت الذي كان يقطعه ولم يكن يتجاوز العشر دقائق للوصول لبيته قد استطال إلى ساعات وساعات. أخذ الشيخ سليم ينظر يمينا ويسارا عله يجد أحدا يستأنس بوجوده أو يطمئن بصحبته في

تلك الليلة الاستثنائية في صيف هذا العام. غير انه قد خابت أمانيه ولم يجد سوى نفسه مع تلك الليلة وصوت تلك الضحكات المرعبة يتردد صداه حوله مع كل لطمه ريح على وجهه، ويتخلل الرعب خلاياه مع نفاذ مياه الأمطار إلى جسده ومفاصله.

وصل أخيرا الشيخ سليم إلى منزله بعد أن ظن أنه لن يصله أبدا، أشعل ضوء المصباح، تجرد من ملابسه تماما، انطلق مسرعا إلى الحمام وفتح الدش الذي انسابت مياهه سريعة قوية، ارتمى سليم بداخلها وكأنما يلتمس الأمان في حضنها وهى تلفه وتحيطه بسيلها وقطراتها الدافئة. أخذ الشيخ سليم حمامه الدافئ وتناول المنشفة ليزيل عن جسده ماتبقى من المياه وربما يزيل معها ماعلق به من رعب تخلل جسده وملأ قلبه. استعاد الشيخ سليم بعض الهدوء، استكان قليلا،اخذ يفكر فيما حدث معه في ليلته هذه، لم يشأ أن يطيل الفكر فيما حدث، وربما أراد أن يُطمئن نفسه بأن ماحدث له ربما ناتج عن تقلبات تلك الليلة غير المعتادة في سماء بلدتهم؛ استكان إلى هذا التفسير ومضى يمارس حياته المعتادة.

الشيخ سليم هو الابن الأكبر للحاج عبد التواب الذي وافته المنية منذ أكثر من عشر سنوات، وقد كان رجلا صالحا معروفا في منطقته بالتقوى والصلاح، وقد أنجب شابين أحدهما الشيخ سليم والآخر أحمد، والفارق بين الشابين ليس بالكثير فيفرق بينهما أربعة أعوام، حيث يبلغ الشيخ سليم الأربعين بينما أحمد في السادسة والثلاثين من عمره. ترك لهما أبوهما هذا المنزل الذي ورثه عن أبيه مناصفة مع أخيه الحاج صادق الذي وافته المنية بعد موت أخيه الشيخ عبد التواب بعدة سنوات ، وبقى البيت ميراثا لأولادهما، حيث سكن سليم الطابق الأول منه، بينما كان نصيب أحمد شقته في الطابق الثاني من المنزل، وسكن ابن عمهما نبيل مع زوجته ميرفت في الطابق الثالث والأخير.كان نبيل صديقا حميما لأحمد فهو في مثل عمره وتطابق طباعه طباع أحمد؛ لذا فقد شبا وبينهما تلك العلاقة التي تربط الأصدقاء وتزيدها القرابة قوة وحميمية، بينما كان الشيخ سليم يختلف عنهما في الطباع والميول، وكذلك كونه الأكبر عمرا كان يعطيه ذلك وقارا وهيبة يمارسها عليهما وفقا لعادات بلدان صعيد مصر التي تميز الأخ الأكبر وتعطيه من الصلاحيات ما تجعله بمثابة الوالد الثاني لإخوته اللذين هم دونه عمرا حتى وإن كان الفارق بينهما في العمر يسير.

الشيخ سليم نال شهادته من أحد المعاهد الأزهرية في مدينته، تخرج منذ ردحا من الزمن وعمل مدرسا في ذات المعهد، استطاع أن يحافظ على مسيرة والده في الصلاح والتقوى ومشى على خطاه حتى عُرف بين أهل المنطقة بالشيخ سليم خاصة بعد أن أطال ذقنه بعض الشيء، لم يُطلقها على عنانها كما يفعل البعض، ولكنه أنبتها على استحياء لتغطي وجهه بالشعيرات السوداء المهذبة..فكانت تلك الذقن مع ملابسه البلدية إذا ارتدى الجلباب ومشتملاته يبدو في زي المشايخ.. بينما يبدو كشباب الموضة إذا ارتدى الملابس الإفرنجية كالقميص والبنطلون أو البذلة الكاملة؛ وكان هذا يجلب له الكثير من العتاب من مشايخ القرية أو من زملاءه ممن أطلقوا لحاهم حتى جاوزت صدورهم، ولكنه تمسك بماهو عليه ولم يَفُت في عضده هذا العتاب واللوم المتواصل؛ حتى سكت المعاتبون بعد يأسهم من إقناعه بإطلاق لحيته أو إصلاحها كما كانوا يقولون.

تزوج الشيخ سليم في حياة والديه قبل وفاتهما وكان في مقتبل العمر، ولكن شاءت الأقدار أن تمرض زوجته بأحد الأمراض العضال، وسرعان ما أن تطورت حالتها بسرعة خاصة أنهم قد اكتشفوا أن إصابتها بهذا المرض كانت منذ وقت طويل دون أن تظهر عليها أعراضه أو يكتشفه طبيب؛ وهو ماجعل اكتشافه بعد ذلك تحصيل حاصل، فلم يستطع احد فعل شيء لإيقاف هذا المرض القاتل عن افتراس ضحيته حتى استطاع النيل منها والقضاء عليها، ماتت زوجته وهو لم يتجاوز بعد السابعة والعشرين من عمره، ورفض بعدها الزواج مرة ثانية مخالفا بذلك عرف تلك البلاد الجنوبية التي تزوج الشباب في بواكير عمرهم، وتأبى بقاء الرجل دون زواج.. حاول الكثيرون إقناعه بالزواج مره أخرى واختاروا له العديد من الفتيات الصالحات عله يأنس إلى إحداهن وتستكين نفسه بجوارها، غير انه رفض جميع تلك العروض بلا سبب ظاهر أو باطن؛ ربما هو نفسه لايعلم لماذا كان رفضه لهذه الزيجات ولماذا إصراره على الرفض.. فليس هناك مايمنعه من الزواج مرة ثانية، ولكنه رفض وأصر على الرفض وكأنه قد أخذ قرار العناد في هذا الأمر وتمكنت منه الروح الصعيدية في عناده هذا واستمر عليه دون سبب مقنع لنفسه أو لغيره. ظل سليم على هذا المنوال حتى يأس الجميع من حوله وانصرفوا عن نصيحته بالزواج ثانية وتركوه لحاله عله يفيق أو

يتراجع عن موقفه.. ويبدو انه قد اعتاد العناد في هذا الأمر وخشي العودة عن هذا الموقف وظل هكذا ناسيا متناسيا هذا الأمر.

استبدل الشيخ سليم ملابسه بعد أخذ الحمام الدافئ، واستلقى على سريره محاولا إزاحة آثار تلك الليلة الغريبة عن عقله وجسده، نظر في ساعته فوجد أن الوقت لازال مبكرا على النهوض وارتداء ملابس الخروج للذهاب إلى عمله في المعهد؛ أطفأ نور الحجرة وترك إضاءة الصالة حتى يشعر بالاسترخاء التام، وقام بضبط منبه التليفون المحمول للاستيقاظ في موعده اليومي حتى لايتجاوز الوقت المعتاد إذا ما أخذه النعاس وهو في استلقاءه هذا، أغمض عينيه قليلا وقبل أن يغشاه النوم شعر أن لمبة الصالة تتأرجح يمينا ويسار وان ضوئها غير مستقر في مكانه؛ فتح سليم عينيه وقلبه يكاد يتوقف من الرعب خوفا أن يكون ماشعر به حقيقي، وسرعان ماثبت صدق مشاعره؛ فضوء الصالة يتأرجح بشدة. فجأة سمع صوت ارتطام وكسر زجاج وكأنه صوت تحطم اللمبة المنيرة؛ وانطفأ النور تماما. كاد شعر رأسه أن يقف، تسمر في مكانه فوق سريره غير قادر على فعل شيء أو النهوض من مرقده، أخذت الأفكار تدور سريعة في رأسه ذهابا وإيابا دون أن تحرك منه ساكناً، فقد أصبح كالجثة الهامدة التي يتخللها سريان الدماء والأفكار دون أن يكون له في ذلك شأن. فتح سليم عينيه واخذ يحملق في الأشياء حوله علّه يجد بصيص ضوء أو شيء يهديه إلى مايجب فعله. تذكر أن في درج "الكوميدينو" بجوار السرير مسدس صغير كان والده قد تركه له قبل وفاته،ولكن ماذا عساه أن يفعل بهذا المسدس؟ لقد نسيه أو كاد منذ أن وضعه في موضعه هذا، فحياته بسيطة ولم تتطلب منه يوما من الأيام استخدام هذا الشيء الغامض بالنسبة له، فهو لم يعتاد استخدام السلاح أو حتى التدريب على استخدامه وربما هذا يخالف عادات تلك البلاد التي يكثر فيها السلاح ويعد من مفاخر العائلات ويعتاد علي استخدامه الصغير قبل الكبير. تناول سليم المسدس وأراد أن يتفحصه، تذكر انه لابد أن يشد الأجزاء استعدادا لإطلاقه، ولكن ماذا عن الطلقات، فهو لايعلم هل مسدسه محشو بالرصاص أم أن الهواء والصدأ سكنا خزانته فبات كالعب الأطفال. ألقى الشيخ سليم المسدس جانبا واستسلم للأمر، وقبل أن يستقر على خطوته التالية ومايجب عليه فعله انتفض جسده كله حتى كاد أن يسقط من فوق فراشه، فقد انطلقت أصوات فحيح مرعبة ملأت أجواء الغرفة؛ تجمد سليم في مكانه كمن خُدر جسده استعدادا

لإجراء عملية جراحية ربما تكون قاتله. وانطلقت الأصوات حوله لاتعيره التفاتا.

- دنهش

- قالها صوت ليس كالأصوات، كلماته تأتي من زمن سحيق، الرعب يغلفها، والغموض يحيط بها، يحملها ريح له صفير مزعج، اسم تتساقط حروفه كقطرات الدماء تسيل من جرح عميق؛ تشعر بوقعها بكل خلجات الجسد وكأنها تتلبسك وتحوطك كالكفن الذي يؤهلك لفراق الدنيا.

- دنهش، هل أيقنت أن هذا هو الرجل المناسب؟

- نعم ياملك الجن الأعظم

- دنهش، لقد وكلتك بهذا الأمر، فأنت أقوى أولاد إبليس وأقدرهم على ذلك، ولك أن تستعين بمن تريد، حتى وان احتجت إلى سرايا من الجن سأوافيك بها، ولقد أصدرت أوامري لملوك الجن في كل مكان أن يأتمروا بأمرك، وينفذوا ماتطلبه، ويمدوك بكل ماتريد، ولك أن تستعين بالمارد "ناصور " فهو كما تعلم بطشه شديد ومن أقذر مردة الجن؛ ويمكنه أن يساعدك كثيرا في هذا الأمر الذي نحن مقبلون عليه..

- لاتخش شيئا باملك الجن الأعظم، فقد رتبت أموري، وأصدرت أوامري لمن وقع عليه اختياري، وهم من اقدر وأشرس مردة الجن في البر والبحر، ووسوست أيضا لشياطين الإنس بالقيام بواجبهم في هذا الصدد، وجميعنا على استعداد تام لهذه المعركة.

-استمع جيدا أيها المارد دنهش، إن هذه المعركة فاصلة، سوف نجتز الجنس البشري من فوق الأرض ونستعيد أرضنا تلك التي سُلبت منا، وننتقم من هؤلاء الشرذمة لما فعلوه معنا؛ فبسببهم طُردت من الجنة، وأُخرجت من رحمة الله، أنا إبليس، عزازيل، أنا الخالد في هذا العالم خلود الزمان والمكان، آخذ العهد من الله أن لا أترك الإنسان يهنئ وتغمض له عين في هذه الدنيا أبدا، سوف أزلزل الأرض تحت أقدام أولاد أدم واقضي على نسلهم وجمعهم وتعود الأرض ملكا لنا بعدما سلبها منا "مهلاييل" حفيد آدم عدونا الأكبر في تلك المعركة الشهيرة بيننا وبين الإنس والتي تمكن فيها "مهلاييل"

من هزيمتنا، ولولا العهد الذي أخذته بالخلود إلى يوم الدين لكنت قد قُضيت وقُتلت في تلك المعركة، انه الانتقام يادنهش، هل تفهمني؟

- نعم ياملك الجن الأعظم، أفهمك تماما .

- قل لي يادنهش.. هل تأكدت أن هذا الإنسان يحمل الضمير البشري الحي وأنه سوف يموت مباشرة بعدما يحدث له من فعلتنا به؟

- نعم أيها الملك، فقد اخترناه بعناية مثلما أمرتنا، وبعدما تأكدنا من مرضه الخطير الذي لن يتيح له الحياة طويلا خاصة وانه لايعلم عنه شيئا.

- أيها المارد الأبله، أريده أن يموت مباشرة بعد الانتهاء من عملنا، فهو كالقنبلة الانشطارية، وماسوف يعلمه لايجب أن يصل إلى احد من بني البشر، فهو قنبلتنا التي سوف نقضي بها على هذا العالم، وسوف نرى مايفعله الضمير اليقظ بعد أن تسحقه الأحداث العظام،هل فهمتني أيها المارد دنهش؟

- أيها الملك الأعظم، إن لم يمت كما نريد فيمكننا قتله.

- بالغباءك أيها المارد، كيف يُقتل أو يموت وأجله لم يكن قد حان بعد؟ أريده أن يموت بأجله المكتوب له، وان يتوافق ذلك مع نهاية فعلتنا به، هل فهمتني أم يجب أن استعين بالمارد ناصور القذر؟ لا أريد أن يقع أي منكم تحت طائلة المارد شمهورش؛ فأنت تعلم مدى شدته وجبروته في القضاء، وأخشى أن يحاكم أحدكم أمامه فيبطش به بطشة كبرى، حاذر أنت وأعوانك على عدم ارتكاب خطأ يودي بكم إلى الهلاك.

أومأ دنهش برأسه خجلا.

- فهمت مقصدك ياملك الجن الأعظم، وسوف أنفذ مطلبك

- إذا فليكن هذا الرجل لنا، حافظوا عليه حتى نكمل مشوارنا معه، وبعدها القوا به في غياهب الموت.

- سمعا وطاعة يامولاي الملك .

استمع الشيخ سليم لهذا الحديث وكأنه يأتيه من عالم آخر. تجمدت خلايا جسده، وتوقف قلبه عدة مرات، تسارعت أنفاسه زفيرا وشهيقا حتى كادت روحه أن تفارقه. ظل على وضعه هذا حتى انبلج الصباح وبدأ ضوء النهار يزحف على حجرته حتى امتلأت بالضياء. حاول سليم النهوض ولكنه لم يستطع. ظل يحاول ويحاول حتى تمالك

أعصابه في النهاية وتحامل على نفسه واستطاع أن يقف ثم يتجه نحو نافذة الغرفة فيفتحها على مصراعيها. لم يهدأ قلبه أو يذهب روعه إلا بعد أن شاهد الناس بالخارج فاستأنس بوجودهم ولاذت روحه بأصواتهم وحركاتهم تستمد من وجودهم الطمأنينة والراحة.

ارتدى الشيخ سليم ملابسه على عجالة وأسرع الخطى خارجا من شقته وكأنه هاربا من وحوش خفية لايعلم كنتها أو هدفها. اتجه مباشرة نحو باب الشقة وبينما يتناول حقيبته وأوراقه من فوق المائدة الموجودة بالصالة نظر إلى السقف وهو يكاد يخفي عينيه حتى لا ترى ما يجعله يوقن أن ما رآه وسمعه حقيقة وليس بالخيال، ولكن خاب ظنه؛ فقد شاهد بقايا لمبة الصالة عالقة بالدواية المتدلاه من سلك الكهرباء الطويل. تسارعت دقات قلبه ونظر يمينا ويسارا وكأنما يخشى من شيء ربما اختبأ خلف احد جدران الشقة أو داخل الدولاب أو ربما تدحرج أسفل السرير الذي ينام عليه استعدادا للحظة المناسبة للانقضاض عليه وقتله كما قال الصوت المخيف الذي استمع إليه منذ قليل وملأه رعبا. هم بالخروج من الشقة، وسمع أثناء خروجه صوت زجاج اللمبة أسفل حذاءه يصدر أصوات طقطقة وفرولة ليست بالغريبة على أذنيه. ترك كل شيء وفر هاربا من منزله.

سار الشيخ سليم ببطيء شديد باتجاه المعهد الذي يعمل به، وكلما وجد جمعاً من الناس انضم إليهم وكأنه يحتمي بهم من قوى خفية تطارده.

جلس الشيخ سليم على إحدى المقاهي في طريقه إلى المعهد على غير عادته.. فهو ليس من معتادِ الجلوس على تلك المقاهي؛ ولكنه تذكر انه لم يتناول إفطاره وشرب شاي الصباح الذي اعتاد عليه كل يوم.. فقد طغت الأحداث العاتية على أفكاره ولم تسعفه شجاعته على المكوث في البيت لتناول الإفطار وهو ماجعله يركن إلى هذا المقهى بعد أن ابتاع بعض الفطائر من الفرن الإفرنجية التي في طريقه قبل المقهى بحوالي مائة متر؛طلب من النادل كوبا من الشاي وبدأ في تناول الإفطار.

شرد الشيخ سليم بفكره الذي لم يتحرر بعد من آثار ماحدث له في ليلته هذه. أمسك كوب الشاي بكلتا يديه حتى تزيل سخونته البرودة التي حلت بأطرافه وتفُك تجمدا أصابها حتى كادت أن تتيبس. لم يستطع عقل الشيخ سليم أن يستوعب ماحدث، أخذته الأفكار بعيدا

وقريبا. دار حديث صامت وأسئلة كثيرة في رأسه عما حدث معه هذا اليوم وماذا يكون وماسوف ينتهي به؟

- ماذا بك ياسليم؟ هل جننت يارجل؟ أصابك لطف بعد هذا العمر الطويل! ياللهول، هل اختل عقلي بحق؟ ولكن لماذا لايكون هذا الأمر سحر، نعم انه نوعا من السحر قد أصابني، ربما هذه الطلاسم التي دُستها بقدمي منذ يومين وأنا خارج من المسجد حَوت سحرا كبيرا ألم بي وأصابني بطريق الخطأ، نعم ربما، ولكن لماذا لايكون خيال؟ نعم نعم انه خيال ووهم توهمته، ولكن كيف يكون خيال واللمبة قد عاينتها ودُست بقاياها بحذائي؟ لا لا انه ليس بالخيال لاتضحك على نفسك ياسليم، انه واقع وحقيقية، إذاً ماذا كان هذا؟ لقد سمعتهم يتنادون، إبليس و مارد وعفريت، ياللهول، ماذا يعني هذا؟ هل أنا ملبوس بالشياطين؟ ولكن أي شياطين؟ لقد سمعته يقول عزازيل، انه اسم إبليس الأول، ملك الجن الأعظم، ياللهول، وما الذي أوقعه في طريقي؟ وكيف لي الخلاص من هذا الإبليس الخالد بخلود الأرض ومن عليها؟ هل اذهب إلى المشعوذين والسحرة ومأأكثرهم في مدينتنا نجع حمادي؟ لست أدري، لقد أصابني اليوم من الجهد الكثير واليوم لم يبدأ بعد، هل أعود أدراجي لأستريح بالمنزل؟ أستريح! لا لا لن اذهب للبيت سأواصل إلى المعهد، ربما العمل واللقاء مع الطلبة ينسيني ماحدث أو على الأقل يقلل من وطأة آثاره. نهض الشيخ سليم، وبعين باردة نظر إلى الطريق، وسار بخطوات متأنية نحو المعهد.

نحن الآن في مدينة نجع حمادي تلك المدينة الواقعة على ضفة النيل الغربية في مصر، وتقع على بُعد "80" كيلو متر من مدينة الأقصر، ونجع حمادي أحد مراكز محافظة قنا، والمدينة من المدن الأثرية التي تعود إلى العهد البطلمي اليوناني،والنجعاويون شأنهم شأن أهل الجنوب يتميزون بالطيبة والشهامة والكرم.

وأهل نجع حمادي ينتمون إلى قبائل وعائلات عريقة عاشت فى تلك المنطقة منذ عقود مضت جعلت الكثير منهم يتفاخروا بالأنساب ويحتقروا كل من هم دونهم. مدينة أهلها طيبون طيبة أهل الجنوب، بسطاء في حياتهم وطباعهم، لكن النزعة القبلية كثيرا ماتتحكم بهم، والرأس الصعيدي كثيرا ما يعلن عن نفسه في تحديات ومنافسات وقبليات شأنهم في ذلك شأن أهل الصعيد جميعاً؛ فتلك البلاد مازالت تحافظ على إرثها من العادات والتقاليد التي تجعل لمجتمعاتهم تميزا عن غيرهم من المجتمعات في باقي محافظات مصر.

انتشرت في قرى تلك المدينة عمليات التنقيب عن الآثار شأنها شأن معظم مدن الجنوب والمناطق المجاورة لها التي شهدت عمليات حفر واسعة من قبَل عصابات المقابر وبعض الأهالي طمعا في الكنز الكبير الذي يأملون في الحصول عليه أو الاستيلاء على محتويات تلك المقابر الأثرية التي تدر عليهم أموالا ضخمة..وانتشرت الكثير من القصص والروايات عن خرافات صاحبت تلك العمليات ،وذاعت أكثر روايات عن وقائع وحقائق عن هذه الحفريات حتى أصبح الحصول على كنز فرعوني حلم يراود الكثيرون خاصة بعدما ظهر الغنى الفاحش على بعض الأهالي وأرجعه أهل المدينة لكنوز الفراعنة ومقابرهم ومادرتها على هذه العائلات من أموال طائلة دون جهد بذلوه أو عمل شاق اقترفوه، فهكذا يكون الحلم وهكذا الوصول للمال بدون عناء وبدون غربة واغتراب.

عاش الشيخ سليم هذه الأجواء وترعرع بين قصصها وروايتها، فقد ولد وتربي في نجع حمادي، غير انه لاينتمي إلى إحدى قبائلها المعروفين ذوات الشأن، ولكن هذا لايمنع انه تربي لأسرة كادحة، كان والده له احترامه وتقديره في المنطقة وعرف عنه الصلاح والتقوى، وكان محبا ومحبوبا للجميع، وقد ورث الشيخ سليم هذا الإرث عن والده، فالجميع يحترمه ويوقره، وهو بينهم مسموع الكلمة راجح العقل، ولكن بلا ثقل قبلي أو عشيرة قوية تقف وراءه وتجعل له منزلة عالية بين القوم. وقد أدرك الشيخ سليم ذلك منذ بداياته وارتضى أن يكون ذلك الإنسان البسيط القاطن في هذا البيت الهادئ الذي ورثه عن والده وعمه ويسكنه مع أخيه وابن عمه وزوجته. وعلى عكس الشيخ سليم شقيقه أحمد، فقد ناله الكثير من التدليل والدلع، واستجيب لكل رغباته وتم التغاضي عن هفواته ونزواته؛ فشب وقد كبرت معه صفات دخيلة عن المجتمع الجنوبي، فتمثل بالشباب القاهري، بل تجاوزهم أحيانا في انطلاقه وعبثه في الحياة وعدم تحمله المسئولية. وقد حاول الشيخ سليم إصلاح مافسد منه على مدار أعوام كثيرة،غير أن ماشب عليه يبدو انه التصق به وصار طابعا لشخصيته. عُرف أحمد بين أقرانه بالشاب المستهتر.، وبالكاد أتم تعليمه الفني بإحدى المدارس الفنية الصناعية، ونَفر من العمل بعد تخرجه، ولم يُعمر كثيرا في الأعمال التي أوكلت إليه؛ ربما لم يجد نفسه فيها أو انه استصغرها في نظره، فقد كان يحلم بالثروة والجاه والمال، ووجد أن تلك الأعمال لن تصل به إلى مايصبوا إليه ولن

تحقق آماله وطموحاته.. فلم يكن هناك مفر من التفكير في بديل وبديل سريع لتفادي تلك المشكلة التي باتت تفرض نفسها على الأخوين؛ سليم يحث أخيه على العمل، ويحاول معه في كل الاتجاهات، واحمد يحاول التفلت من عباءة أخيه والتي يري انه يحاول أن يحوطه بها. هكذا كادت الحياة لاتستقيم مع الشابين حتى ظهر الحل السحري آنذاك؛ وكان هذا الحل هو ابن عمهم نبيل، فهو في مثل عمر أحمد،وقد خرج مبكرا من المدينة مهاجرا إلى أمريكا في تلك الفترة التي كانت الهجرة حلم من أحلام الشباب،الجميع يسعى ويتهافت لنيلها واقتناص فرصتها ويجد فيها الحياة والأمل، سافر نبيل في باكورة شبابه، واستطاع أن يتأقلم مع عالمه الجديد، وفي بضع سنين تمكن من الحصول على عمل جيد يدر عليه دخلا مميزا، وهذا ليس بالغريب؛ نبيل إنسان ذكي، واعي، له تفكير منظم ومرتب، ويعلم بالضبط ماذا يريد ويسعى لتحقيقه؛ لذا فلم يكن بالشيء الجديد أن ينجح في بلاد العم سام ويجد له مكانا مميزا، وهكذا كان نبيل الحل السحري لمشكلة أحمد بعدما راسله برسالة مطولة شارحا له معاناته في العمل والحياة واختلاف نظرته مع من حوله وخوفه من تفاقم المشكلة إذا ماوصلت إلى طريق مسدود، وقد أجابه نبيل بالانتظار حتى تدبير فرصة له، وقد كان، وسافر أحمد إلى أمريكا وانضم إلى ابن عمه، واستطاع أن يجد نفسه في هذا المجتمع الغربي المفتوح، فقد صادف هواه، ووجد البيئة المناسبة لأهوائه فأطلق العنان لمجونه وعربدته، وفِعل كل مايحلو له دون رقيب يراقبه أو رادع يردعه؛ فتحقق له مايريد من حياة منفتحة تعطي وتفيض في العطاء.. وبفضل هذاالعالم الجديد نَفض أحمد عن نفسه بقايا العادات والتقاليد التي كانت مازالت عالقة به وقذف ثوب الصعيد بعيدا بما يحمله من عراقة الماضي واستبدل حياته القديمة بحياة جديدة حتى انه في النهاية وجد في الإلحاد رفيقا وملاذا يعينه على تلك الحياة المتبرجة، فلاتقاليد تقيده ولادين ينهيه ويأمره، وهكذا انفلت أحمد من عباءة الشرق ليرتدي بذلة الغرب لنيل رغباته وتحقيق طموحاته، قضى سنيناً مع ابن عمه نبيل، نال كل شيئا حُرم منه، عاقر الخمر، ارتاد النوادي، ورافق النساء، باشر أعمالا كثيرة لجلب الأموال التي تعينه على حياته ويستطيع بها أن يحقق طموحاته، استطاع أن يتكسب القليل من بعض الأعمال الروتينية، وأغدقت عليه الكثير بعض الأعمال التي تحط من قدر الإنسان، ولكنه كان صريحا مع نفسه، فليس هناك في قناعته

حرام أو حلال، شريف وحقير، الكل يتساوى، والمهم النتيجة النهائية. ظل الحال هكذا أعواما طوال، غير أن الحياة في أمريكا لاتعطي بلا مقابل، ولا تغدق الثروات بين يوم وليله، وهذا ماشغل أحمد كثيرا وأرق حياته في هذا البلد الكبير، ولكن ماذا عساه يفعل، لقد قارب على أكثر من عشر سنوات في تلك الغربة، جاهد واجتهد وخاض أعمالا لم يتخيل يوما انه فاعلها، ولكن كل هذا ضجيج بلاطحين، فمازالت الثروة بعيدة عنه ومازالت أحلامه في مهدها لا يجرؤ حتى على التصريح بها. ظل هذا الحال حتى كان اليوم الذي جلس فيه أحمد مع نبيل وزوجته ودار بينهم حديث طويل عن الماضي والعائلة ونجع حمادي، استرجع أبناء العمومة تلك الذكريات وكأنها تأتي من أعماق التاريخ، عرج بهم الحديث عن بعض أهل المدينة ممن ظهر عليهم الثراء فجأة وماتبع ذلك من إشاعات ظلت تتناقل في السر والعلانية عن علاقتهم بمقابر الفراعنة وكنوز القدماء، وهنا تدخلت ميرفت زوجة نبيل في الحديث.

- لقد قلت لي يانبيل ذات مرة إن والدك أخبرك أن بيتكم يكتظ بالآثار، وانه يحوي في باطنه كنوزا من تلك الآثار الفرعونية.

- نظر نبيل إليها نظرة ذات مغزى، ولكنها استطردت في الحديث.

- إيه يانبيل هو أحمد غريب، ماهو ابن عمك والبيت بيتكم.

بعين متسائلة ودهشة بالغة نظر أحمد إلى نبيل

- لا ادري الحقيقة بالضبط، ولكن هذا ماسمعته من أبي.

- ماذا سمعت بالضبط؟

- لقد استمعت يوما إلى والدي يتحدث مع والدك عن كنز تحت البيت، وأن أحد العارفين ببواطن الأمور طلب منهما شراء البيت بأضعاف ثمنه لينقب عن هذا الكنز لعلمه بوجوده مدفون في أرضيته ، وقد سمعت والدك يرحمه الله يطلب من والدي عدم التحدث ثانيا في هذا الأمر؛ وارجع ذلك إلى حرمانيه ذلك الفعل وما يأتي من وراءه من وبال، ويبدو أن والدي قد استجاب لنصيحة أخوه، فأنت تعلم انه كان يحبه ويقدره ولايخلف له أمر.

- نعم ولكن والدي لم يتحدث بأمر كهذا لأحد منا. ولم اسمعه يوما في أي حديث يخص هذا الكنز.

- ربما تحدث به إلى أخيك سليم، فهو الأكبر، وكما تعلم أبوك كان يحبه ويقدره ويستمع إليه ويستشيره، أو ربما لم يُرد والدك فتح هذا الباب معكم والدوران في جدال عقيم خاصة وانه اتخذ قراره بعدم الخوض في هذا الأمر والتكتم عليه.

اتسعت عينا أحمد واخذ يحدق في لاشيء، أخذت أصابعه تنقر على منضدة كانت أمامهم بحركات لاشعورية، تنقل أحمد بنظره بين نبيل وزوجته، قام وأشعل سيجارة واخذ ينفث دخانها دون أن ينطق بكلمة.

* * *

عاد الشيخ سليم إلى منزله في نهاية اليوم بعد أن عمد على قضاء ساعات النهار بأكمله خارج البيت، فبعد أن أغلق المعهد أبوابه وانتهى يومه الدراسي لم يشأ الشيخ سليم العودة مباشرة إلى منزله فقد كان الخوف مازال يتملكه، اتجه إلى بعض أصدقاءه على غير العادة وجلس معهم كثيرا، تناقش في مواضيع شتى بعضها جاد والكثير منها لاه حتى كاد أن ينسى أمره ويذهب الخوف من قلبه حتى عرج الحديث عن السحر والسحرة وكان بالمصادفة، وهنا عادت الهواجس كلها مرة أخرى إلى قلب سليم الذي ماكاد يتخلص منها، استمع سليم بعقل مفتوح وآذان صاغية لكل مايقال عله يجد في حديث أحدهم دواءً لدائه، ولكن دون فائدة، فقد كان حديث عابر تجاوزه الرفاق بسرعة ولم يتوقفوا عنده كثيرا ولم يفطن احد لمحاولته مناقشة بعض التفاصيل التي ربما تشابه حالته أو تفك لغزها.،فهو إلى الآن لايدري ماذا حدث له ولم يستطع أن يوَصف هذا الأمر. تركهم جميعا واستأذن واتجه إلى بيته وهو يفكر فيما حدث له، يرجعه تارة إلى السحر، وتارة أخرى إلى الشياطين وأفعالها، وأخيرا ينتابه الرعب من المرض العقلي. سليم يقرأ القرآن في سره ويزيد في القراءة، يدعو الله أن يكون ماحدث له ظاهرة قد انتهى أمرها، فهو يخشى أن عاد له هذا الأمر فسيكون ساعاتها قد وقع في شر حقيقي. في كل الأحوال سواء سحر أو مرض عقلي فهذا شيء عضال، والمصيبة الأكبر انه لن يستطيع التحدث بهذا الأمر إلى احد حتى لأقرب الناس إليه، فالمسحور والملبوس والمجنون في بلدهم ووفق عقائدهم إنسان فاقد الأهلية وينبذه الجميع وينظر إليه على انه شخص مجذوب لايؤخذ بكلامه ولايستمع لحديثه.

- ياللهول، إلى هذه الدرجة من الممكن أن يصل بي الأمر،أفقد مكانتي بين الناس، وأتعامل كالمجذوب، وربما أفصل عن عملي، كيف لمعلم أن يعلم تلاميذه وهو فاقد العقل؟

أخذ الشيخ سليم ينظر إلى السماء ويدعو الله دعاءً حاراً كمن يدعو الشفاء من مرض قاتل فوجئ به يستشري في جسده دون عرض و إنذار.وصل الشيخ سليم إلى الدار، فتح باب شقته، أضاء لمبة الصالة، تذكر ماحدث وأدى إلى كسرها، عَرج إلى حجرته أضاء النور، قام على مهل بتغيير ثيابه وهو يتلفت يمينا ويسارا كأنما يخشى

المجهول.. كان قد أصابه التعب بعد عناء يوم استثنائي في حياته. ألقى بنفسه فوق السرير دون أن يطفئ المصباح فقد كان لايزال به بعض الخوف، وقبل أن يغلق عينيه لينام شعر بلسعة هواء بارد على جبينه، انتفض جالسا وذهب عنه النوم واخذ قلبه يدق ويدق بشدة، تلفت حوله يمينا ويسارا، قام من مجلسه وذهب إلى الحمام غسل وجهه عدة مرات بالماء البارد، ثم اتجه إلى المطبخ وأشعل البوتاجاز وملأ البراد مياه وأعد كوبا من الشاي،أخذه ودخل به إلى حجرة النوم، فتح المصحف واخذ يقرأ بعض الآيات، ثم احتسى الشاي وأغمض عينيه، وماهى إلا لحظات حتى شعر بضوء اللمبة يهتز يمينا ويسارا وتنفتح النافذة عن إعصار من الهواء الساخن جعل اللمبة تتطاير من مكانها في اهتزازات سريعة وقوية؛ قفز سليم بحركة لا إرادية، أغلق النافذة جيدا.، وقف ينظر إلى اللمبة ويستمع إلى دقات قلبه التي غطت على كل ماحولها، فجأة توقف كل شيء. ظل سليم متيقظا لأكثر من ساعتين ينظر يمينا ويسارا ويرقب اللمبة فوق رأسه ولايدري ماذا يفعل.

أدرك الشيخ سليم أن هناك أمرا غير عادي، وأن ماحدث له في بداية اليوم لم يكن بالشيء العابر الذي انتهى أمره وإنما الأمر تجاوز ذلك بكثير،لم يشأ التفكير في العواقب وما يجب عليه فعله، فقد آثر محاولة النوم والهروب من كل هذا حتى ينقضي هذا اليوم الغريب، وفي الغد يكون له شأن آخر.

* * *

أحمد يجلس مع ابن عمه في احد الكافيهات بأحد شوارع أمريكا ويبدو عليه الغضب والحنق وهو يتحدث إليه.

- لماذا لم تصارحني بماقالته زوجتك قبل هذا اليوم يانبيل؟

- لم تكن هناك فرصة ولم نتطرق لهذا الأمر من قبل.

- هل أنت مقتنع بماتقول، أى فرصة تريد؟، تعلم أننا نمتلك كنزا اثريا في بيتنا وتتركنا هكذا نتسول في بلاد الغربة.

- لقد نسيت يا أحمد حديث والدي ولم أتذكره إلا عندما تحدثت به ميرفت اليوم، قد كان حديث قديم، وربما لم أخذه مأخذ الجد؛ لذلك لم يَعلق كثيرا في رأسي ولم أعطيه أهمية.

- ماذا تقول يانبيل؟ ألم تسمع عن عائلات كثيرة كانت تعض الأرض من الجوع واليوم هم من أثرياء البلد؟ ألم تسمع عن المقابر الأثرية التي تعج بها مدينتا؟ ألم يصل إلى سمعك عصابات ومافيا الآثار اللذين كنا ننام ونستيقظ على أخبارهم؟ لا أصدق ما تقوله يانبيل، شيء بهذه الأهمية وتدعي انك لم تهتم.

- ماذا تقصد يا أحمد؟ هل قصدت أني خططت للحصول على هذا الكنز بمفردي ولذلك عمدت على عدم إخباركم به؟

- لا لم اقصد هذا أطلاقا، فأنت ابن عمي وصديقي واعلم عنك الكثير، ولم يخطر ببالي ماتظنه .

- إذا لماذا كل هذا الغضب وهذا العتاب؟

- دعنا من الماضي الآن يانبيل، المهم أننا نمتلك كنزا، هذا هو المهم،والأهم كيف نحصل عليه ونستخلصه لأنفسنا؟.

- فيما تفكر يا أحمد؟ إن هذا لم يخطر في بالي إطلاقا.

- لماذا يانبيل؟

- لان أبي وأبوك رفضا ذلك، ويجب احترام رغبتهما حتى وان كانا قد توفيا.

- هل يعقل ماتقوله يا نبيل، رغبة من! لقد توفيا، وهذا الكنز لنا، دعك من هذا الهراء، الحي أبقى من الميت، وأن كان والدانا لم يُردا

هذا الكنز فنحن في أشد الحاجة إليه، به سنعيش ونترك لأولادنا ثروة من بعدنا ونستمتع ويستمتع أولادنا معنا.

هز نبيل رأسه في دلالة على لاشيء، وأخذ يفكر قليلا.

- يعنى رأيك إيه يا أحمد؟

- مافيش رأي، إحنا نازلين الإجازة الأسبوع الجاي، وهابدأ علطول الحفر ونشوف الدنيا فيها إيه؟

- معقولة، الإجازة دي!

- أيوة معقولة، موافق تكون معايا ولا رأيك إيه؟

- موافق طبعا، ماهو الكنز بتاعنا كلنا.

نبيل يصمت قليلا ثم يفاجئ أحمد بسؤال

- طيب والشيخ سليم هانعمل معاه إيه، خصوصا وأنت عارف انه ساكن الدور الأول من البيت، يعنى الحفر هايكون عنده ولازم يقتنع ويوافق.

احمد يفكر قليلا وينظر إلى لاشيء ويتحدث كما لو كان يتحدث إلى نفسه

- هي دي المشكلة، أزاي نقنع الشيخ سليم؟ لكن عموما كل مشكلة ولها حل، وبعدين دا كنز، يعنى موش أى حاجة، ولازم الشيخ سليم يوافق حتى لو اضطر الأمر إلى.....

يصمت أحمد ولايكمل حديثه، ينظر أبناء العمومة إلى بعضهما البعض نظرة ذات مغزى، ثم يستكملان حديثهما وطريقهما.

* * *

يخلد الشيخ سليم إلى النوم؛ تنتابه بعض التشنجات العصبية أثناء نومه من فرط الكوابيس التي عانى منها، قبيل الفجر بقليل يستيقظ مفزوعا والعرق يتصبب منه فقد شعر بلفحة الهواء المرعبة التي بدأ يعتاد عليها.. قام من فوره وقد اتسعت عيناه؛ أخذ يحدق النظر في اللمبة المعلقة فوق رأسه في السقف فلم يجد لها اهتزازا ولم يسمع شيئا غير عادي؛ بدأ يستعيد هدوءه، ودقات قلبه تعاود انتظامها.

بينما الشيخ سليم جالسا في حجرة نومه يستعيد توازنه وهدوء نفسه، يُعقد بجانبه على بعد أمتار قليلة في الصالة المظلمة اجتماع على قدر كبير من الأهمية بين المارد دنهش والشياطين أعوانه وتنطلق أصواتهم فحيح و همهمة ولزوجه لايسمعها البشر اللذين ربما تقشعر أبدانهم لوجود الشيطان فمابالك بهذا الجمع وتلك القبيلة الشيطانيةالمتآمرة،هاهو المارد دنهش يتحدث إلى أعوانه والجدية بادية في نبرات صوته، بينما الجميع يقفون حوله في انتباه تام وإصغاء كامل لكل مايقوله.

- باسم ملك الجن الأعظم، هذا هو اجتماعنا الأول لوضع الترتيبات النهائية لخطتنا التي نحن مقبلون على تنفيذها، وها انتم قد عاينتم المكان بأنفسكم وشاهدتم الإنسي الذي سوف تتعاملون معه ويكون هدفا لأسلحتكم، وأهل الدار سوف يسكنوه بعد أقل من أسبوع موعد عودتهم من السفر،وسؤالي الآن للجميع، هل أتممتم وضع تصوراتكم لما ستفعلونه في الأيام المقبلة؟ المارد كاردل، ابتعد عن القتل تماما، لانريد خدماتك في البداية حتى أعطيك الإشارة.

- أنت تعلم أيها المارد دنهش أني قاتل بطبعي، فما وظيفتي إذا إن لم يكن القتل هدفي؟

- ألم تتعلم الدرس ياكاردل، لقد سلسلك الملك سليمان من أجل هذا، وأنا اخترتك لعلمي بدهائك وقوة بطشك؛ لهذا أنت معنا الآن، إن مانقوم به لخدمة عالم الشياطين بأسره فهذه هى معركتنا الكبرى، هل فهمت ما أقول أم أعيده ثانية؟ الكل سيشارك، إما أن نكون أو لانكون، العفريت طارش، هل لديك أسئلة؟ أنت تعرف المطلوب منك تماما، فأنت حاكم كل قرين في الأرض وماعليك سوى الإيحاء لقرناء هذا

البيت بما نريده،وسوف أوافيك بالمطلوب من كل منهم في وقته وحينه.

- نعم أيها المارد دنهش وأنا على استعداد تام؛ وقد اجتمعت بقرناء سكان هذا البيت، وخاصة قرين الشيخ سليم، وهم جميعا في انتظار أوامرك..

- حسنا، وأنتِ يا نائلة أم الشعور

- نعم أيها المارد دنهش

- دورك لم يأتي بعد، فقط عليك دراسة هؤلاء القوم، ولا تقومي بأي دور سوى ما يطلب منك، هل تفهمين هذا الحديث؟ فقد جندت معك ملكة الجن غنجمية؛ حتى تكونا معا تدعمان بعضكما بعضا.

يتغير وجه دنهش ويبدو الغضب على وجهه وهو يوجه حديثه مستدركاً لأم الشعور نائلة

- لقد أخطأتي اليوم يا أم الشعور خطأ جسيما في بداية عملنا، وان عُدتي لهذا الخطأ فلن أرحمك، هل تدركين كلامي؟

- ماذا تقصد يادنهش؟

- لماذا أزحتي جلباب سليم عنه وهو نائم بعدما جلستي بجانبه على السرير؟

- فقط أردت مضاجعته، وما الخطأ في هذا؟.انه ما أقوم به عندما يوكل لي عملاً مع البشر

- أدرك انه المعتاد، ولكن قد نهيتك عن فعل هذا مع سليم، وأوضحت لك أن دورك سوف يأتي وسوف تمارسين مهامك وأعمالك كيفما يحلو لك، ولكن ليس الآن، ألا تستطيعين أن تتمالكي نفسك بعض الوقت، لو تجاوزتي هذا الأمر فسأنزل عليكِ عقابي.

- لاتهددني يا دنهش، أنا أيضا ملكة ابن ملك، وأعرف ما أقوم به جيدا.

- أهددك وأهدد الجميع، فأنا مفوض من قبَل ملك الجن الأعظم، واملك كل الصلاحيات لتنفيذ هذا الأمر، هل فهمتم جميعا؟ وأنت أيضا أيها القط الأسود العفريت "ظام" لقد رشحك ملك الجن ميمون ابانوخ للاشتراك معنا في هذا الأمر الجلل.

- نعم يادنهش، وقد اخبرني الملك ميمون بعِظم هذا الأمر؛ وأنا هنا للسمع والطاعة

- انتهى الاجتماع، ولنخرج جميعاً مثلما جئنا.

اندفع تيار من الهواء الساخن حول الشيخ سليم وهو جالس في حجرته على سريره؛ اقشعر بدنه وسرت به رعشة لم يدرك من أين أتت، انتفض واقفا، فتح نافذة الغرفة، كان ظلام الليل بدأ ينقشع وينبثق منه شعاع ضوء نهار الفجر.

أدرك الشيخ سليم أن مايحدث له أمرا غير عادي وأن الأمور ليست مصادفة أو شيئا عارضا انتهى بوقته؛ أصابه هذا الاستنتاج بثقل على صدره وجعل رأسه مرجلاً تغلي بها الأفكار السوداء عن حياته ومستقبله ونظرة الناس إليه. ولكن إلى الآن لم يستطع الشيخ سليم أن يوَصف حالته، ماذا تكون وبماذا أصيب؟. ذهب الشيخ سليم إلى الحمام، توضأ، لم يشأ أن يصلي الفجر في المسجد خوفا من حدوث شيء جديد يطيح بما تبقى له من عقل؛ فرد سجادة الصلاة في غرفته، بعد انتهاء الصلاة اخذ يدعو الله كثيرا أن يبرأه مماهو فيه، زاد في الدعاء حتى تساقطت الدموع من عينيه، خوفه من المجهول قد تملك منه وأحاط به تماما، عرج إلى المطبخ،أعد إفطاره ومعه كوب من الشاي أخذ يحتسيه ببطيء وسرعان ما أن لمعت عيناه وقفز حل رآه سحري لتوصيف تلك الحالة التي أصابته، لماذا لايُشخص حالته بنفسه، انه يخشى التحدث مع أحد فى هذا الأمر حتى لايوصم بالجنون أو السحر، فليكن هو طبيب نفسه. ترك كوب الشاي واتجه مباشرة إلى جهاز اللابتوب الخاص به، أوصله بالكهرباء وفتح شاشته وأخذ يبحث في المواقع المختلفة عن أشهر الأمراض التي تماثل حالته تلك، ظل على هذا الحال أكثر من ساعة يبحث ويقرأ عن العديد من الأمراض النفسية والعقلية وأعراضها حتى صاح فى النهاية وجدته وجدته، انه مرض الفصام المزمن. ظل يقرأ عن هذا المرض وتتسع حدقتا عينيه، وكلما زاد فى القراءة ظهرت الآثار على وجهه متمثلة في الخوف والرعب والحزن، الأعراض تتطابق مع حالته، ولكن ياللهول انه مرض عقلي ومن أعراضه الكثيرة الهلاوس والأوهام وعدم القدرة على اتخاذ القرار والبلبلة والخوف والانطواء على النفس وعدم قدرة المريض على التفريق بين الواقع والخيال بل يصل به الأمر إلى فقد صلته تماما بالواقع "مرحلة الذهان "وغير ذلك من الأعراض الخطيرة التى تجعل صاحبها عديم الاتزان وربما الأهلية.. ماجعل قلبه يدق بعنف حتى كاد أن يتوقف هو ما قرأه من أن هذا المرض يعد من الأمراض المزمنة التي تصاحب المريض طوال

حياته ولايمكن معالجته كليا ولكن يمكن السيطرة عليه بواسطة العلاجات الدوائية المناسبة.

وقف الشيخ سليم على قدميه وأخذ يجيء ويذهب في الحجرة كحيوان جريح تم أسره ولم يستطع الفكاك أو تحرير نفسه من هذا الأسر فأخذ يجيء ويذهب فى حركة لاشعورية يقطع بها الوقت وربما يستنزف طاقته حتى يصيبه التعب والإجهاد الكامل فينزوي متكوراً في أحد الأركان وقد غُلب على أمره.

أدرك الشيخ سليم بل كاد أن يتيقن أن مابه علة عقلية..وأن مرض الفصام قد تمكن منه وهو الآن في طريقة إلى مرحلة جديدة متطورة من هذا المرض، وأنه فى النهاية سوف ينفصل تماما عن الواقع ويعيش منبوذا أو ربما ينتهي به الحال إلى السرايا الصفراء مع المجاذيب والمجانين.. ياللهول. عند هذه النقطة توقف عقل سليم عن التفكير وكاد أن يلطم وجهه، فجأة اتسعت عينيه مرة أخرى وسأل نفسه سؤالا ربما يكون فيه الخلاص من هذا المرض اللعين، لماذا لايكون مايعانيه سحرا ومابه من تأثير هذا السحر ومايراه ويسمعه حقيقة وتلك المخلوقات التي تتحدث إليه ربما هى شياطين أو عفاريت تلاعبه وربما تود أذيته؟ رأى الشيخ سليم في هذه الفكرة حلاً ونجاة من مرض الفصام اللعين. جلس على الفور مرة أخرى إلى جهاز اللابتوب وأخذ يقرأ ماكُتب عن هذا الأمر ويشابه حالته، وكالعادة استغرق أكثر من الساعة والنصف في تصفح المواقع الاليكترونية وقراءة الكثير مما كتب في هذا الأمر، ظل يقرأ حتى وصل إلى قراءة أن من مسه الجن يشعر بالصداع والأرق والتوتر والخمول يتبعهم الضيق والاكتئاب وحالات من الخوف والفزع أو مايسمى "الفوبيا" واضطرابات في النوم وأحلام وكوابيس مفزعه، بالإضافة إلى التهيؤات والاستماع إلى أصوات غريبة بل ربما تظهر تلك الشياطين في صور وأشكال مختلفة. عند هذه النقطة توقف الشيخ سليم عن القراءة وأخذ يفكر قليلا وانفرجت أساريره بعض الشيء، أخيرا خَلص مما قرأه إلى أن مايعانيه هو السحر لاجدال فى هذا، ولكن هل هو السحر أم المرض العقلي؟ ظل هذا السؤال يراوده ويحاول الإجابة عليه وأخذ في سبيل ذلك يفترض الفرضيات ويضع المعطيات ويستخلص النتائج في محاوله للوصول إلى جواب يقيني عن سؤاله هذا ولكن للأسف خاب مسعاه وأدرك انه غير قادر على تشخيص حالته؛ الأعراض تتشابه ، والوصول إلى حل ليس بالأمر الهين، لكنه

أدرك أن علته شديدة وكافية أن تقضي عليه وعلى سمعته ووجوده لذلك اتخذ قرارا حاسما وسريعا بعدم أخبار أي إنسان بما يعانيه حتى وان كان اقرب المقربين إليه؛ فهو يدرك أن السر ملك صاحبه فقط دون سواه. أغلق الشيخ سليم اللابتوب ونظر إلى ساعته، أدرك أن موعد الذهاب إلى المعهد قد حان، قام إلى دولاب الملابس، خلع جلباب النوم الذي كان يرتديه وتناول قميص وبنطلون وارتداهما على مهل ثم وضع قدميه فى الحذاء وقام بربط الرباط بطريقة آلية وكأنه مسحور أو منوم وغير مدرك مايفعله، اتجه إلى باب الشقة بعد أن اخذ حقيبته معه، فتح الباب وخرج وأغلقه وراءه، وسرعان ما أن ذاب في زحمة الطريق.

* * *

- باسم ملك الجان الأعظم، إبليس الخالد إلى يوم الدين، نعقد اجتماعنا الثاني.

كلمات شيطانية نطق بها المارد دنهش أقوى أبناء إبليس؛ على إثرها حضر جميع المَردة والشياطين المعنيين بالمهمة الموكولة إليهم. انعقد اللقاء في بيت الشيخ سليم. في صوت شيطاني زاحف،وفحيح يرجف منه الجسد البشري وتتخلع له القلوب واصل المارد دنهش حديثه .

- لقد جمعتكم اليوم لوضع اللمسات النهائية؛ فها هى ساعة الصفر قد بدأت، اليوم هو الرابع منذ أن حضر شقيق الشيخ سليم وابن عمه من السفر، وقد اتفقا على المساء للحديث مع الشيخ سليم في أمر الكنز الفرعوني وضرورة البحث عنه، وكما تعلمون جميعا طبيعة الشيخ سليم وعقيدته فيما يخص هذا الأمر؛ لذلك سوف يقف بشده رافضا طرحهما، فهو يقيس الأمور بمقياس الحرام والحلال وهذا الهراء المسيطر على عقله، ولديه من الحجج الكثير التي يستطيع بها التغلب على منطق أخيه وابن عمه، فهو كما تعلمون قارئ مُلم بالأديان والكثير من الكتب ويَعد من المثقفين اللذين يجيدون الحديث والغلبة بالحجة الدامغة، وكما تعلمون أيضا أحمد وابن عمه نبيل لايملكون الحجة وليس لديهم ثقافة تذكر ولن يستطيعا مجاراته في هذا الأمر؛ وهنا لابد لنا من التدخل، هذا هو دورنا، ولعلمكم جميعا أن اليوم هو البداية الحقيقية لنجاحنا في خطتنا، لابد من فعل المستحيل ليتم الحفر، ولابد أن يستجيب الشيخ سليم لحديث أخيه وابن عمه ، لن أطيل عليكم ولكن لتعلموا أن ملك الجن الأعظم يتابع أعمالنا ساعة بساعة ولحظة بلحظة وتصله أنفاسكم وأحاديثكم، لا أريد أن يغضب على أحدكم وانتم تعلمون غضبه وما يمكن أن يجره عليكم، فقد وقع اختياره عليكم ورشحكم بالاسم لمعرفته قدراتكم وثقته في إخلاصكم لعالم الجن والشياطين؛ فلا أقل من أن تكونوا عند حسن ظنه بكم، أو العقاب الشديد.

- لاتخش شيئا يادنهش، نحن نعلم مايجب علينا فعله.

- أعلم ذلك أيها المارد" طارش" واليوم هو يومك فأنت حاكم كل قرين، ودورك تلقين قرناء الشيخ سليم واحمد ونبيل بمايجب فعله

والوسوسة به، اليوم هو دورهم وان لم ينجحوا في ذلك فسيُحرقون فورا وتُلقى بقاياهم في فضاء الكون ليكونوا عبرة لغيرهم ممن لايُقدر المسئولية في عالم الجن .

- سمعا وطاعة يادنهش.

- وإلى متى يستمر حَبسُنا لهذا الأمر؟ لقد ضقت ذرعا بالانتظار، فأنا لم أعتاد هذه الحياة الجافة لأيام طويلة، أريد التحرر من هذا القيد أو ممارسة عملي الطبيعي.

بكلمات شيطانية كمواء القطط الشبقة تحدثت نائلة أم لشعور إلى المارد دنهش الذي أجابها باقتضاب

- اصبري يا نائلة، أفهم ماتريدين، لاتقلقى ستفعلين كل مايحلو لك وما ترغبينه،ولكن كل شيء في وقته،إنها مهمة قومية نقوم بها جميعا لخدمة عالم الجن وسوف يذكرها لنا التاريخ عندما ننجح وتوضع أسمائنا وصورنا في لوحة التكريم الخالدة..

- ولكن إلى متى الصبر؟ مضى أكثر من أسبوعين ولم أضاجع أحدا من بني البشر، وهذا ليس من طبيعتي، والكثير منهم يعوذون بى كل يوم ويتوسلون لي بأعمالهم السحرية لأنجز لهم مايريدون، واشتاق كثيرا لتلبية تلك الطلبات السفلية واشتاق أكثر للمضاجعة.

- لكن ماذا لو أن اجتماع أبناء العمومة فشل ولم يجدي عملنا معهم؟ أخشى أن أثور ويفلت مني الزمام وأقتل أحدهم.

بصوت جهوري يتخلله بحة شيطانية خشنة تحدث المارد كاردل إلى دنهش

- أيها المارد كاردل، قلت لك مرارا وتكرارا، القتل لايتم إلا بإذن مني شخصيا، وهذه المرحلة لا تتطلب إراقة دماء، هل تسمعني؟ ما أقوله يتم تنفيذه، وعلى الجميع الطاعة العمياء، هيا فقد انفض الاجتماع، تأهبوا للمساء، كلنا سنكون هنا في هذه الغرفة، كل منا يقوم بدوره، انصراف جميع الشياطين.

صوت المؤذن يرفع آذان العشاء؛ الشيخ سليم يتوضأ استعدادا للصلاة؛ يمسك سجادة الصلاة الموضوعة فوق احد كراسي الصالة ويتجه بها إلى غرفته ويقوم بفردها على أرضية الحجرة، يقيم الصلاة وفي الركعة الثالثة يسمع صوت طرقات على الباب، يستكمل صلاته، تزداد الطرقات وشدتها، يتواصل صوت جرس الشقة بلا انقطاع ،

يُسرع الشيخ سليم في الصلاة محاولا الانتهاء منها حتى يُلبي الطرقات ويفتح الباب، الطرقات تزداد عنفا؛ الخوف يسري في جسد الشيخ سليم؛ فقد تذكر فجأة ما حدث له وخشى أن تكون هذه الطرقات الشديدة من جراء مايعانيه. أنهى الشيخ سليم صلاته في عجالة وأسرع إلى الباب يفتحه، وقبل ذلك سأل الطارق عن كنيته.

- من؟ من على الباب؟

- أنا أحمد .

تنفس الشيخ سليم الصعداء وفتح الباب بسرعة

- لقد كنت أصلي العشاء، أعتذر عن التأخير.

- آه، لقد انتابني شعور بالقلق عليك عندما تأخرت عن فتح الباب ولذلك طرقته بشدة.

- لاعليك يا أحمد، تفضل يا أخي، هيا نجلس في الحجرة الداخلية.

اتجه الأخوان نحو غرفه الشيخ سليم، جلس أحمد على السرير متكئان وذهب الشيخ سليم لعمل الشاي

- هل تحب أن تأكل شيئا مع الشاي يا أحمد؟

- لا، شكرا ياشيخ سليم، يكفي كوب الشاي، لاتتعب نفسك، فقط أريد التحدث معك في أمر هام .

أحضر الشيخ سليم الشاي واتجه نحو الصالة وأخذ كرسي خيزران، جلس عليه قبالة أخيه أحمد معطيا ظهره لباب الغرفة ،وتوجه بحديثه إلى أخيه.

- هل تعلم يا أحمد أني أشعر بك منذ أن جئت من السفر أنك تود الحديث في موضوع ما ولكن التردد يسيطر عليك، وتلك عاداتك منذ زمن بعيد اللف والدوران حول الموضوع خاصة إن كان على قدر من الأهمية، تحدث يا أخي بكل ما تريده .

تلعثم أحمد قليلا ثم تمالك نفسه.،نظر إلى كوب الشاي بتمعن هرباً من نظرات أخيه الثاقبة، ثم بدأ بالحديث

- الحقيقة ياشيخ سليم الموضوع الذي أريد التحدث معك فيه شائك إلى حد ما، ولكن أعلم انك سوف تتفهم الأمر؛ فقط أريد منك أن تستمع إلى وجهة نظري كاملة ولا يسيطر عليك الغضب.

- ماذا هنالك يا أحمد لقد توجست خيفة من هذه المقدمة، تحدث مباشرة يا أحمد فنحن إخوة ولاداعي لهذه المقدمات المريبة.

- حسناً، ببساطة ومباشرة، فقد علمت أن بيتنا يوجد أسفله كنز فرعوني قديم، وان هذا الكنز لايقدر بالمال، وقد خطرت لي فكرة الحفر على هذا الكنز والحصول عليه، ما رأيك في هذا؟

تغير وجه الشيخ سليم، أخذ يهز رأسه يمينا ويسارا غير مصدق ما يقوله أخيه، ثم بادر أحمد بالقول

- كيف واتتك فكرة كهذه يا أخي؟ إن ما تتحدث به لن يكون أبدا، ومن الذي أوحى لك بهذا الشيء؟ وكيف صدقته؟ وحتى إن كان فيه الصدق، كيف لنا أن نفعل ذلك؟ أتريد أن نكون لصوص آثار على آخر الزمان؟ نتشبه بالمجرمين والكفرة، ثم أن هذه الكنوز توجد في مقابر، أتود نبش المقابر لاستخراجها؟ أين العقل في هذا؟ وأين الضمير وأين الدين والحلال والحرام؟ أين كل شيء يا أحمد؟ أنت تتحدث في أمر جلل، ولم أظن يوما أنك سوف تحدثني بهذا الحديث.

تلون وجه أحمد باللون الأحمر ووقفت الكلمات على لسانه،وقبل أن يستطرد الشيخ سليم في الحديث انطلقت عاصفة من الهواء الساخن تلفح وجههما و تضرب ضُلف الشباك الخشبية والزجاجية بقوة حتى كادت أن تحطمها؛ قفز أحمد مسرعا وأغلق النافذة واحكم إغلاقها، بينما جلس الشيخ سليم مبهوتاً ينظر إلى اللمبة في سقف الغرفة وهى تهتز بشدة يمينا ويسارا وقد بدأ وجهه يتصبب عرقاً، وفي تلك اللحظات تنامى إلى سمعه فحيحا يكتُم غضبا محبوسا يكاد أن ينفجر .

- الآن، ماذا تنتظرون؟ الآن، ليقم الكل بعمله .

اهتزت اللمبة بشدة بعد أن كادت أن تستقر و تتوقف، وبدا الشيخ سليم صامت لايعلق على شيء، بينما أحمد ينظر إليه متعجبا متسائلا.

- ماهذه الرياح الشديدة، إن السماء صافية والحرارة مرتفعة، من أين جاءت هذه الرياح القوية التي كادت أن تقتلع النافذة؟

نظر الشيخ سليم إلى أحمد نظرة بلهاء لا إجابة فيها، وهنا أكمل أحمد حديثة

- اسمعني جيدا ياسليم، إن هذا الكنز ملك لنا جميعا، أنا وأنت وابن عمنا ، ونبيل هو الذي أخبرني عنه بعد أن علم به من والده، وأيضا كان قد استمع إلى حديث دار بخصوصه بين والدنا وأبيه، و...و...و..

نظر الشيخ سليم إلى وجه أخيه أحمد فوجد عينيه قد اتسعت وتشكلت بعين قط متنمر، استطال وجهه كثيرا ثم اخذ شكل مثلث وتضخمت ملامحه وتغيرت قسماته وبرزت جوانبه لتشبه وجه العفريت . أغمض الشيخ سليم عينيه وفركها بشدة بكلتا يديه ثم نظر ثانية إلى وجه أخيه فوجده قد عاد لطبيعته الأولى ومازال يتحدث ويرغي ويزبد بينما سليم لا يستطيع أن يتبين كلمة من كلماته. ازداد وجه الشيخ سليم سخونة وسال العرق على وجنتيه، تناول علبة المناديل وأخذ يجفف جبهته ورقبته، وفجأة سمع صوت أقدام خفيفة تأتي من الخلف، نظر في وجه أخيه علّه يقرأ شيئا في عينيه يدل على إدراكه تلك الخطوات، فلم يستدل على شيء، فقد كان أخوه مازال مستطردا في حديثه الذي لم يعد الشيخ سليم يسمع منه أي كلمة . اتسعت عينا الشيخ سليم كثيرا حتى كادت أن تخرج من مقلتيها؛ فقد بدأت الخطوات تزداد وضوحا، ارتفع صوت دقات قلب الشيخ سليم حتى كاد قلبه أن يقفز من صدره؛ أدرك الشيخ سليم أن الأمر خطير وان شيئا جلل سوف يحدث لامحال. لم يستطع الشيخ سليم سؤال أخيه عن شيء فقد قرر أن لايذكر هذا الأمر لأحد ، ولكن الآن الوضع اختلف؛ إن شيئا ما يحدث وهاهى الأقدام تقترب من خلفه يكاد صوتها يصم الأذن. جسد الشيخ سليم فى حالة استنفار، كل خلاياه فى حالة تركيز شديدة مع تلك الخطوات التي تقتحم عليه حجرته خاصة بعد تلك العاصفة الملعونة التى اعتاد عليها وعلم مغزاها، ياللهول، الخطوات اقتربت لأقصى درجة، فجأة يد قوية تطبق على كتفيه، يقفز الشيخ سليم صارخا صرخة مدوية ويستدير بسرعة ليجد نبيل ابن عمه فى مواجهته، يجلس الشيخ سليم على كرسيه وجسده كله يرتعش ولايكاد يقوى على الحديث؛ بينما نبيل يسرع لإحضار كوب ماء يناوله للشيخ سليم. يعتدل أحمد ويتجه نحو أخيه يهدئ من روعه وهو يربت على كتفه.

- اهدأ ياشيخ سليم، ماذا حدث؟ لماذا هذا الهلع؟

- لاشيء يا أحمد فقط تفاجأت بوجود نبيل خلفي، ولكن كيف دخل إلى هنا؟

- أسف يابن عمي، والله لم اقصد، لقد كان باب الشقة مفتوحا ودخلت منه إلى هنا بناءً على موعد مع أحمد بأن نلتقي هنا بعد العشاء .

- نعم يا أخي، وأنا عندما دخلت تركت الباب خلفي مفتوحا لعلمي أن نبيل سوف يحضر حسب الموعد، وشاهدته وهو يدخل حتى وصل إليك ويبدو انه أراد مداعبتك ولم يكن يدرك انك لاتعلم بوجوده.

- حصل خير، يبدو أن الأمر كان مفاجئا لي بعض الشيء، فكما تعلمون اعتدت العيش بمفردي وتعودت على إغلاق الباب خلفي ولم أدرك فعله أحمد وتركه الباب مفتوحا.

بدا على نبيل الخجل والارتباك مماحدث وأراد أن ينهي هذا الموقف سريعا، فبادر أبناء عمه بقوله

- يبدو أن حضوري أزعجكم؛ ما رأيكم يا أولاد عمي أن اعد لكم القهوة؛ وانتم تعلمون مدي خبرتي في تجهيز القهوة ، سوف تنسيكم قهوتي ماحدث.

ضحك أحمد كثيرا، وضحك نبيل، وتبسم الشيخ سليم وأومأ برأسه دلالة الموافقة على شرب القهوة. بعدها جلس الثلاثة يتحدثون، تحدثوا في موضوع الكنز مباشرة، ساق أحمد ونبيل الحجج والبراهين، وكيف أن هذا الكنز يعد خبيئة حلال لمن يصل إليها ، لكن الأمر لم يكن بحاجة إلى محاولة إقناع الشيخ سليم؛ فقد قام الجن بعملهم على أتم وجه وألقوا في قناعته الموافقة على الحفر؛ حدثته نفسه بضرورة التخلص من هذا البيت الذي ربما تسكنه الشياطين وتفعل به ماتفعل، تغاضى عن الحلال والحرام بعدما حدثه نبيل وأحمد بمنطق الشياطين عندما تدخلت وتحدثت بلسانهما، ساقت الجن على لسان نبيل منطقا مقنعا عن عدم امتلاك الدولة لهذه الكنوز وإنها ملك لمن يجدها ويتعب ويحفر ويَجد للحصول عليها، ولاحرمانية فى هذا الأمر فشأنها شأن باقي كنوز الأرض من الذهب والفضة وغيرها من المعادن والتي يتم الحفر عليها واستخراجها، والدولة نفسها تفعل مايودون فعله وتستخرج التوابيت بما تحمله من مومياوات الفراعنة بل وتعرضها فى متاحفها دون أن يعترض احد من رجال الدين أو المسئولين؛ فلماذا يُحرم على نفسه ما تحلله الدولة لنفسها. تحدثوا طويلا، ولعب الجن دوره وانتهى الأمر. وافق الشيخ سليم على الحفر بل وتحمس له، ملأت السعادة قلب أحمد ونبيل وشعرا بفوزهما وانتصارهما وحسمهما المعركة في أول جولة بعد أن تملكهما الخوف من الفشل والعودة بخيبة الأمل، وكانت سعادة المارد دنهش وعصابته أعظم بكثير.

* * *

خَلد الشيخ سليم إلى النوم العميق بعد مغادرة أحمد ونبيل وكان قد وصل به الجهد منتهاه بعد أحداث تلك الليلة الغريبة ، انتابت الكوابيس منام سليم وتداخلت الأحداث بعضها مع بعض، شعر بضيق فى صدره وكأن شيئا جاثما فوقه؛ فقد كانت نائلة أم الشعور، رآها بشعرها المسترسل المفرود بطوله على كتفيها وقد تزينت وتمثلت فى صورة فتاة رائعة الجمال، وهاهى تحاول أن تمارس دورا غير مرسوم لها. لم تنصرف مع الشياطين المنصرفة ولم تغادر الغرفة بل استكانت وانزوت فى ركن بعيد حتى حانت لها اللحظة المناسبة وهاهي تحاول ممارسة نشاطها الطبيعي ولكن في غير موضعه.. أخذت أم الشعور تزحف ببطء شديد على صدر الشيخ سليم وتقترب يداها تلامس وجهه وجسده في نشوة حالمة، أطلقت أصواتا كمواء القطط الشبقة في ظلمة الليل، وفي حركة مفاجئة أزاحت الجلباب عن سليم فبات نصفه الأسفل عاريا، تغيرت ملامح الشيطانة واحمرت عيناها وانتفخت أوداجها وسرت الحمية في عروقها وارتفعت حرارة جسدها حتى كادت أن تشعل الحجرة بمن فيها بعد أن توهجت وصارت كالجذوة الحارقة، وهاهى تهم للوصول لمبتغاها..فجأة تمتد يدُ قوية تمسك بها بعنف وتنتشلها من فوق الشيخ سليم وتأخذها بعيدا عن الحجرة والمكان ويخلفان ورائهما إعصارا من الهواء اللافح، يصل إلى سمع سليم شجار وأصوات كالرعد الذي يصم الآذان يستيقظ على إثرها وهو يتصبب عرقا، يظل جالسا في مكانه بعض الوقت ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ومن تلك الكوابيس التى ظن أنها أضغاث أحلام. يستلقي مرة أخرى ليستكمل نومه.

- كفحيح الأفعوان المختلط مع رعد السماء انطلق صوت المارد دنهش يؤنب أم الشعور على فعلتها.

- ماذا دهاكِ يا أم الشعور؟ ألا تطيقين صبرا؟ قلت لك مرارا وتكرارا دورك لَم يأتِ بعد، لماذا هذا التهور؟

- لقد حبستني معك أيها المارد دنهش في دور لم اخلق له، وأنا لم اعتاد الحياة بعيدة عن مضاجعة البشر، لقد حرمتني من مباشرة حقي ولم تراعي مشاعري وطبيعتي .

- لقد أخبرتك أننا جميعا مكلفون بهذه المهمة.. وان ملك الجن الأعظم قد وكل لي اختيار من يصلحون لتلك المهمة؛ وقد اخترتك لأن لك دورا كبيرا معنا، فقط انتظري واصبري قليلا.

- إلى متى الصبر؟ لقد فاض الكيل، وليكن في علمك أيها المارد الجبار أني سوف ألجأ إلى المارد شمهورش لأشكو له ماحدث معي، وأنت تعلم عدالة قاضي القضاه،واثق انه سوف يأتيني بحقي ويفك أسري .

- يالك من شيطانة متمردة، يبدو أني سوف اخبر عزازيل بما تفعلينه وتهديدك الدائم لنا باللجوء لشمهورش؛ لقد كدتِ أن تقضي على خطتنا بأكملها بفعلتكِ هذه مع سليم لولا أنى أوكلت إلى احد أتباعي بمراقبتك وتتبع خطواتك.

- لقد حذرتك يادنهش، حاول أن تجد لي مخرجا مما أنا فيه، لن أطيق الصبر على هذا طويلا.

نظر إليها المارد دنهش نظرة فاجرة ذات مغزى، وابتسم ابتسامة شيطانية مغلفة بنظرة رعب قاتلة من عينه، غادرها وتبخر من أمامها، بينا هزت أم الشعور رأسها بعصبية واضحة وتطاير شعرها الطويل يمينا ويسارا، برقت عيناها وانبعثت منها أشعة من نار تلاقت مع أنفاسها الحارة التي أطلقتها غيظا ورفضا لواقعها ثم انطلقت وتبخرت في الهواء مُخلفة دوامات من الأعاصير الساخنة كادت أن تحرق المكان بأكمله.

* * *

الشيخ سليم يقف وسط الدار، بينما أحمد ونبيل قد امسك كل منهما بفأس وأخذا يضربان في أرضية البيت والعرق يتصبب منهما.. يتجه الشيخ سليم لعمل الشاي، يناوله لأخيه وابن عمه، يجلس الثلاثة معا في فترة استراحة في حديث قصير يبدأه أحمد

- يبدو أن الكنز على مسافة بعيدة، حتى الآن لم نسمع صدى لضربات المطرقة أو الفئوس على الأرض وهذا يعني انه لاتوجد تجاويف أو فراغات قريبة من الحفر.

- ماذا يعني هذا يا أحمد؟

- لا أدري ياشيخ سليم، ولكن ربما يكون الكنز على بعد وعمق كبير في باطن الأرض.

- قل لي يانبيل، ماذا سمعت من والدك بالضبط أو من الحديث الذي استمعت إليه بين عمي ووالدي رحمهما الله عن هذا الكنز؟

- لقد كانا يتحدثان بصوت منخفض في هذا الأمر ولكن ماتنامى إلى سمعي أن احد العارفين ببواطن تلك الأمور اخبر والدك ياشيخ سليم أن البيت يحوي كنزا فرعونيا ثمينا.

- أخشى ما أخشاه أننا نجري وراء سراب، وان ماتحدث به العراف غير صحيح أو مجرد مزحة، ونكون قد خسرنا البيت الذي سيؤول للسقوط بعد فترة وجيزة، وخسرنا وقتنا وعشنا فى حلم سوف نستيقظ منه على كابوس عظيم، يبدو أننا قد تعجلنا في هذا الأمر واتخذنا القرار بدون دراسة كافية ووافيه .

كلمات قالها الشيخ سليم يترجم بها شعورا بالإحباط قد أصابه بعد عدة ساعات من الحفر، بينما أحمد ينظر إلى نبيل، والأخير ينظر للأخوين نظرات كلها تساؤل واستفسار. وهنا تحدث أحمد بصوت شيطاني بعد أن امتلأ فمه بالكلمات وانتفخت أوداجه وتغيرت هيئته قبل أن يستعيد صورته الأولى بعد لحظات كانت كافية بأخذ قلب الشيخ سليم وإصابة نبيل بالرعب؛ ولكنهما تمالكا نفسهما وظن كل منهما انه قد خيل له ذلك فلم يشأ احد أن يتحدث بما شاهده من تغير ملامح أحمد.

- لاداعي للقلق والإحباط.. إن لكل شيء عالمه، ونحن هنا في نجع حمادي معقل الكنوز والمقابر الفرعونية، وحولنا في كل مكان يتم استخراج تلك الكنوز وبيعها والحصول على ثروات ضخمة مقابل ذلك، ولكن دعونا نفعل الصواب، لابد لنا من الاستعانة بأهل الخبرة في هذا الشأن، وأنا اعرف احد المهتمين بتلك الأمور وسوف ألجأ إليه واستعين به وبنصائحه، ثلاثتنا لاعلم لنا بهذه الأمور، وأيضا لن نستطع الحفر في الأعماق بمفردنا فنحن لسنا أهلا لذلك، لقد اعتقدنا أن الكنز مدفون على مسافة قريبة ولذلك حرصنا أن يكون أمره سرا بيننا؛ ولكن الآن نحن أمام أمر واقع وليس أمامنا سوى الاستعانة بأهل الخبرة.

استمع الشيخ سليم ونبيل لحديث أحمد وهزا الاثنان رأسهما في إشارة بالموافقة على ماقاله، علق الشيخ سليم

- لكن هذا لم يكن في الحسبان، ونحن لسنا على دراية بهذه الأمور،لذا يجب اخذ الأمر بعناية فائقة، فالسر سوف يذاع ويعلمه القاصي والداني، وفي هذا خطورة علينا، لقد وقعنا في مأزق كبير وحله ليس بالأمر اليسير.

- بذات الصوت الشيطاني ضحك أحمد ضحكة لزجة، نظر أمامه إلى لاشيء وتحدث بصوت زاحف متغلغل .

- لا عليكما أنتما الاثنان، أتركا هذا الأمر لي وسوف أتيكما الليلة بالخبر اليقين وبما يجب فعله في الأيام القادمة.

انتهوا ثلاثتهم من شرب الشاي، قاموا وانصرفوا كل منهم إلى وجهته وطريقه.

صوت زجاج يتهشم وقد سقط على الأرض بشدة يعقبه صرخة أنثوية عالية؛ يفزع نبيل من رقدته على السرير،يقفز بسرعة متجها إلى مصدر هذا الصوت، ميرفت زوجته في المطبخ تبتعد عن مكان تناثر الزجاج في فزع واضح، يسألها نبيل عما حدث

- كنت أجهز الغذاء وبينما أتناول بعض الأطباق من دولاب المطبخ سقط احد الأرفف بما عليه من أطباق زجاجية وأكواب وهشمتهم الأرض وتناثر الزجاج في كل مكان.

- ابتعدي تماما عن المطبخ، الزجاج متناثر في كل مكان، حاذري حتى لا تُجرح قدمك، سوف أحضر المكنسة ونحاول جمع تلك القطع الزجاجية المتناثرة.

- الحمد لله قد انتهينا من هذا الأمر، في المساء سوف أخذ تلك الأكياس التي امتلأت ببقايا الزجاج وألقي بها في صندوق القمامة خارج المنزل.

ميرقت وقد اتسعت عيناها فجأة،وألقت بسؤال مباغت لم يتوقعه نبيل

- نبيل، إن هذا الأمر غير معتاد، لم يحدث شيء كهذا من قبل، وأرفف المطبخ قوية ومتماسكة.

- ماذا تقصدين ياميرفت؟

- أقصد، صمتت قليلا، أقصد ربما تكون تلك لعنة الفراعنة بعد أن بدأتم الحفر .

برقت عين نبيل وهو ينظر لها.

- هل هذا معقول؟ لا اعتقد ذلك، انه حدث عادي ياميرفت؛ ربما العمر الافتراضي قد انتهى لهذا الرف أو أن الحمل زاد عليه وهو ما جعله يسقط بما عليه .

- ربما، ولكن قلبي غير مستريح، واشعر بقشعريرة في جسدي.

- ماذا دهاك ياميرفت؟ تلك أول مرة أراكِ فيها خائفة وتتوجسين من هذه الأمور، فأنا اعلم انك قوية ولا تصدقين تلك الخرافات.

- نعم يانبيل أنا كذلك، ولكن أحدثك بما تحدثني به نفسي، المهم هل توصلتم إلى شيء؟ نريد أن ننتهي من هذا الأمر قبل عودتنا إلى أمريكا.

- لا اعتقد أن الأمر بهذه السهولة، ربما يأخذ وقتا أطول بكثير مما توقعنا.

- ماذا تقصد بحديثك هذا؟

- يبدو أن الكنز ليس على مسافة قريبة من الأرض؛ وهذا الأمر يحتاج إلى عمالة وخبراء في هذا الشأن.

- ياه، إلى هذه الدرجة، ولكن الأمور هكذا ربما تفلت من أيدينا، حاذر يانبيل،وأعملوا بحرص وتكتم شديد، فقد حَلمنا طويلا بهذا الكنز، ولا يجب أن نتركه يضيع منا.

- لا تخشي شيئا، فقد خرج أحمد للقاء بعض المهتمين بهذه الأمور، وقد طمأنا إلى أن كل شيء سوف يسير وفقا نريد.

- هذا جيد.

ضحك نبيل ضحكة عالية واستطرد في حديثه مع زوجته

- اعلم تماما حرصك واهتمامك بهذا الكنز، لا تخشين شيئا فسوف يتم كل شيء بدقة، وسوف تتابعين معنا الأمر خطوة بخطوة.

* * *

جلس أحمد مع شقيقه وابن عمه فى المساء وتحدث إليهما فيما توصل إليه والخطوات التي اتخذها ليستعين برأيهما ويأخذ مباركتهما وموافقتهما على تدابيره المقبلة.

- لقد قطعت اليوم شوطا كبيرا في عالم استخراج الكنوز والآثار وعرفت الكثير من المهتمين بهذا الأمر، ومع علمي ببعض المعلومات فى هذا الشأن إلا أنى فوجئت اليوم بأمور لم تخطر لى على بال،ولكن دعونا مماحدث معي وماتكبدته من مشقة وريبة في محاولتي للوصول لمخرج من هذا المأزق الذي وقعنا فيه، وسوف ألخص الأمر لكما، بداية لقد أوضح لى أحد أصدقائي ممن يعلمون بواطن هذه الأمور أن هذا الأمر يحتاج في البداية إلى التأكد من وجود مقبرة وكنوز في بيتنا من عدمه، وهذا يتطلب الاستعانة بأحد الخبراء الكشافين عن الآثار الفرعونية والذي بمقدوره أخبارنا بالحقيقة، وقد حذرني صديقي من هذا الاتجاه لطمع هؤلاء الكشافين، بل واحتمال غدرهم بنا سواء بالاتفاق مع الشرطة أو عصابات متخصصة فى ذلك.. وكان الحل الثاني الذي رشحه لي صديقي هو الاستعانة بأحد المشايخ.. فهناك متخصصون منهم في الكشف عن الكنوز بتسخير الجان والشياطين لإخبارهم عن هذه الأماكن، وفى نفس الوقت يمكن الاستعانة بهم في استخراج هذه الكنوز والتعامل مع الجن الراصد لهذه المقابر، وقد أخبرنى هذا الصديق انه يعرف أحد الشيوخ من السودان عرف عنه قدرته الفائقة في ذلك.. وتصادف انه حاليا في المدينة يقوم باستخراج احد الكنوز ويمكن الاتفاق معه، وبالفعل ذهبنا إليه وتحدثنا معه واتفقنا أن احضره إلى المنزل لنبدأ على أسس سليمة.

- أعوذ بالله، يستعين بالجن والشياطين، نحن لم نتفق على هذا..فقط كان اتفاقنا استخراج تلك الدفينة من البيت والحصول على مابها وبيعه، ولكن أن تتدخل الجن والشياطين فهذا مخالف لشرع الله ولن اسمح به، وماتم حفره وتكسيره نعيده سيرته الأولى وننهي هذا الأمر.

- تبدلت ملامح أحمد بعد إن استمع إلى حديث الشيخ سليم، انتفخت أوداجه، احمرت عيناه، وانطلق فحيحه المرعب وكلماته الشيطانية المسترسلة وأخذ يفند حديث الشيخ سليم وينظر له نظرات ثاقبة

متغلغلة ولم يتركه إلا بعد أن أقر بما فعله وأخذ موافقته على حضور الشيخ.

- الشيخ السوداني يقف وسط البيت، يسير بخطى ثابتة ونظرات ثاقبة، يتجه نحو غرفة الشيخ سليم، يقف فجأة، يطلب منهم جميعا الخروج وتركه بمفرده. يجلسون جميعا خارج الغرفة، الشيخ يطلق البخور ويرتل تراتيل غريبة، تنامى إلى سمعهم كأنه يتحدث إلى احد، تغير صوته فجأة وتحدث بلغة غير العربية، لغة غير مفهومة لهم، جلس في الغرفة أكثر من ساعتين وهم بالخارج يرجفون تارة ويتماسكون تارة أخرى، ثم خرج إليهم.

- اسمعوني جيدا، الكنز مدفون في هذه الغرفة، وهى مقبرة فرعونية قديمة تمتلئ بالكنوز والمومياوات الفرعونية، وعمقها يصل إلى حوالي ثلاثين مترا أو يزيد، ولكن هناك مشكلة كبيرة في هذا الكنز.

صمت الشيخ قليلا، نظر أولاد العم بعضهم إلى بعض، وبادره نبيل بالسؤال

- ماهى تلك المشكلة يا شيخ؟

- الجن الراصد لهذا الكنز خطير وقوي وليس من السهولة التغلب عليه.

- وماهو الجن الراصد؟

- هو حارس المقبرة، ولن يسمح لنا بالدخول أو الاقتراب من تلك الكنوز إلا بعد التغلب عليه أو تنفيذ طلباته.

سليم ينظر إلى الشيخ وبصوت راجف يتحدث إليه

- وماهى طلباته؟ وكيف نستطيع التغلب عليه؟

- اتركوا هذا الأمر لي، أنا كفيل به، والآن حان وقت الاتفاق، سوف أقوم باستخراج هذا الكنز لكم على أن احصل على ثلث قيمته.

- شهق الثلاثة معا، وبادره سليم

- الثلث، هذا كثير جدا، لماذا الثلث؟ فليكن لك أجرا نتفق عليه تأخذه وننتهي.

- الكنز لن يخرج بدوني، ولن تجدوا أحدا يخرجه لكم، وإن وجدتم فلن يأخذ أقل من هذا.

- تغيرت ملامح أحمد وانتفخت وجنتاه، زحف صوته ببطيء وتغلغل، تحدث إلى الشيخ السوداني بعد أن نظر إلى سليم ونبيل

- موافقون على أن تبدأ عملك في أسرع وقت.

نظر إليه الشيخ السوداني وقد اضطرب صوته واهتزت كلماته وأغمض عينيه لتلاشي النظر فى وجهه، ثم أطلق بعض التراتيل وهو يرجف، ولكن أحمد قاطعه بحدة

- اتفقنا،أنهي أعمالك ياشيخ، ولن نختلف.

- نعم ولكني بحاجة إلى بعض النقود، سوف أجلب بخورا يصل ثمنه إلى آلاف الجنيهات وهو لازم لهذا الأمر، هذا بالإضافة إلى...

هنا قاطعه أحمد بذات الصوت الزاحف المتغلغل

أصرف واحضر ماتريد، وحسابنا يجمع في النهاية بعد الحصول على الكنز.

نظر إليه الشيخ السودانى نظرة طويلة ولملم حاجاته وانصرف فى عجالة

* * *

صادق رئيس الحفارين يقف بطرف الحجرة وقد اصطحب معه خمسة من عمال الحفر بدت عليهم الشدة والقوة. الشيخ السوداني يتحدث مع صادق ويبدو انه يرشده لخطة البحث وفقا لمكان المقبرة، فهو يشير إلى مكان يبعد عن وقفتهم بحوالي ثلاثة أمتار، يرسم بيده في الهواء خطوطا مائلة ومتعرجة ربما تمثل مسار السراديب الموصلة للكنز. صادق يستمع إلى الشيخ بآذان صاغية وعيون مفتوحة، يتجه إلى عماله ويأمرهم ببداية الحفر بزاوية مائلة ويشرح لهم بأسلوب الخبير المتمرس في هذا الأمر. العمال ينصتون إليه ثم يبدءون الحفر في صمت تام. يتجه الشيخ السوداني إلى أحمد وينظر في وجهه عدة مرات، ويحدثه..

- الحمد لله أن البيت كبير والمساحة التى تحيط به تمتلكونها بأكملها.

- نعم إن مساحة البيت كبيرة، ووالدي رحمه الله قد اشترى ماحوله هو وأخيه، فقد كانت المنطقة جبلية وكما ترى فالبيت فى أطراف المدينة والبيوت التي أقيمت بعده قد بنيت حديثا، فقد كان هذا البيت مع بعض البيوت القليلة آخر المناطق العمرانية فى تلك المنطقة، ولكن لماذا قولك هذا يا شيخ؟

- إن المقبرة تقع أسفل تلك الحجرة مباشرة،ولكن الوصول إليها عن طريق عدة سراديب متعرجة تمر تحت البيت وربما تتجاوز حدوده؛ وهذا يعني أن الحفر سوف يطول أجزاء خارجة عن البيت.

- نعم فهمت مقصدك، لا عليك فالبيت يحيطه سور كبير والأرض كلها ملك لنا ولاشيء في هذا.

- لندع الحفارين يقوموا بعملهم فليس لوجودنا معهم لزوم، وربما نعوق عملهم، سأخرج الآن وأذهب إلى موقع آخر وسوف احضر فى الغد إن شاء الله.

أحمد يصطحب الشيخ سليم ويتجه معه إلى شقته في الطابق الثاني.

- شيء جيد أننا بدأنا العمل بسرعة.

- نعم يا شيخ سليم، هؤلاء العمال احتاج الأمر للاتفاق معهم يومين كاملي، والحمد لله أنهم جاءوا اليوم حسب الاتفاق، يبدو أن

الطلب عليهم كبير، هيا بنا ياشيخ سليم، لقد جهزت لك غرفة في شقتي إلى أن ينتهي الحفر ونرى بعده ما نحن فاعلين.

يسير الشيخ سليم واحمد باتجاه الشقة، يفتح أحمد الباب ويدخل الشقيقان.

في المساء ينضم نبيل إلى أبناء عمه ويدور بينهم حديث قصير حول الترتيبات التي تم اتخاذها للأيام القادمة.

- لم يكن في الحسبان أن الأمور سوف تتسع إلى هذا الحد، لقد كنت أظن أن الحفر لن يستغرق سوى ساعات قليلة وان الكنز يقع على بعد عدة أمتار من الأرض، ولكن ماقاله الشيخ كان مفاجأة كبيرة.

- نعم يانبيل وأنا أيضا كنت أظن الأمور أبسط من ذلك بكثير، والمشكلة الحقيقية أن شقتي في الطابق الأول سوف تنتهي تماما مع عمليات الحفر وماسوف يسفر عنه، فالشيخ السوداني أوضح أن قطر الحفرة ربما يزيد عن عشرة أمتار والعمق ربما يتجاوز ذلك بكثير.

- لا عليك ياشيخ سليم سوف تكون معي في الشقة إلى أن ينتهي الحفر ونحصل على الكنز وبعدها نري الأمور إلى أي جهة تسير.

- لقد اعتدت على شقتي يا أحمد ولا أجد راحتي إلا في غرفتي، ولكن ليس أمامنا مانفعله سوى الانتظار عسى أن ننتهي من هذا الأمر سريعا. ولكن قل لي يانبيل أعمال الحفر هذه ألا تزعج أولادك؟

- نعم ياشيخ سليم، حقاً مزعجة، فكما تعلم هشام ويوسف مازالا في عمر صغير، وقد ترعرعا في أمريكا ولم يعتادا هذا الإزعاج، وقد حاولت أن أوضح لهما أن هذا الأمر لن يستمر طويلا وسوف ننتهي منه في القريب العاجل، وفكرت جديا في أن أرسلهم مع والدتهما إلى جدتهما في وسط المدينة حتى ننتهي من هذا العمل، ولكن زوجتي أبت ذلك حيث أنها لاتجد راحتها إلا في بيتها، وعموما سوف نرى ما تأتي به الأيام القادمة.

- سوف أتركك ياشيخ سليم ترتاح بعض الوقت وأخرج للسهر مع بعض أصدقائي، فكما تعلم منذ أن قدمت من أمريكا لم أرَ أحدا من أصدقائي بعد أن شغلتنا تلك المهمة، هل ستأتي معي يانبيل؟

- نعم، ثواني أخبر زوجتي ونخرج سويا.

- قل لي يا أحمد هل ذهبت إلى طليقتك لزيارة ابنتك ورؤيتها؟

- لا ياشيخ سليم، ربما غدا نلتقي ، فقد اتصلت بها تليفونيا وأخبرتها بذلك.

- قدم المشيئة يا أحمد.

- أحمد يضحك ، يبتسم نبيل ابتسامة خجل، بينما يبدو الغضب على وجه الشيخ سليم.

يخرج نبيل بصحبة أحمد، يتجهان معا نحو سيارة أجرة، نبيل ينظر إلى أحمد مستفسرا عن مكان ذهابهما، بينما أحمد يتحدث إلى السائق، ملهى النجوم يا اسطي .

- أمازلت تواظب على الذهاب لهذا الملهى يا أحمد؟ لو كنت أعلم بوجهتك ماخرجت معك.

- لماذا يا نبيل، دعنا نسعد بعض الوقت ونلهو قليلا، كما تعرف لا استطيع إدخال الخمور إلى البيت في وجود الشيخ سليم، وكذلك افتقد ليلى كثيرا، لقد اشتقت إليها حقا.

- أما زلت على علاقة بتلك الراقصة؟ ألا يكفي أنها كانت السب في انفصالك عن زوجتك بعد علمها بما بينكما.

- حاولت يا نبيل كثيرا نسيانها، ولكن أتصدقني؟ لم أجد غيرها يستطيع أن يفهمني ويحتويني، أشعر عندما أجالسها أننا خُلقنا لبعض وان مايربط بيننا أقوى بكثير من كونه علاقة عابرة؛ فلا أجد نفسي إلا في حضورها،ولا أجد متعتي إلا في أحضانها، صدقني يا نبيل لولا أنها راقصة لما تركتها أبدا وكنت تزوجتها منذ زمنا.

- وماذا يمنعك من الزواج بها؟ أنت إنسان بوهيمي لا يفرق معك شيئ وما تود فعله تفعله دون أن تحسب الحسابات لأي نتائج.

- أعلم أنكم جميعا تعتقدون أني إنسان لايتحمل المسئولية ولايقيم وزنا لأي شيء، نعم ربما كنتم على حق ولكن هناك بعض الأمور أحاول أن أفكر في أبعادها وأثرها على الجميع من حولي ، وللأسف من هذه الأشياء القليلة التي فكرت بها ونظرت إلى أبعادها هى علاقتي بالراقصة ليلى، فبعد تفكير كثير أدركت أن زواجنا محكوما عليه بالفشل وان من الأصلح لنا أن نعيش حياتنا هكذا، تربطنا علاقة أقوى من الزواج، علاقة لايوثقها مأذون أو تسجلها ورقة زواج ولكنها علاقة أرواح ونفوس تشابكت وتزاوجت وانصهرت في بوتقة واحدة.

- لن أسألك بالطبع عن الحلال والحرام فأنا اعلم انك بعيدا تماما عن هذه القضية.

- ليست المسألة حلالا أو حرام، فأنا رجل صريح مع نفسي، وقد أعلنتها منذ زمنا بعيد، لا اعتقد في شيء سوى في الطبيعة، منها وإليها، بدأنا بترابها وننتهي في ترابها ولن يكون بعدها شيء، لاخلود ولا جنه ولانار، وبالتالي لا حرام ولاحلال، أنها حياتنا نعيشها وأيامنا نقضيها ثم تنقضي دنيتنا وحياتنا.

- لست ادري من الذي ادخل هذه الأفكار في رأسك، والمشكلة وجودك في أمريكا، فلاتوجد فرصة لتعديل تلك الأفكار والعودة للطريق الرشيد ولكن للأسف الطريق ممهد لتعميق تلك الفكرة والابتعاد تماما عن الدين وعن الله.

احمد يضحك بصوت مرتفع

- دعنا من هذا الآن، لقد اقتربنا من الملهى، هل ستنزل معي أم ستتجه إلى مكان آخر؟

- سأنزل معك اشرب كأسين ثم أتركك واذهب إلى بعض الأصدقاء.

- ياسلام عليك ياواد يامؤمن يابتاع الكاسين.

- أحمد ونبيل يضحكان بصوت مرتفع.

* * *

جاء عمال الحفر في الصباح الباكر، صادق يقف مع أحمد ونبيل والشيخ سليم، الشيخ السوداني يأتي بخطوات مسرعة، يوجه التحية للجميع ويتحدث إلى رئيس العمال.

- هل حددت ياريس صادق خطوات الحفر اليوم والاتجاه الذي سوف تحفر فيه.

- نعم ياشيخ..

وقف الشيخ على حافة الحفرة وأخذ يقرأ بعض التراتيل والآيات القرآنية، تبعة صادق بقراءة بعض آيات القرآن الكريم، ثم توجه إلى حافة الحفرة وقال بصوت مسموع: "باسم رب سليمان غادر المكان بسلام، عليك السلام " وكرر كلمة "سلام "سبع مرات..ثم طلب الشيخ تسخين بعض المياه المنقوع بها "حلفا بار" لدرجة الغليان، وعندما بدأ الماء في التبخر أخذه الشيخ إلى حافة الحفرة وأخذ يردد :"أخرج بسلام، أخرج بسلام ". وهنا تدخل سليم

- قل لي ياشيخ من المقصود بهذه التعاويذ ومن الذي تطلبون منه الخروج بسلام؟

- المقصود هو الجن الراصد؟

- وماهو الجن الراصد؟

-انه الجن الذي يحرص الكنوز ، ولابد من صرفه قبل النزول إلى المقبرة وإلا كانت النتائج وخيمة.

- ومن الذي رصد الجن للحفاظ على تلك الكنوز؟

- أنهم الفراعنة،استعانوا بالجن القوي للحفاظ على كنوزهم المدفونة معهم فكانوا يرصدون جنياً يحرس المقبرة من اللصوص ومن كل من يريد دخولها.

- وهل كل المقابر مرصودة بالجن؟

- لا، بعض المقابر وبخاصة التي تحوي كنوزا.

- وهل هنا مقبرة مرصودة؟

- نعم.

- وكيف عرفت؟

- لقد استشعرت ذلك بعد القراءات والتراتيل التي أديتها هنا بالأمس، وأعطاني الجن دلالة واضحة على وجوده، ولذلك قرأنا بعض التراتيل اليوم واستخدمنا بخور "الحلفا بار" لطرد الجان

- وهل...؟

- يكفي هذا ياشيخ سليم، دعنا نقوم بعملنا، هذه الأسئلة ليس هذا مكانها ولا وقتها على مسمع ومرأى من الجن الراصد.

- انكمش الشيخ سليم وابتعد قليلا عن الشيخ السوداني.، بينما نظر نبيل إلى أحمد نظرة ذات معزى، وقال له في صوت منخفض لايسمعه غيرهما

- ما رأيك في كلام الشيخ السوداني؟

- كله كلام فارغ، أهو بيحلل نصيبه في الكنز.

- عارف يا أحمد، المفروض أنت اللي تقرأ التراتيل وتُخرج الجن

- ليه بقا قالوا لك أني مخاوي

- لا ياسيدي، لكن أكيد الجن الراصد دا كافر مايعرفش ربنا، وأنت لو اتكلمت معاه وقلت له انك ملحد هايخرج معاك ويصاحبك وربما طلب السهر معك في ملهى النجوم.

ضحك أحمد بصوت مرتفع، وضحك معه نبيل، بينما الشيخ سليم ينظر لهما وعلامات التعجب بادية على وجهه، بينما الشيخ السوداني يتحدث إلى رئيس العمال.

أستأذن الشيخ سليم للذهاب إلى عمله في المعهد، بينما وقف نبيل مع أحمد يتابعان عملية الحفر ويستمعان إلى مايدور بين الشيخ السوداني وصادق رئيس العمال من جهة والتوجيهات التي يصدرها صادق لعماله أثناء الحفر

- خذوا حذركم من الفخاخ الشيطانية، ربما يكون هناك فخ أو أكثر، لانريد أن نفقد أحدكم.. عليكم الحذر تماما.

- هناك حجر ياريس أخشى انه على شكل قرد، ربما يكون حارسا أو دليلا على المقبرة.

- انتظر ياعلى، انتظر ولا تضربه بالمطرقة، سوف انزل استطلع الأمر.

صادق يتدلي في الحفرة التي يصل عمقها إلى ثمانية أمتار، يفحص الحجر جيدا ثم يصعد ويوجه حديثه للعمال

- استكملوا الحفر إنها صخرة عادية وليست حارسا أو فخاً، الهمة يا رجال فقد أرسلت اليوم للمعلم حسونة وسوف يرسل لي عشرة رجال آخرين، نريد أن ننتهي بسرعة من هذه العملية.

- قل لي ياريس صادق، ماذا تعني بالفخ؟

- الفخ يا أستاذ نبيل هو خدعة صنعها الفراعنة أمام مقابرهم بحيث يصطاد من يحاول الدخول إليها، وقد تكون تلك الخدعة صخرة كبيرة تزن مئات الأطنان يتم وضعها بطريقة معينه فإذا حاول احد دخول المقبرة تسقط عليه هذه الصخرة وتقتله في الحال، وهناك بعض المقابر يتم وضع أكثر من فخ لا يستطيع التعرف عليه غير أهل الخبرة في هذه المهنة.

وصلت سيارة نصف نقل محملة بالعمال ومعهم أدواتهم وعدتهم من الكشافات الكهربائية والفئوس والمطارق والهلت وغيرها من أدوات الحفر. في دقائق قليلة وزع صادق العمل عليهم وبدأ العمل على قدم وساق،الجميع يعمل بهمة ونشاط ، انحصر دور نبيل واحمد على عمل الشاي وتوزيعه على العمال والمتابعة عن بعد لعمليات الحفر ووضع السقالات وإنزال السلالم الخشبية.

استمر العمل على هذا المنوال لعدة أيام وفي كل يوم تزداد سعة الحفرة ويزداد عمقها حتى وصل العمق إلى "30" متر تقريبا

تم الحفر كما طلب الشيخ تماما.. فقد كان الحفر مائلا بزاوية "70" درجة مع الأرض لمسافة "15" مترا، وتم عمل سقالات حتى هذا العمق، ثم تلاه الحفر لعمق "10" أمتار أخرى وتم وضع سلالم خشبية ثم عاد الحفر بزاوية أخرى ثم استقام حتى وصل عمق الحفرة إلى ثلاثين مترا.. صادف العمال الكثير من الأحجار والفراغات التي كانت تثير الريبة والخوف في نفوسهم، فكانوا يعودون لسؤال الريس صادق الذي يقوم بدوره بالنزول والاطلاع بنفسه ومعاينه المكان ثم يعطيهم الأمر باستكمال الحفر بعد التأكد من سلامة الموقف وعدم وجود فخاخ قاتلة.. ظل هذا الحال حتى صرخ احد العمال وهو في أعماق الحفرة. فقد شاهد ثلاثة أحجار مرتبة بطريقة عجيبة أحدهم

على اليمين ولونه اسود والآخر على اليسار ولونه ابيض وفي الوسط حجر لونه احمر. صعد العامل بسرعة لنقل الخبر للريس صادق الذي بدوره أخبر الشيخ السوداني والذي انتبه فجأة وأمر الريس صادق أن يأمر عماله بالتوقف عن الحفر إذا وصلوا للحجر الأبيض الكبير الذي سوف يجدونه بالقرب من هذه الأحجار، وإذا وجدوا هذا الحجر لايلمسوه حتى ينزل إليهم، وأكد لهم الشيخ أن باب المقبرة بات قريبا جدا على مسافة لاتتعدى المتر ونصف المتر، فقد وصل العمال إلى طبقة الفحم التي تحيط بالمقبرة وتجاوزوها، وهاهم على بعد خطوات من بابها .

طلب الشيخ من الريس صادق أن يوقف الحفر، فالوقت قد تأخر بهم وكادت الشمس تغيب في السماء، على أن يستكملوه في اليوم التالي. انصرف العمال جميعاً وتبعهم الشيخ السوداني بعد أن تحدث قليلا مع سليم وبارك له على قرب الحصاد وفتح المقبرة.

مع نهاية اليوم كان التعب قد وصل إلى منتهاه بالشيخ سليم بعد هذا الوقت العصيب والفكر الذي أخذه يمينا ويسارا خاصة بعد أن علم أنهم على بعد خطوات وساعات قليلة للوصول إلى الكنز. صعد الشيخ سليم إلى شقة أخيه أحمد وخَلد إلى نوم عميق، بينما أحمد كان قد ذهب لقضاء اليوم مع ابنته في نزهة كان قد وعدها بها، وآثر نبيل الراحة بعد يوم شاق في خدمة العمال والشيخ وتلبية طلباتهم.

- الساعة تجاوزت الثانية عشر بعد منتصف الليل، يستيقظ الشيخ سليم مذعورا على صوت التليفون المحمول وهو يواصل الرنين دون توقف، يرد الشيخ سليم على المتحدث وكان صادق رئيس العمال

- مساء الخير ياشيخ سليم.

- أهلا ريس صادق،خير هل حدث شيء؟

- أسف أن أزعجتك ولكن يوجد أمر هام وددت التحدث فيه معك.

- خير ياريس صادق.

- معلش هو موضوع ماينفعش في التليفون، ممكن نجيلك البيت أو تيجي أنت تقابلنا بالخارج.

- أقابلكم؟ أنتم مين؟ وإيه الموضوع المهم أوي دا؟ قول ياريس صادق أنت قلقتني.

- طيب عموما في حد عاوز يشتري الأمانة قبل فتحها.

- أمانة إيه، وفتح إيه؟.
- ياشيخ سليم، هاتقدر تقابلنا دالوقتى؟
- لا طبعا، أنت بتكلمني وأنا نايم.
- طيب مافيش مشكلة، نتكلم بكرة الصبح.، بس أنا هاجيلك لوحدي الأول مع الضيف اللي عاوز يتكلم معاك ونشوف هانتفق ولا لا.
- خلاص اتفقنا، هانتظرك الصبح إن شاء الله.
- سلام .
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

طار النوم من عين الشيخ سليم بعد هذه المكالمة الغامضة خاصة وقد تزامنت مع اقتراب فتح المقبرة والحصول على الكنز، أخذت الأسئلة تراوده ويحاول أن يجد لها الحل.

- من هذا الضيف الذي يريد أن يتحدث معي؟وماهى الأمانة؟ هل يقصد المقبرة، ربما، وربما لا، ولكن من المؤكد انه يقصد المقبرة وإلا لماذا لم يتحدث في التليفون بما يريده.

أتجه الشيخ سليم إلى المطبخ وأعد كوبا من الشاي، فتح النافذة وجلس على كرسي بجوارها وأخذ يرشف من الكوب ببطء وتأن، وبينما هو على هذا الحال دخل عليه أخيه أحمد بعد عودته من الخارج.

- مساء الخير ياشيخ سليم، أنت لسه صاحي أنا افتكرتك نمت من بدري؟
- أهلا أحمد،أنا نمت فعلا، لكن مكالمة غريبة من الريس صادق طيرت النوم من عيني.

روى الشيخ سليم لشقيقه أحمد عن فحوى المكالمة وما حدث اليوم من اقتراب فتح المقبرة ومادار بين الشيخ وصادق وغير ذلك من الأحداث. انتاب أحمد حالة من القلق الشديد، أخذ يجيء ويذهب في الغرفة وهو يفكر في تلك المكالمة الغريبة

- أظن يا أحمد أن الريس صادق كان يقصد المقبرة؟
- أكيد طبعا ياشيخ سليم.
- طيب إيه الضيف اللي معاه دا؟ وعاوز إيه؟

- لست ادري؟وماعلاقة هذا الضيف بالمقبرة؟ هل وشى بنا صادق للبوليس؟

- معقولة يا أحمد! معقولة! دي تبقى كارثة.

- ما اعتقدش انه وشى بينا وإلا كان البوليس كبس علينا، وبعدين أنا اعرف أن الناس دي بتشتغل بأمانه وماعندهمش خيانة لأنهم بياخدوا أموال كثيرة فلماذا يضحوا بهذه الأموال ويقوموا بإبلاغ الشرطة.

- طيب إيه الموضوع المقلق دا يا أحمد؟

- أقولك،تعالى نتصل بيه ونقول له عاوزين نقابله حالاً.

- لماذا هذا التسرع؟ سوف يأتي في صباح الغد ، دعنا نفكر اليوم ونتشاور في الأمر، والغد لناظره قريب.

- أنا حابب ننادي نبيل لنتشاور معا جميعا، ربما كان لنبيل رأي في هذا الأمر،أو يكون عنده فكرة عن هذه الأمور.

- الساعة تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل يا أحمد، وربما نبيل قد خلد إلى النوم، دعه الآن وغدا نستيقظ مبكرا ونتحدث سويا نحن الثلاثة.

- ومن سوف يأتيه النوم في ليلة كهذه؟

- نحاول النوم بعض الوقت فالغد أحداثه كثيرة ويجب أن نكون في كامل لياقتنا الفكرية والنفسية.

أطفأ الشيخ سليم مصباح الحجرة واتجه نحو السرير ليكمل نومه، بينما ترك أحمد الغرفة وجلس في الصالة يفكر.

* * *

استيقظ الشيخ سليم في الصباح الباكر لصلاة الفجر وتعجب عندما رأى أخيه أحمد مستيقظا.

- لماذا استيقظت مبكرا اليوم، هذه ليست عادتك؟

- أنا لم أنم منذ الأمس.

- معقولة!

- حاولت النوم عدة مرات ولكن القلق وحديث الأمس أطار النوم من عيني تماما.

- معك الحق، ولكن كان لابد أن تستريح قليلا.

- لا توجد راحة قبل معرفة ما يريده رئيس العمال، ومن هو هذا الضيف الذي يود مقابلتنا؟

- فلننتظر، عدة ساعات ويتضح كل شيء يا أحمد.

- سوف أعد الشاي والإفطار حتى تنتهي من صلاتك.

- انتظرني حتى أساعدك .

- الأمر بسيط، سأعد كل شيء بمفردي.

الساعة الثامنة صباحا، يستيقظ نبيل على صوت الموبايل، يفرُك عينيه وبالكاد يري رقم المتصل، انه أحمد ابن عمه، أحمد يستدعيه على عجالة ؛ ينتاب نبيل القلق من هذه المكالمة الغامضة، يستيقظ سريعا ويتناول إفطاره وينزل إلى شقة أحمد. في تلك اللحظات تقف سيارة دفع رباعي أمام بيت المنزل ينزل منها الريس صادق ومعه أحد الرجال يدخن سيجار ويبدو على وجهه الصرامة. يدق صادق جرس المنزل، يفتح لهما أحمد ويدعوهما للصعود إلى شقته للحديث سويا، يجلس الرجلان وقبالتهما يجلس أبناء العمومة منتظرين ماسوف يقوله هذا الزائر الجديد، وبدأ صادق بالحديث

- الحاج فتحي، تاجر آثار ، وهو رجل معروف في هذا العالم وخبير في هذه الأمور ويريد التحدث معكم قليلاً.

- لن أطيل عليكم الحديث، فقد علمت بالمقبرة التي تحفرون عليها، وتحدثت مع الريس صادق، وحتى أختصر الوقت فأنا أعرض عليكم

شراء تلك المقبرة قبل فتحها وسوف أدفع لكم عشرين مليون جنية وأقوم أنا بفتحها وامتلاك مابها.

بُهت أبناء العمومة، أراد الشيخ سليم أن يتحدث فتحشرجت الكلمات في حلقه، بينما برقت عين نبيل، وتحدث أحمد بصوت غائب

- ولماذا ياصادق تحدثت عن أمر المقبرة مع الغرباء؟ألم تقل أن هذه الأمور من أسرار عملكم ولا يمكن البوح بها لأي إنسان؟

- نعم قلت هذا وأنا عند وعدي، ولكن الحاج فتحي خبير بتلك المنطقة وعنده وسائله التي يستطيع عن طريقها معرفة كل ما يحدث في عالم الآثار، وقد فوجئت به يتحدث معي بالأمس ويطلب مقابلتكم بخصوص هذه المقبرة.

- دعكم من هذه الأمور، فلنتحدث في الأمر الأهم، ماقولكم في العرض الذي قدمته لكم، عشرون مليون نقدا، أسلمها لكم وتتركون لي البيت لمدة أسبوع واحد فقط.

تبادل أبناء العم النظرات، ساد بينهم صمت تام قطعه أحمد بالوقوف فجأة وقال بصوت منخفض

- نعتذر عن قبول عرضك يا حاج فتحي، المقبرة ليست للبيع.

وهنا نظر نبيل إلى الشيخ سليم نظرة ذات مغزى فتدخل الشيخ سليم في الحديث

- انتظر قليلا يا أحمد، الأمر ربما يحتاج إلى مشورة وبعض التفكير.

انفرجت أسارير الحاج فتحي بينما تجهم وجه أحمد ونظر إلى أخيه نظرة حنق وغيظ، وهنا تدخل الحاج فتحي في الحديث

- إن أمر تصريف مقبرة فرعونية ليس بالسهل، ولابد من وجود خبرة واسعة لتقدير ثمن القطع الموجودة بها، هذا بالإضافة إلى وجود اتصالات مع عدة جهات وتجار آثار على مستوى العالم، ويتم ذلك كله بطرق خفية سرية، فالأمر ليس بالهين، وأنتم لا دارية لكم بهذه الأمور، وأعتقد أن العرض الذي تقدمت به مناسبا جدا.

- لا بأس، دعنا نناقش الأمر بعض الوقت، استأذنكم قليلا يا ريس صادق، فسوف أتشاور مع أحمد ونبيل في الحجرة الأخرى حتى نخلص إلى قرار.

- هذا هو كلام العقل تفضل ياشيخ سليم وسأنتظركم مع الريس صادق بالخارج.

- لا، البيت بيتكم، سوف نذهب إلى الحجرة الأخرى، فقط عشر دقائق.

قام الشيخ سليم متجها إلى حجرة ثانية وتبعه أحمد ونبيل، جلس الثلاثة يتشاورون في الأمر، بينما جلس الحاج فتحي مع الريس صادق يتوقعان النتائج ويضعان البدائل، بينما في الطابق الأول على حافة المقبرة كان الاجتماع الأكبر، اجتماع طارئ دعا إليه المارد دنهش

- ماذا تنتظرون أيها الشياطين والمردة؟ إن خطتنا بأكملها على وشك أن تنسف وتنتهي قد أن تبدأ، لو بيعت هذه المقبرة لانتهى حلمنا في القضاء على الجنس البشري وخسرنا كل شيء وضاع تعبنا هباء.

- قل لنا ماذا نفعل؟ يمكنني الآن قتل هذا التاجر في التو واللحظة وإنهاء أمره .

- لا أيها المارد كاردل، ليس هذا هو الحل، سوف يأتي لهم صادق بتاجر آخر

- إذاً اقتل صادق وفتحي.

- لانريد القتل في هذه المرحلة،ولاتنسى أن القتل سوف تكون له عواقبه ويفتضح أمر المقبرة وتضيع من أيدهم وهذا ما لانريده. اسمعوا كلكم، جندوا أتباعكم حالا وليتواجدوا بينهم وينهون النقاش بلساننا لا بلسانهم، هيا بسرعة انطلقوا، ولنجتمع ثانية بعد انتهاء هذا الأمر، هيا هيا .

انطلقت عاصفة ترابية ساخنة حول المقبرة، امتلأت شقة الشيخ سليم بالغبار والأتربة، بينما أبناء العم في نقاش حاد.

- لماذا يا أحمد تعترض على بيع المقبرة؟ إن المبلغ الذي عرضه التاجر كبيرا جدا، ومن الممكن المحاولة معه لزيادته إلى أكثر من هذا، وكما قال الرجل نحن لادراية لنا بهذا الأمر وربما يفتضح أمرنا أو لا نستطيع تصريف هذا الكنز، واعتقد أن هذا هو رأي نبيل أيضا.

- نعم ياشيخ سليم هذا هو الصواب، فنحن نريد المال من وراء هذا الأمر، وقد جاءنا المال على طبق من فضة، فلماذا لا نأخذه ونريح أنفسنا.

استطال وجه أحمد وجحظت عيناه وارتعش جسده، نظر إلى سليم ونبيل نظرة جعلت قلوبهم ترتعد رعبا ويحملقان في وجهه بلا هدف. تحدث بصوت كالعواء فوق جبل شاهق الارتفاع

- استمع لي ياشيخ سليم وأنت يانبيل، نحن لن نبيع المقبرة، المقبرة بها من الكنوز مايساوي المليارات، وهذا التاجر يعلم ذلك جيدا، أنها فرصة لن تتكرر مرة أخرى، واطمئنوا فقد اتفقت مع بعض الأجانب من تجار الآثار وسوف أرسل لهم فيديو بمحتويات المقبرة بعد فتحها وسيتم تقدير ثمنها كاملا ونحصل على ماتريد، فقد أعددت كل شيء، فقط لن نبيعها وسوف ابلغ فتحي بهذا الأمر، هيا بنا.

حَسم أحمد النقاش، اتجه إلى الحجرة التي يوجد بها الحاج فتحي وصادق وتبعه الشيخ سليم ونبيل، وما أن فتح الباب حتى نظر إليهم فتحي وصادق نظرات مرتابة متسائلة، عاجلهما أحمد بكلمات موجزة محددة كطلقات الرصاص

- لن نبيع المقبرة، هذا قرار نهائي لا رجعة فيه.

- يمكني زيادة الثمن إلى خمسة وعشرين مليون و...

هنا قاطع أحمد الحاج فتحي بكلمات جازمة وبوجهه المستطيل وعينية التي تخترق نظراتها خلايا الجسد فتسري فيه الرعشة من الخوف والرعب

- لقد أبلغناك قرارنا ياحاج فتحي، شَرفت، وأنت ياريس صادق ليتك تأتي بالعمال لاستكمال عملهم، إن الشيخ السوداني على وشك الحضور ونريد أن ننتهي من هذا الأمر سريعا.

وقف الشيخ فتحي واتجه مباشرة نحو باب المنزل وتبعه الريس صادق يحاول أن يخفف وقع الأمر عليه، بعد دقائق عاد إلى المنزل واخبر الشيخ سليم انه ابلغ العمال وأنهم في طريقهم لاستكمال الحفر، وماهى إلا دقائق حتى حضر الشيخ السوداني وبعده بنصف الساعة حضرت سيارة العمال.

وقف الشيخ السوداني على حافة الحفرة واخذ يقرأ بعض الآيات ويرتل بعض التراتيل، وفجأة ظهر على وجهه الخوف والرهبة، نظر إليه أبناء العمومة، أسرع نحوه الريس صادق ونظر في وجهه بقلق بالغ.

- ماذا حدث ياشيخ؟

لم يتحدث الشيخ إلى أحد واستمر في التراتيل وإطلاق البخور ثم طلب من الجميع مغادرة الشقة وتركه بمفرده، ظل الشيخ بما يقارب الساعة بمفردة في الحجرة يرتل تراتيله ويطلق بخوره حتى أصابه الإعياء الكامل بينما العمال ومعهم الشيخ سليم واحمد ونبيل وصادق بالخارج.

- ماذا حدث اليوم؟ وماذا يجري بالداخل؟

- إن هذا اليوم غير عادي ياشيخ سليم ولابد للشيخ من تأمين المقبرة تماما قبل فتحها وقد اعتدنا على مثل تلك الأمور، ولكن الغريب هذا الرعب الذي بدا على وجه الشيخ السوداني

- هل تعني أن الأمور على مايرام ياريس صادق؟

- أتمنى ذلك يا أستاذ نبيل.

يخرج الشيخ السوداني من الشقة ويجمع حوله العمال ويبدأ في توجيه نصائحه لهم

- خذوا حذركم تماما، من يرى خنفساء أو ثعبان أو أرنب أو أي كائن حي لا يقتله ويبتعد عنه تماما، إياكم وقتل أي شيء حتى ولو حشرة صغيرة ومن يفعل ذلك سوف يلبسه جن ويفعل به الأفاعيل، لقد حذرتكم، لا أريد لأحد منكم الأذية.

الريس صادق يوجه حديثه للعمال بعد أن أنهى الشيخ السوداني تحذيره

- كما قال لكم الشيخ لا تقتلوا شيئا وابتعدوا عن أي كائن حي، انتم تعرفون عملكم جيدا واعتدتم على ذلك، فقط نذكركم، واحذروا أيضا الفخاخ خاصة على باب المقبرة كونوا حذرين في غاية الحذر، سوف انزل معكم الآن، انتم خمسة أفراد، سوف أحدد لكل منكم عمله وواجبه وعليكم تنفيذ ما أقوله بكل دقة.

ينزل الريس صادق داخل الحفرة ومعه عماله الخمسة بينما يخرج الشيخ السوداني ليستريح خارج الشقة في الهواء الطلق ويقف الشيخ سليم واحمد ونبيل مشدوهين تماما وقد سيطر عليهم الرعب من الخطوات القادمة بعد أن انتابهم شعور بأن الأمور ليست بالسهولة التي تخيلوها.

استمر الحال هكذا حتى آذان الظهر، العمال في الحَفر، والقلق يسيطر على أبناء العمومة، الشيخ جالسا في الأنتظار، والريس

صادق يقف على حافة الحفرة ينادي تارة على أحد عماله أو يسمع نداء أحدهم.

بعد الآذان بحوالي نصف ساعة خرج العمال جميعا من الحفرة واتجهوا إلى الريس صادق واخبروه أنهم وصلوا إلى باب المقبرة بالفعل ولم يتبقى سوى فتحها، أسرع الشيخ سليم واحمد ونبيل إلى تجمع العمال يستمعون أليهم ويحاولون معرفة الخطوة القادمة، الريس صادق يترك الجميع ويتجه نحو الشيخ السوداني يستشيره في الأمر، الشيخ يطلب منه أن ينزل معه إلى أسفل ليستطلع الأمر.

ينزل الشيخ السوداني مع صادق ويطول غيابهما داخل السرداب المؤدي إلى المقبرة، الخوف والقلق يسيطران على الجميع في الخارج، بعد حوالي ساعة ونصف يخرج الريس صادق يتصبب عرقا والرعب يتملكه، يتجه إليه الشيخ سليم

- ماذا حدث ياريس صادق؟ ولماذا كل هذا التأخير؟ وأين الشيخ؟

- أعطوني كوبا من الماء، أريد أن أشرب.

يناوله احد العمال كوبا من الماء، يشربه الريس صادق مرة واحدة ويطلب كوبا آخر، بينما القلق يسيطر على الجميع

- يبدو أن هناك مشكلة كبيرة.

- مانوع المشكلة ياريس صادق؟

- المشكلة مع الجن الراصد ياشيخ سليم، فالجن الراصد مارد قوي ويرفض ترك المقبرة أو السماح لنا بدخولها.

- ياللهول، وما العمل؟

- الشيخ السوداني يحاول معه يا أستاذ نبيل، وقد أمرني بالخروج يبدو انه سوف يستعين بالشياطين التابعة له لمحاولة التأثير على هذا المارد أو القضاء عليه.

- وهل يستطيع الشيخ ذلك؟

- اعتقد انه يستطيع.

- مضى أكثر من ساعة والجميع حول الحجرة ينظرون ويتابعون والقلق يتملكهم. فجأة انطلقت صرخات شديدة، هبت عاصفة هوجاء وتصاعدت أدخنة تحتها رؤوس نيران مشتعلة، ساد الهرج والمرج المكان، وسُمع صوت استغاثة. نظر الريس صادق فوجد الشيخ السوداني يحاول الخروج من الحفرة وهو منهك القوى والرعب يملئ

وجهه وقلبه.. أسرع الريس صادق يساعد الشيخ على الصعود، وما أن صعد حتى سقط مغشيا عليه، أخذه الرجال بعيدا لمحاولة إفاقته، وعندما استرد وعيه طلب منهم تركه برهة لاستعادة توازنه وترتيب أفكاره واستيعاب ما حدث.

وقف الرجال بعيدا عن الشيخ، أخذوا ينظرون بعضهم إلى بعض في تساؤلات مكتومة، وبين الحين والآخر يوجه أحدهم نظره إلى الشيخ في انتظار أجوبة على تلك التساؤلات فهو الوحيد القادر على تفسير مايحدث، ولكنه صامت صمت القبور لا يتحدث،لايجيب،لايعلق.

مضى أكثر من ربع ساعة وبعدها نادي الشيخ السوداني على الجميع وكان مازال يتصبب عرقا..

- اسمعوني جيدا، إن الجن الراصد لتلك المقبرة قوي جدا وخطير جدا.. لقد حاولت أن اصرفه عن الكنز واجعله يسمح لنا بفتح المقبرة ولكنه أبى وطالبني بالانصراف والمغادرة فورا، وعندها استعنت بأعواني من الشياطين لمحاولة التغلب عليه وإزاحته بعيدا عن المقبرة فما كان منه إلا أن تحداهم جميعا ونشبت معركة وقتال كبير بينهم وللأسف قَتل العديد من أتباعي واستطعت أن أنجو بحياتي في اللحظات الأخيرة.

برقت عين الجميع، امتلأت القلوب خوفا ورعبا، ساد صمت قاتل قطعه الريس صادق

- طيب والحل ياشيخ، هانعمل إيه دالوقتي؟

- لقد فكرت طويلا في الحل ووجدت انه من الأفضل الاستعانة بالشيخ رفعت المغربي، فهو على دراية تامة بهذه الأمور،هذا بخلاف ما يحمله معه من بخور مغربي قادر على طرد الجان من المكان، وعنده من الأعوان الأشداء الكثير، فليس أمامنا الآن سواه، يمكنني التحدث إليه مساء اليوم وإحضاره غدا معي إن شئتم.

- كما ترى ياشيخ، أنا اعرف الشيخ المغربي وسوف احضر معك لمقابلته فقد تعاملنا معا قبل، ولكن المشكلة أن ما يتقاضاه هذا الرجل كثيرا جدا وربما يطلب نسبة من الخبيئة.

- اعتقد أن مايطلبه يتحمله الشيخ السوداني، فقد اتفقنا معاً أن يتقاضى الثلث في سبيل إخراج الكنز، وقد عجز عن ذلك، فليتقاسم مع الشيخ المغربي في نصيبه.

نظر الشيخ السوداني إلى أحمد نظرة غضب وعاجله بالقول

- انتظر حتى نفتح المقبرة وبعدها يكون الحساب،إن الأمور أعقد مما تتصور كثيرا، هيا بنا ياريس صادق فلنذهب على الفور للشيخ المغربي، فقد علمت انه على وشك السفر إلى بلده، وندعوا الله أن لايكون قد غادر ونضطر لاستدعائه والانتظار أسابيع حتى يحضر ثانية.

تبادل الشيخ سليم واحمد ونبيل نظرات القلق والتوجس، خرج الشيخ السوداني ومعه صادق تبعهم العمال، بينما صعد أبناء العمومة إلى شقة أحمد.

- أخشى ما أخشاه أن يكون ماحدث اليوم من ألاعيب الشيخ السوداني والريس صادق ليدخلان في روعنا عجزهم عن فتح المقبرة حتى نستجيب لعرض الحاج فتحي ونبيعها له مُغلقة.

- لقد فكرت في هذا الأمر بالفعل يا نبيل ولكن ماقولك في الأصوات التي استمعنا إليها وخوف الشيخ والرعب الذي بدا ظاهرا عليه؟ وما رأيك ياشيخ سليم؟

- لست أدري يا أحمد فقد تداخلت الأمور في بعضها البعض وليس أمامنا شيء سوى الانتظار حتى الغد لنرى ماذا سيكون.

استأذن نبيل من الشيخ سليم واحمد وصعد إلى شقته، قابلته زوجته ميرفت وبادرته بالعديد من الأسئلة.

- أنا متعب ياميرفت انتظري بعض الوقت حتى استرد أنفاسي.

- فقط أردت أن اعرف ماحدث؟

- لم يحدث شيء يبدو أن الأمور تتعقد، لم نستطع فتح المقبرة، يحرسها جن عنيد لا يريد تركها، والشيخ سوف يستعين بشيخ آخر لمحاولة التأثير على هذا الجن الراصد.

- لقد قلت لك نأخذ النقود من التاجر، مشيت وراء كلام أحمد لما هايغرقكم.

- الكلام ليس له فائدة، دعينا نستريح وسوف نري مافي الغد، أين الأولاد؟ لم أراهم اليوم .

- لقد تناولوا عشاءهم وناموا.. أحاول إبعادهم عن حوارات هذه المقبرة والعفاريت والشيوخ وهذا الأمر برمته، لا أريد أن يتملكهم الخوف والرعب.

- معك الحق، يجب أن لانتحدث أمامهم في أي من هذه الأمور.

في حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً رن جرس جوال نبيل وكان المتحدث أحمد يخبره أن صادق ابلغه بتمام الاتفاق مع الشيخ المغربي وسوف يحضر غدا.

في تمام الساعة العاشرة صباحا وصل الشيخان السوداني والمغربي وكان الريس صادق قد وصل قبلهما بساعة تقريبا ومعه عاملين فقط فقد أدرك أن الأمر بات وشيكا وليس بحاجة إلى خمسة عمال.. طلب الشيخ المغربي النزول إلى المقبرة بصحبة احد العمال حتى يدله على الطريق وينير له ظلمة المكان على أن يعود العامل وبعدها بنصف ساعة ينزل إليه الشيخ السوداني بعد أن يكون قد رتل تراتيله وتعاويزه وأطلق بخوره، وقد كان له ما أراد. انتظر الجميع نصف ساعة على أحر من الجمر وكأنها دهر كامل، بعدها أضاء لنا الشيخ المغربي بالكشاف الذي معه وهى العلامة المتفق عليها لنزول الشيخ السوداني واللحاق به ليعملا سويا ويساعد بعضهما البعض. انتظر الجميع أكثر من ساعة بعد ذلك وبعدها خرج الشيخان يتصببان عرقا وقد نال منهما الجهد مانال. أسرع الجميع إليهما للاستفسار عما جد، وكم كانت المفاجأة صاعقة.

أخبرهم الشيخ المغربي انه لم يستطع التغلب على المارد الراصد، ولكن بعد أخذ وعطاء استطاع أن يصل معه إلى اتفاق يجب تنفيذه حتى يغادر المقبرة ويترك لهم الكنز، والاتفاق هذا نهائي لا رجعة فيه فهو طلبه الوحيد ولن يترك المقبرة بغيره، وقد كان هذا الطلب هو الكارثة بعينها.

أخبرهم الشيخ المغربي بكلمات مترددة راجفة أن المارد الراصد طلب دم طفل يسال على باب المقبرة.

جحظت عيون الجميع، وتساءل أحمد

- ماذا تعني بدم طفل؟

- ما أعنيه هو ذبح طفل على باب المقبرة.

وهنا صرخ الشيخ سليم..

- ذبح طفل! ماذا تقول؟هل تعي ماتقول؟ والله لن يكون هذا أبدا، هل انتم مجانين؟ ذبح طفل، ذبح طفل، ذبح طفل!

ظل الشيخ سليم يكرر في الجملة ويضرب كفا بكف وهو غير مصدق ماسمعه، والشيخ المغربي ينظر إليه في تعجب، والشيخ السوداني يلملم أدواته، بينما وقف أحمد ونبيل وصادق والبلاهة واضحة على وجوههم غير مستوعبين الأمر. أشار الشيخ المغربي للشيخ السوداني بالانصراف، التفت إلى أبناء العمومة وحدثهم بصوت الواثق من عمله

- فكروا في الأمر جيدا، وبالمناسبة دي موش أول مرة تحصل، كل المردة الأقوياء بيطلبوا دم قبل فتح المقبرة، وأنا كنت جاي ومتوقع كده لما حكى لي الشيخ السوداني على اللي حصل معاه، الجن اللي عندكم موش هين وموش سهل واستحالة تفتحوا المقبرة بغير تنفيذ طلبه وإلا اللي هايحاول فتحها هايموت في ساعتها.

غادر الجميع البيت وبقي الشيخ سليم واحمد ونبيل غير مصدقين ماحدث. مضت أكثر من ساعتين، وبعد أن استعاد الجميع هدوئهم واستوعبوا الموقف دار بينهم نقاش كبير تدخل فيه العقل أحيانا ولعبت العاطفة دورها أحيانا أخرى، وتغير وجه أحمد كثيرا وجحظت عيناه أكثر من مرة وتدفقت الكلمات الشيطانية على لسانه كثيرا، وأصاب نبيل الرعب من بعض تلك النظرات خاصة عندما تعلق الأمر بذبح طفل.. انتهى النقاش بالرفض القاطع من الشيخ سليم لفكرة ذبح طفل حتى وان اضطر إلى ترك الأمر برمته وردم ماتم حفره، بينما نبيل أصر على موقفه بضرورة بيع المقبرة للحاج فتحي قبل فتحها، واحمد لم يبدِ ردا قاطعا أو يصل إلى قرار وإن كان قد شكك في كلام الشيخان وطلبهما هذا الغريب معزيا ذلك لمحاولتهما التأثير عليهم للبيع وهو مايرفضه تماما، انتهى النقاش ولم يصلوا بعد إلى حل.

صعد نبيل إلى شقته، سأل زوجته عن الأطفال فأجابته بأنهم يلعبون في حجرتهم، طلب منها أن تأخذهما صباح الغد إلى بيت جدتهما وتظل معهم ولا تأتي إلا بعد فتح المقبرة والانتهاء منها تماما، فقد تملكه الرعب من نظرات ابن عمه أحمد وهو يتحدث عن خطف طفل أو ذبحه أذا اضطرته الأمور إلى ذلك وخشي على أولاده بعد تلك النظرات الشيطانية التي قرأ فحواها أثناء جدلهم في هذا الأمر،

استجابت ميرفت لطلب زوجها فقد أدركت أن الأمور باتت خطيرة وربما يفلت الزمام. جلس نبيل في الصالة يدخن سجائره ولم يذق النوم إلا في الساعات الأولى من الصباح، بينما أحمد ظل يتحاور مع نفسه ويضع الحلول والبدائل حتى آذان الفجر، طلب من أخيه الشيخ سليم التحدث سويا بعد صلاته، تناولا إفطارهما وبعده ألقى أحمد بالمفاجأة التي جعلت رأس أخيه تدور ولايعرف بماذا يرد، فقد أخبره أحمد بقراره بالقيام بنفسه بفتح المقبرة، فهو لم يقتنع بكلام المشايخ ويعتقد أن ماحدث لعبة من ألاعيبهم لإجبارهم على البيع وهو مايرفضه تماما، حاول الشيخ سليم إثناء أحمد عن هذا القرار وتوضيح خطورته عليه خاصة إذا كان حديث الشيخان صحيح، غير أن حديثه ذهب هباء فقد استطال وجه أحمد وانسابت من فمه الكلمات وجحظت عيناه وأصاب الرعب قلب الشيخ سليم وطلب منه مرافقته طالما قد أصر على هذا القرار فربما يكون عونا له ويساند أحدهما الآخر، وافق أحمد واتجه الأخوان إلى الحفرة وفي يد كل منهما مطرقة وكشاف من أدوات العمال التي تركوها في البيت لحين عودتهم لاستكمال الحفر.

* * *

أخذ أحمد يضرب جدار المقبرة بالمطرقة في همة ونشاط وإصرار كبير على الانتهاء من هذا العمل الذي سيطر على حياتهم وفكرهم في الأيام الأخيرة، بينما الشيخ سليم يضرب الجدار بجوار أحمد في ضربات متباطئة والخوف يملأ قلبه،ومع كل ضربة من مطرقته يتذكر حديث الشيخين لهما فتكاد يده تتصلب وجسده يتخشب، فهو وإن كان قد وافق أحمد على فكرته وهَم بالتنفيذ معه إلا أن قلبه غير مطمئن تماما لهذا الفعل ولكن الأمر ليس بيده فالعوالم الخفية قد تمكنت من قراره وهاهو يستجيب،والضربات مازالت تتوالى على باب المقبرة، فجأة صرخ الشيخ سليم صرخة مدوية رجت المكان وكاد يغشى عليه؛على إثرها قذف أحمد مطرقته بعيدا وحاول الفرار ظناً منه أن نبؤة الشيخ قد تحققت. صرخ أحمد في الشيخ سليم

- ماذا حدث؟

أجاب الشيخ سليم بكلمات متحشرجة ولسان كاد يسيطر عليه الخرس.

-أنظر يا أحمد في هذا الركن.

أشار الشيخ سليم إلى الركن في الشمال حيث يوجد قط أسود ضخم ينظر إليهما نظرات متنمرة وعيناه تقدحان بالشرار

- ماهذا ياسليم؟

- لا أدري، ولكن ربما يكون هذا هو المارد الراصد الذي تحدث عنه الشيخ المغربي. قالها سليم وقلبه يخفق وجسده يرجف

- لا،لا،لا أظن هذا، ربما يكون قط من قطط المنطقة تسلل ليلا إلى المقبرة وحُبس في هذا المكان ولم يستطع الخروج، عموما دعك منه وهيا بنا نستكمل الحفر.

- دعنا يا أحمد من هذا الأمر، الخوف يملأني، لن أكمل معك فتح المقبرة اشعر أن نبؤة الشيخ سوف تتحقق وان الجن الراصد سوف يقتلنا مالم نستجب لطلبه .

- أي طلب هذا يا سليم، هل تستجيب له وتذبح طفل؟

- لا لا طبعا، بل كنت سأترك الأمر كله، كيف نقتل طفلا؟ هذا تخريف وكلام لايصدق.

- إذا هيا بنا نستكمل فتح باب المقبرة لقد بتنا على بعد دقائق من فتحها.

- أنا خائف.،فلندع هذا الأمر يا أحمد.

استطال وجه أحمد وبرقت عيناه وأرغى وأزبد.. بينما أصاب القط الأسود حالة هياج وصراخ وأخذ يجري في المكان وفجأة قفز على أحمد وتشبث بذراعه في محاولة لقضمه، فما كان من أحمد إلا أن أمسك به من رقبته محاولا قتله، سليم يحاول إثناءه عن قتل هذا القط ويذكره بقول الشيخ بعدم قتل أي كائن حي في المقبرة ولكن أحمد كان قد بلغ به الغضب منتهاه وتغيرت ملامحه تماما.فجأة هبت زوبعة ساخنة في المكان أثارت الأتربة حولهما ولم يعد يُسمع سوى صوت صراخ أحمد وزمجرته وعواء ومواء غليظ يصدره القط، والشيخ سليم لاحول له ولاقوة يقف مكتوف الأيدي، وماهى إلا دقائق قليلة حتى هدأت الزوبعة وهرب القط تاركا ذراع أحمد وفر سريعا من أمامهما واختفى فجأة عن الأنظار وكما جاء ذهب لا أحد يعلم من أين أتى ولا أين ذهب. أحمد يتصبب عرقاً بينما ضربات قلب الشيخ سليم يكاد صوتها يرج المكان. وقف الاثنان قبالة بعضهما البعض، أحمد يتحسس مكان عضة القط فلم يجد لها أثرا ولم ينزف الدم كما توقع. نظر أحمد إلى الشيخ سليم وقال له بهدوء

- هيا ياشيخ سليم نستكمل ما بدأناه.

- قل لي يا أحمد، هل تركت ورقة مكتوبة لنبيل تخبره إننا داخل المقبرة كما طلبت منك قبل أن ننزل إلى هنا؟

- نعم ياشيخ سليم، ولكن لماذا هذا السؤال؟

- أخشى أننا لن نخرج من هنا، لذلك أردت التأكد من أن أحدا سوف يعلم بمكاننا.

- ياشيخ سليم لايكن قلبك ضعيفا، هيا بنا نستكمل العمل واستهدي بالله.

استمر الشقيقان في تكسير ماتبقى من باب المقبرة وكلما زاد صدى صوت المطارق أدركا أنهما قد باتا على مقربه من كنزهما الذي يبحثان عنه. في إحدى الضربات القوية من مطرقة أحمد انشق

فجأة الباب وأحدث فجوة صاح على إثرها أحمد صيحة فرح معلنا فتح المقبرة

- انفتحت المقبرة ياشيخ سليم، هيا ساعدني لإزاحة هذا الحجر الكبير.

تكاتف الشيخ سليم واحمد في دفع احد الأحجار الكبيرة ثم أخذا يزيحان بعض الأحجار المتراكمة حوله ويضربان بمطارقهما يوسعان الباب .ظلا على هذا الحال حتى تمكنا من شق فتحة تتسع لدخولهما إلى المقبرة

- يكفي اليوم ماقمنا به يا أحمد ولنستكمل النزول للمقبرة غدا حتى نأخذ قسطا من الراحة بعد هذا المجهود الكبير الذي بذلناه اليوم وأيضا نأتي بنبيل معنا.

- لقد انتهت مرحلة التعب يا شيخ سليم، لن نفعل شيئا ثانيا، فقط سوف ننزل ونري ما بداخل المقبرة ونصور مابها ثم نعود أدراجنا من حيث أتينا، لاتقلق كلها دقائق فقط نطمئن على نتيجة عملنا طيلة هذه المدة، هيا ياشيخ سليم أنير لي الطريق وسوف انزل أولا ثم اتبعني.

- ولكن عليك توخي الحذر يا أحمد، فالأمور لم تتضح بعد ولانعلم ما بالداخل، وكما قال الشيخ لاتقتل شيئا حيا أبدا.

- لاعليك ياشيخ سليم هيا بنا..

نزل أحمد وتبعه الشيخ سليم وكان أسفل الباب عدة أدراج من الرخام تتجاوز العشرين سلمه، نزل الشقيقان، أضاءت كشافات أحمد وسليم جميع أنحاء المقبرة، وكم كانت المفاجأة التي ألجمتهما وأخرست لسانهما بعدما رأوه من كنوز وتحف فرعونية مطلية بالذهب الخالص تملأ جوانب المقبرة، بينما تتوسط المقبرة مومياء محنطة داخل تابوت غطي بالذهب اللامع وعلى مقربة منها عدد من المومياوات المحنطة. وبينما هما مشدوهان بهذه المناظر الخلابة التي ذهبت بعقلهما بعيدا هبت عاصفة ساخنة تصاعدت على إثرها الرمال واهتز جسد أحمد اهتزازا له مغزى بينما كاد قلب سليم أن ينخلع من الخوف. فجأة ظهر القط الأسود من خلف التابوت واتجه نحوهما مباشرة والغضب بادي على وجهه وعيناه تقدحان بالشرر بينما أنيابه الزرقاء تخرج من فمه وتستطيل لأعلى وأسفل حتى إذا فتح فاه بدت وكأنها أنياب نمر أو أسد جائع يستعد لالتهام فريسته، هاهو يقترب

منهما في خطوات ثابتة ويبدوا أنه قد اتخذ القرار بالهجوم وهاهو يستعد لتنفيذه. في تلك اللحظة تهتز جدران المقبرة بصوت هادر كأنه جاء من أعماق الماضي لاتسمعه بأذنك ولكن يهتز معه جسدك وتقشعر خلاياك

-كاردل القاتل،جاء الآن دورك، أحذر الجن الراصد سوف يقتلهما عليك به وإياك وقتله،

تتصاعد الزوبعة الترابية ويلتهب جو المقبرة، يثور القط الأسود ويصرخ صرخات غضب شديدة وفجأة يهجم على الشيخ سليم، يسقط الشيخ سليم على الأرض، أحمد يحاول العثور على شيء لضرب القط، في لحظات قليلة يظهر ثعبان كبير ذو عده قرون يصدر فحيحا مرعبا.. يقفز باتجاه القط، القط الأسود يترك سليم ويستدير بسرعة لمواجهة الثعبان، يقف كل منهما قبالة الآخر ويدور بينهما حديث بلغة غير مفهومة يتخللها فحيح مرعب ومواء قاتل

- اترك المقبرة واذهب بعيدا أيها الجن الراصد.

- كيف تأمرني أن اترك عملي ياكاردل.

- نحن في مهمة رسمية لعالم الجن والشياطين، إنها مهمة قومية لابد أن تساعدنا فيها وتستجيب لطلباتنا.

- وأنا أيضا في مهمة رسمية ولن اترك عملي المكلف به.

- اترك مكانك وإلا كان عقابك مرعباً.

- بل اذهب أنت وإلا شكوتك لقاضي القضاة شمهورش وأنت تعلم قوة هذا المارد.

كشر القط عن أنيابه وأخذ الثعبان وضع الهجوم وقامت بينهما معركة شديدة،تصاعدت الأتربة في أرجاء المقبرة وزادت سخونة الجو إلى درجة غير محتملة؛ بُهت الشيخ سليم ومعه أحمد ووقفا لايعرفان ماذا عليهما فعله، حاولا الخروج والهروب من المقبرة ولكن أقدامهما لم تسعفهما ولم يقدرا على الحركة خطوة واحدة، تضخم حجم الثعبان فجأة وبرقت عيناه واستطالت قرونه واخذ وضع الهجوم القاتل بينما تضاءل القط الأسود في أحد الأركان مكشرا عن أنيابه. في تلك اللحظة تدخل المارد ناصور صارخا في المارد كاردل، لاتقتله، لاتقتله، هذه أوامر المارد دنهش، تراجع الثعبان قليلا، وسُمع في الأجواء صدى صوت المارد دنهش

- هيا ياناصور، أريد معرفة قبيلة هذا الجن الراصد.

- انه من قبيلة نصيبين، وكما تعلم فهي من أقوى القبائل.،ياللهول يبدو أن الجن الراصد قد ابلغ قبيلته بعد أن علم بوجودنا مع كاردل، ها هم على مقربه من البلدة جاءوا لنصرته والوقوف بجانبه، ماذا نفعل يا دنهش؟

- انتظر قليلا .

- مضت حوالي خمسة دقائق كانت بمثابة الدهر على جميع من في المقبرة أنس وجن معا، الجميع متحفز في انتظار معركة قاتله لايعرف مداها إلا الله ولا يدري أحد من هم ضحاياها.

انفرجت أسارير القط الأسود بعد علمه بأن قبيلته أرسلت له خير جنودها لمساعدته والقتال بجانبه بعدما وصلتهم رسالته بطلب الدعم والاستنجاد بهم . في نفس الوقت اتخذ الثعبان وضع الاستعداد الكامل للقتل، واستعد ناصور والمردة المعاونين لدنهش لهذا القتال المروع، فردت نائلة أم الشعور شعرها الطويل لتغطي به أركان المقبرة جاعلة منه غطاءا لأنصارها وحاجزا لايمكن للغريب تجاوزه. في تلك اللحظات التي التهبت فيها الأجواء إلى الدرجة القصوى حضر المارد دنهش وسلم رسالة للمارد ناصور ليسلمها للجن الراصد، أخذها القط الأسود بحذر شديد واخذ يقرأ بصوت مرتفع يتخلله مواء مرعب

- من إبليس ملك الجن الأعظم ، خالد خلود الزمان والمكان، إلى الجن الراصد، اترك مكانك واذهب بسلام لقد انتهت مهمتك اليوم، اترك المقبرة وخذ قبيلتك واذهب بعيدا فورا دون جدال.

قرأ القط الرسالة وأخذ يجول بنظره في أرجاء المقبرة، تحدث بحديث غير مفهوم لشياطين غير منظورة حوله، ثم وضع ذيله بين رجليه وتضاءل حجمه وفجأة اختفى تماما من المكان. سرعان ما أن هدأت الأجواء وانقشع الغبار وعادت الأمور سيرتها الأولى، بينما الشيخ سليم وأحمد يقفان لايدريان من أمرهما شيئا وكأنهما في حلم أو كابوس في ليلة حالكة الظلام شديدة السواد.

* * *

الساعة تجاوزت الحادية عشرة قبل الظهر عندما نزل نبيل إلى شقه أولاد عمه، قبل أن يضغط الجرس شاهد ورقة تم تثبيتها على الباب يخبره فيها أحمد بنزولهما المقبرة لاستكمال الحفر ، لم يصدق نبيل نفسه، هل من الممكن أن يكون هذا صحيحا؟ ولكن كيف؟.هل ذبحا أحد الأطفال كما طلب الشيخ أم أنهما توصلا لحل آخر؟ وهل نزلا بمفردهما أم أنهما اصطحبا معهما أحد المشايخ؟ وفي كل الأحوال لماذا تلك العجلة؟ ولماذا لم ينتظراه لينزل معهما؟ أسئلة كثيرة دارت في رأس نبيل ولكنه تمالك نفسه وأخذ يفكر فيما يجب فعله، أخيرا استقر على اللحاق بهما،نزل نبيل إلى شقة الشيخ سليم التي ضاعت معالمها تماما جراء الحفر واتجه مباشرة إلى الحفرة وسلط ضوء المصباح إلى جوفها فلم يجد أحدا ، أخذ ينادي على أحمد والشيخ سليم ولكن لاحياة لمن تنادي ولم يجاوبه مجيب؛ انتاب الشك نبيل، ارتفع صوته بالنداء، ولكن لامجيب،سرى الخوف في نفسه وقرر عدم المغامرة بالنزول، غادر المكان وأغلق البيت واتجه إلى حيث توجد زوجته التي غادرت شقتها بناءً على طلبه وذهبت إلى أمها مع أولادهما بعد أن خشي عليهم من نظرات أحمد ووسوست له نفسه بإمكانية تفكيره في قتل أحدهما، فوجئت الزوجة بزوجها يأتيها مسرعا والقلق يسيطر عليه

- ماذا بك يانبيل؟ ولماذا يبدو عليك الخوف والقلق هكذا؟

- فوجئت اليوم برسالة من أحمد يخبرني فيها بنزوله مع سليم المقبرة، وعندما ذهبت أليهما وناديت عليهما لم يجبني احد، وأخشى أن يكونا قد ماتا أو حدث لهما مكروه.

- ياللهول، ولكن لماذا لم يخبراك قبل نزولهما؟

- لست أدري.

- الأمرغير مفهوم يانبيل وأخشي أن يكون قد دخل الطمع قلبهما وقررا الحصول على ما في المقبرة لنفسهما.

- هل تظنين ذلك؟

- اعتقد هذا هو الاستنتاج الأقرب والأوقع.

- وماذا أفعل الآن؟ أشعر أن عقلي مشلول، لا أكاد استقر على رأي.
- انتظر سوف احضر معك وننزل معا إلى المقبرة .
- لا، أخشى عليكِ، ولكن دعيني أولا أتحرى الأمر، ربما كان معهما الشيخ السوداني أو المغربي أو صادق، سوف أحاول الوصول للحقيقة وأعود إليك في الغد.
- اوك ياعزيزى، حاول أن توافيني بكل جديد وكن على اتصال دائم معي.
- سوف اتصل بك إذا جد جديد.
ترك نبيل زوجته وغادر المكان،وقبل أن يأخذ قراره بالجهة التي سوف يذهب إليها اتصل برئيس العمال صادق.
- أهلا ياريس.
- من معي؟
- معك نبيل ابن عم الشيخ سليم .
- آه.. أهلا أستاذ نبيل.
- فقط كنت أريد أن اعرف هل الشيخ السوداني موجود؟
- نعم موجود وهو معي الآن، هل تود محادثته؟
- لا.. لا شكرا.. فقط كنت اسأل.
- عملتم إيه في المقبرة ماحدش رد علينا بخصوصها.
- أنت ماقابلتش أحمد أو الشيخ سليم اليوم أو بالأمس.
- لا.. هل حدث شيء، مصيبة أن يكون أحدهما فكر في النزول للمقبرة،أصدقني القول يا أستاذ نبيل.
- لا لا.. لا أظن.
- لا تظن! ماذا تعني؟ هل هما غائبان وأنت لاتعلم مكانهما؟ هل نزلا المقبرة دون علمك؟ أجبني بصراحة يا أستاذ نبيل.
- لا أعلم... لا أعلم.
أغلق نبيل المحمول وقد تأكد أن أولاد عمه لم يصطحبا أحدا معهما..ولكنه أثار ريبة رئيس العمال صادق. قبل أن يتجه إلى البيت خطرت في رأسه فكرة غريبة ولكنه قرر أن يتأكد بها من هاجس في

نفسه، فربما خرج أبناء عمه من البيت كالمعتاد وذهب الشيخ سليم إلى معهده ويكون أحمد الآن مع عشيقته الراقصة ليلى،إن الملهى قريب من هنا فليذهب ويتأكد، ولكنه تذكر انه في وقت الظهيرة والملاهي تغلق أبوابها نهارا، ولكن ما العمل وهو لايعلم رقم هاتف ليلى ليحدثها ويسألها عن أحمد، تذكر أنه يعرف عنوان بيتها بعدما أوصلها مع أحمد بعد إحدى السهرات في الملهى. أشار نبيل إلى تاكسي واتجه إلى منزل الراقصة ليلى،فتحت ليلى الباب بثياب النوم وهى تتثاءب فبالكاد كانت قد خلدت إلى النوم بعد عودتها فجرا إلى بيتها

- أسف يامدام ليلى أن أيقظتك من النوم .

- لا أبدا، أنت مين؟

- أنا نبيل ابن عم أحمد.

- آه تذكرتك الآن، خير هل حدث شيء؟

- فقط جئت أسالك عن أحمد، هل رأيته اليوم أو كان معك بالأمس؟

- لا.. ولكن لماذا هذا السؤال هل حدث له مكروه؟

- لا لا، فقط كنت اسأل، أكملي نومك، إلى لقاء.

- انتظر يا أستاذ نبيل، إيه اللي حصل بالضبط؟ أنا متابعه مع أحمد قصة المقبرة وقد أخبرني بالأمس انه ينوي النزول إلى داخلها مع أخيه وطلب مني إبلاغ الشيخ السوداني إذا حدث لهما مكروه أو إذا تأخر في الحديث معي على الهاتف،وقد أعطاني رقم موبايل هذا الشيخ.

- إيه دا! يعني أنتِ عارفه موضوع المقبرة؟

- ايوه، أحمد لا يداري عني شيئا

- طيب.. المشكلة الآن أحمد ترك لي ورقة يخبرني فيها بنزولهما المقبرة فجر اليوم، وأخشى أن يكون قد حدث لهما مكروه.

- وماذا سوف تفعل الآن؟

- لا أدري، ربما أتحدث إلى الشيخ السوداني، أو...

قاطعته ليلى

- بلا.. انتظر.. الشيخ سوف يخبر صادق والجميع، انتظر سوف أبدل ثيابي وأتي معك، ربما أمكننا النزول سويا واستطلاع الأمر، فلو

أراد أحمد إبلاغ الشيخ لكان قد أبلغه بنفسه قبل النزول، دعنا نحاول أولا.

أومأ نبيل برأسه دلالة الاقتناع والموافقة، تناول القهوة.، بدلت ليلى ثيابها، خرج الاثنان، ركب نبيل السيارة الأجرة وبجواره ليلى في الكنبة الخلفية وراء السائق،انطلقوا إلى المقبرة.

* * *

مرت عدة دقائق قبل أن يستعيد الشيخ سليم وأحمد رباطة جأشهما إلى حد ما، استطاعت أرجلهما أن تستجيب لهما وتنتقل بهما من مكان إلى آخر داخل المقبرة،تحرر لسانهما داخل فمهما بالنطق ،نظر كل منهما للآخر وهاتف داخلهما دعاهما لاستكمال الأمر وحثهما عليه فسارا في المقبرة يتفحصان مابها، ينعقد لسانهما تارة وينطلق تارة أخرى مما يشاهدانه من الكنوز والمحتويات التي تملئ المقبرة وبما يزين جدرانها. في تلك الأثناء كان المارد دنهش يطلق الإشارة ويعطي أعوانه الضوء الأخضر بمباشرة عملهم إيذانا ببدء عمليتهم الكبرى؛ وهنا انفرجت أسارير المارد كاردل بعد أن أخذ الأمر بالقتل ومباشرة مهامه الطبيعية. في لحظة واحدة تبدلت الأحوال وخيم الظلام على المقبرة وارتفعت حرارة الجو مع هبوب عاصفة هوجاء تخللها فحيح قاتل اقشعرت له أبدان سليم واحمد وأخذا يتلفتان حولهما، تذكر سليم أنه يحمل في جيبه كشافا احتياطيا، أخرجه بسرعة وقبل أن يضيء مصباحه فوجئ بضوء كضوء الشمع ينير أرجاء المقبرة حتى أنه لم يستطع فتح عينيه للحظات، وما أن تمكن الأخوان من رؤية ماحولهما حتى هالهما مشاهدة الثعبان الشيطاني مرة أخرى يتلوى ويزحف باتجاههما، تقدم أحمد نحوه وحاول دهسه بقدمه ليقتله، وهنا أمسك الشيخ سليم بقدم أحمد محاولا إثناءه عن تلك الفعلة ومذكرا إياه بقول الشيخ.. ولكن أحمد لم يأبه بتحذير الشيخ سليم وداس على رأس الثعبان بقوة، وماهى إلا لحظات حتى تضخم الثعبان واستطال جسده واحمرت عيناه وبرزت قرونه وتجاوز طوله المترين وانشطرت رأسه القبيحة إلى رأسين متشابهين اتجهت كل منهما إلى أحد الأخوين وخرج منهما فحيح لاتسمعه الأذن بل يتغلغل بين الخلايا والضلوع ويستقر في القلب فيملؤه رعبا ويسري في الجسد يُيبس لحمه ويُهيش عظامه

- لقد حانت الساعة التي انتظرتها طويلا، لن أريحكما وأقتلكما سريعا، لن أريق دماءكم ولن أسيل أرواحكم ونفوسكم كسريان الدم في العروق، سوف أقتلكما ببطيء شديد، سوف أتلذذ بموتكما، وستغادركما أرواحكم ونفوسكم قطرات قطرات متباعدة متنافرة،

سترون العذاب ألوانا، هذا جزاءكم أيها الآدميين أولاد ادم عدونا اللدود.

إحدى رؤوس الثعبان تتجه للخلف وتتحدث إلى نائلة

- هلم يا أم الشعور هل أمرتي أعوانك بما اتفقنا عليه؟

- لقد جهزنا كل شيء، هاهى القوارير المسحورة، كل قارورة تحمل اسم صاحبها، ولكل منهما ثلاث قوارير أحداها لروحه والأخرى للنفس والثالثة للجسد.

- عظيم.. حاذري أن تختلط القوارير بعضها مع البعض، فلنحتفظ بقوارير كل منهما معا.

في ضحكة أنثوية شيطانية مائعة تُطمئن نائلة المارد كاردل

- اطمئن يا كاردل كل شيء تم تجهيزه بطريقة شيطانية ماهرة، فقط كنت أريد أن أضاجعهما قبل أن تقتلهما وتتحول أجسادهما إلى قطرات توضع في تلك القوارير.

- الصبر يا أم الشعور، لم يأتني الأمر بهذا بعد، انتظري إلى أن يحين الوقت المناسب ويجيء دورك.

- يالكم من شياطين أوغاد، أريد ممارسة حياتي وعملي، لماذا تحرموني من حقي في مضاجعة البشر، لا أستطيع صبرا على هذا الأمر، بحق إبليس العظيم لأشكوكم إلى القاضي شمهورش، وهو من سوف يعطيني حقي، وعندها سيأخذني الشبق لمضاجعة كل الرجل ولن يستطيع أحد أن يمنعني عن أداء عملي الذي خلقت له وأعشقه.

نظر كاردل إليها طويلا واستدار ثانية نحو أحمد وسليم، انتفخت أوداج الثعبان وتطاير الشرر من عينيه وأطلق فحيحا صم الآذان ونفث السم من أنيابه كقطرات المطر في ليلة شتوية سوداء فاخترق أجساد أحمد وسليم فارتعشت وتيبست وسرعان مافقدت الإحساس، ألتفت رؤوس الثعبان حول رقبة أحمد وسليم تعصرهما بقوة،وغُرست الأنياب في مؤخرة رأسيهما بينما التف جسد الثعبان حول جسدهما وأخذ يعصرهما بقوة شعرا معها أن روحهما تفارقهما؛ أدرك الأخوان أنهما مقتولان لامحالة فاستسلما للأمر وأخذا ينظران بعضهما إلى بعض والخوف القاتل يقربهما إلى الموت بينما كاردل يعمل بهمة ونشاط لإنهاء عمله وهو في نشوة وسعادة، ينتهي كاردل من عمله، وقبل أن يسقط الجسدان على الأرض تتلقفهما شياطين خفية ،تمتلئ

المقبرة بالأشباح السابحة في أجوائها، البعض يُحلق ليستخلص الأرواح من مكانها ويساعده آخرون، وأشباح أخرى تستخلص النفوس وتحوط عليها حتى لاتنسكب بعيدا، العمل يقوم على قدم وساق، يشكو أحد الأشباح من روح أحمد ويصفها بالمتعبة المتمردة، يتكاثر الأشباح حولها حتى يتم السيطرة عليها، تقوم الأشباح بتسليم الأرواح والنفوس لعدد من الشياطين لاستخلاصها وتهيئتها لوضعها في البواتق السحرية التي أعدت لذلك، يتجه عدد من الأشباح نحو الجسدين المسجيين، يتناوبوا العمل على أجساد أحمد وسليم حتى تختفي تماما وتتحول إلى حفنة صغيرة من الخلايا يتم وضع كل حفنة في لفافة مسحورة وتسليمها إلى أحد المردة الأقوياء الذي يقوم بدوره بوضعها في البوتقة المسحورة الخاصة بها بعد إزالة اللفافة التي تم تغليفها بها. بعد حوالي ساعة ينتهي كل شيء ويأمر المارد دنهش معاونيه بالانصراف وتركه بمفرده مع القوارير المسحورة التي احتوت أحمد وسليم.

* * *

يتردد صدى صوت المارد دنهش في أرجاء المقبرة، صوت قادم من الأزمنة الغابرة السحيقة متبوعا بفحيح ترتعد له القلوب،بينما تشتعل حرارة المكان لدرجة لا يطيقها بشر، يطلق دنهش صوتا رعديا مناديا المارد ناصور للحضور في التو واللحظة؛ ينطلق إعصار من الرياح الساخنة وتنتشر غيمة من الأتربة تملئ جو المقبرة، لايُسمع سوى الفحيح الشيطاني بين الماردين دنهش وناصور

- لقد أتممنا كل شيء أيها المارد ناصور وأريد أن أوكل إليك تلك المهمة الصعبة ولكن دعني في البداية استأذن ملك الجن الأعظم ببدء المهمة.

- وأنا على أتم الاستعداد أيها المارد العظيم، فقد أمرنا الملك الأعظم بأن نكون في خدمتك وإطاعة أوامرك إلى أن تنتهي تلك المهمة.

- انتظرني هنا ولا تبرح المكان أيها المارد.

إعصار ناري يتوهج ثم ينطلق خارجا من المقبرة سريعا، بعد دقائق قليلة تعود الأجواء إلى طبيعتها وتهدأ الأمور ويبدأ الحديث الشيطاني بين الماردين الخطيرين.

- تحدثت مع إبليس ملك الجن الأعظم بخصوص بدء المهمة، وقد وافق وأعطى أوامره بإسناد تنفيذها للمارد الشرس ميمون أبانوخ أو الملك زوبعة، فهو يرى أنهما خير من يقوم بهذا الأمر؛ ولذلك أعفيك من تنفيذ المهمة وسوف أوكل بها للمارد ميمون أبانوخ.

- السمع والطاعة لأوامر ملك الجن الأعظم، سوف تجدني أيها المارد دنهش وقتما تريد لتنفيذ ما تطلبه.

- بأمر ملك الجن الأعظم أستدعيك أيها المارد ميمون أبانوخ، فلتأتي في التو واللحظة.

تضيء المقبرة بضوء احمر كالنار المتوهجة تصاحبه عاصفة هوجاء من الدخان الأسود الكثيف، أصوات ضجيج الجن والشياطين اللذين تم استدعائهم لمساعدة ميمون أبانوخ في مهمته، بعد دقائق تهدأ الأمور وينطلق صوت غاضب قوي ترتعد منه الجن والشياطين المساعدة وتنزوي بعيدا في أركان المقبرة خوفا من هذا المارد

الشرس الذي تم استدعاءه للقيام بالمهمة، يدور حديث شيطاني يغلفه فحيح كالسم الزعاف الذي يحوي الموت لكل من يتعرض له دون أن يأخذ حذره التام.

- لقد جئتك أيها المارد دنهش بعد أمر من ملك الجن الأعظم خالد خلود الزمان والمكان.

- أنت معنا من الآن أيها المارد ميمون ، فقد وقع الاختيار عليك لقوتك وشراستك وكفاءتك التي يشهد بها الجميع.

- حضرت لتنفيذ أوامرك، لقد أمر ملك الجان الأعظم جميع ملوك الجن بالعمل في خدمتك حتى الانتهاء من تلك المهمة القومية ، وقد اطلعت على الأمر برمته، هلم يادنهش أنا جاهز لتنفيذ المهمة، فقط أمدني بالمساعدين وبعض سرايا الجن لخدمتي والعمل على تنفيذ أوامري.

- لك ماتريد ياميمون، هاهم المساعدين يتراصون خلفك، وأمرت ملوك البحار لإرسال عددا من أشرس الشياطين لمعاونتك،ولكن احذر الخطأ أيها المارد الشرس، وعُد لي إذا صادفك أمر خارج عن إرادتك فأنا كفيل بعلاج كل شيء ولدي السلطة لعمل ذلك، هاهى القوارير السحرية تم تجهيزها ومعها المساعدين اللذين سوف يعيدون كل شيء إلى أصله ، الأمور كلها معدة على أكمل وجه، سوف يعمل معك العفريت "طارش" حاكم كل قرين، وهو موكل بالوسوسة في نفوس تلك القوارير بالمطلوب منهم حتى يتم الانجاز في أسرع وقت وننتهي سريعا من تلك المهمة، هلم باشر عملك أيها المارد الشرس، انطلق بهذه القوارير إلى بداية الخلق، عُد بعجلة الزمان إلى الوراء، هل فهمت ما أعنيه؟

- أمرك أيها المارد دنهش.

المارد ميمون أبانوخ ينظر إلى أعوانه ومساعديه ويدور حوار شيطاني سريع تهتز على إثره المقبرة وتثور الأتربة الساخنة يتبعها إعصار قوي سرعان ما ينطلق خارجا من باب المقبرة بسرعة رهيبة.. فجأة يحل الهدوء على المقبرة ويسود الصمت القاتل وتختفي القوارير السحرية التي تحوي أرواح ونفوس وأجساد الشيخ سليم وأحمد.

* * *

يصل نبيل مع الراقصة ليلى إلى البيت، يتوجهان سويا نحو شقة أحمد للتأكد من عدم وجوده بها والتيقن من أن الشقيقين لم يعودا بعد، فقد أرادا قطع الشك باليقين قبل أن يقررا ماسوف يفعلانه في الخطوة القادمة. طرق نبيل الباب كثيرا، دق الجرس عدة مرات ولما لم يجب أحد نظر إلى ليلى التي عاجلته بالقول

- لا أحد بالشقة يا أستاذ نبيل، هيا بنا من هنا يجب أن ننصرف.

- هل تظنين أنهما مازالا بالمقبرة حتى الآن؟ الوقت تجاوز الظهيرة، وتلك مدة طويلة على بقائهما؛ أخشى أنهما قد خرجا ومعهما بعض الكنوز واتجها بها إلى مكان ما..

- وماذا يمكننا فعله؟ لقد اتصلنا عليهما ولم يجب أحد، وهما غائبان عن الشقة، فأين يمكن أن يكونا؟.

- اعتقد يا ليلى علينا الانتظار بعض الوقت، ربما يعودا، أو يخرجا من الحفرة، أنا غير مطمئن لغيابهما هذا، وان كان مكوثهما بالمقبرة كل هذا الوقت فهذا أيضا يثير الريبة والخوف.

- معك الحق يا أستاذ نبيل، فماذا نفعل إذا؟ هل لديك اقتراح أو خطة؟

- علينا الانتظار بعض الوقت، ربما الساعات القادمة تحمل لنا الإجابة على تلك الأسئلة.

- فليكن.. ننتظر ساعتين أو أكثر قليلا وبعدها نرى ما سوف يحدث .

- هيا بنا إلى شقتي نتناول القهوة وننتظر.

- شقتك!.. وماذا عن زوجتك؟

- لاعليك.. زوجتي ليست بالشقة، لقد ذهبت إلى والدتها.

- نعم.. ولكن كيف نجلس بمفردنا في شقتك؟

- ليلى.. هل ترين الوقت مناسبا لهذا التفكير الصبياني؟ دعينا نفكر بعقل ونضج، أننا في مهمة غاية في الأهمية ،لا داعي لهذه الأفكار الغريبة، لا الوقت ولا الظروف تسمح لنا بأي تفكير آخر غير أمر المقبرة .

نظرت ليلى إلى نبيل نظرة من استوعب الأمور وهزت رأسها بالموافقة واتجه الاثنان إلى شقة نبيل انتظارا لما سوف تسفر عنه الساعات القادمة.

* * *

صوت شيطاني انطلق كالرعد تزامن مع أصوات انفجارات وانشطارات ورعد ونيران وتوهجات وغبار وتصدعات تفطر القلوب وتذهب بالعقول

- ها أنا أتيت بكم إلى بداية الخلق، لقد رجعت بعجلة الزمان إلى حوالي أربعة عشر مليار سنة ، إلى حيث الانفجار العظيم كما يطلق عليه البشر وتكوين الكون، هلم الكل يعمل بسرعة، أعيدوا ما في القوارير سيرتها الأولى وأطلقوا هذين البشريين وراقبوهما عن بعد ولا يتدخل أحد في مسارهما سوى العفريت طارش، هلم ياطارش باشر عملك مع قرين كل منهما.

- أيها المارد أبانوخ، إننا لم نشهد تلك الفترة ولم نعيشها، وجميع الشياطين المساعدين والسرايا التي أتت معنا خائفة مما يحدث.

- لاعليك ياطارش، أنا أيضا لم أشهد تلك الفترة، ولكنها الأوامر العليا، نفذ ماعليك ولاداعي للخوف، هيا بسرعة ليس لدينا الوقت لهذا الهراء.

إنها ثورة الطبيعة، بل تمخض الطبيعة عن هذا الكون الهائل، وتلك نقطة البداية، انفجار هائل لا يستوعبه فكر بشر أو جان، هاهو العالم يتشكل حيث لايوجد سوى الفراغ الكوني، لامجرات، لاكواكب، لاأرض، لاشيء البتة، فقط انفجارات رهيبة، كتل غاية في الضخامة تتحرك مبتعدة عن بعضها تسبح في فضاء عظيم. الشيخ سليم وأحمد يعودان للحياة، يقفان مذهولان من هول ما يشاهدان، لايدركان مابهما وماهم فيه؛ الخوف يعتصر قلبهما، الرعب يزلزل كيانهما، أنهما يسبحان في الفضاء الكوني، لايجدان مايستقران عليه، ينظران أسفلهما وأعلاهما وحولهما، لاشيء غير تلك الجبال المتحركة التي بدأت لتوها تتحرك لتستمر في حركتها ملايين السنين حتى تكون مجرات الكون وأجزاءه. تتشابك أيدي أحمد والشيخ سليم بينما العفريت طارش يسارع لبدء عمله، هاهو قرين كل منهما قد استجاب لأوامر العفريت طارش؛ بدأ الهدوء يعود للأخوين، أدركا الموقف ولكن لم يستوعباه، هدأ قلبهما قليلا وان كان الغموض مازال يلفهما ولم تنقشع بعد مخاوفهما بصورة كاملة، أدركا إنها بداية الكون وأنهما يشاهدان حلقة لم يراها قبلهما أحد. نطق الشيخ سليم أول مانطق

- سبحان الله، هذا أول الخلق، لقد عاد بنا الزمان يا أحمد "14" مليار عام أو أقل قليلان وهاهو الانفجار العظيم كما قرأنا عنه.

- نعم ياسليم، أدركت هذا، يالها من لحظة ساحرة وخطيرة، ياللهول، ماهذا الذي نراه، ماذا يحدث، شيء لايصدقه عقل ولا يستوعبه قلب، الكون يتشكل، انفجارات هائلة ونيران مستعرة وأجواء لانهائية، ياللهول، ماهذا الذي يحدث، عقلي لايستوعب مانحن فيه، هل مانراه حقيقة أم انه درب من دروب الخيال.

- أن مانحن فيه هى لحظة نشأة الكون، وقبل تلك اللحظة لم يكن هناك شيء موجود، لم يكن هناك سوى العدم، العدم فقط، يا الله! إنها لحظة الميلاد، أنه التحدي الذي حير العلماء كثيرا وشحذ هممهم لإيجاد تفسير له، الكون وماقبله، هل تعلم يا أحمد أن الفلكي إدوين هابل في القرن العشرين من حياتنا السابقة قد رأى بمنظاره "التليسكوب"أن المجرات التي تبعد عن الأرض ملايين السنين الضوئية تتدافع مبتعدة عن بعضها البعض بسرعة رهيبة؛ وليس السبب في ذلك وجود قوى دفع بل لازالت تلك المجرات تتحرك نتيجة الانفجار العظيم الذي نقف أمامه الآن، حيث بدأ كل شيء من الصفر، تلك النقطة نقطة الصفر التي ولد منها الكون، تلك النقطة التي وصلت فيها حرارة الكون إلى مائة ألف مليون درجة مئوية، يا الله! سبحانك..الخالق الأعظم .

- عن أي شيء تتحدث ياسليم، إنها الطبيعة يا أخي، هل رأيت الله وهو يخلق؟ نحن لانرى سوى الطبيعة، فقط الطبيعة، لاوجود لخالق، الطبيعة تخلق نفسها بنفسها، وها أنت تقف معي عل أبواب أول الخلق وترى بنفسك لا يوجد شيء آخر، كما قلت لك دائما، الخالق لايوجد سوى في مخيلتنا وظنوننا، ولكنها الطبيعة هى التي تخلق نفسها وتتولى خلق كل ماهو موجود، وهذا هو ماقاله عالم الفيزياء الفلكي روبرت جاسترو الذي يصف نفسه بالملحد، حيث قال: "إن البذرة، التي تشكل عنها كل ما في الكون، كانت قد زرعت في تلك اللحظة الأولى، كل بداية، وكل كوكب، وكل مخلوق حي في الكون جاء للوجود كنتيجة للأحداث التي تمّ تعيينها في لحظة الانفجار الكوني. لقد كانت حرفياً لحظة الخلق، انبلج الكون إلى حيز الوجود، ولا يمكننا أن نعرف ما الذي سبب هذا الأمر".

- هل مازلت على عنادك يا أحمد؟ ألا تعترف بوجود الله وأنت في خضم هذه الأحداث الهائلة التي تحوطك من كل مكان، إن ماقاله هذا

العالم الملحد مردود عليه بأن ماخلص إليه مربك له و للعلماء الملحدين إذ أنهم يراقبون ردة الفعل دون أن يكونوا قادرين على توثيق سبب حدوثه، فكما قال الفيزيائي فيكتور شتينجر: "لامسبب لوجود الكون"وإنه ربما خرج من العدم، هل تعلم رد دايفيد هيوم، أحد أكثر الفلاسفة المشككين، فهو يعتبر أن هذا الموقف مثير للسخرية، وفي مجمل الشكوك التي قدمها لم يلغ هيوم أبداً المسبب أو وجود علة، وقد كتب هيوم في عام 1754 "لم أتفق ولا مرة مع الاقتراح القائل بأن من الممكن أن ينشأ شيء دون مسبب له" هذا رأى الملحدين وليس حديث المؤمنين يا أحمد، أنت تذكرني الآن بأساطير البيضة والفراغ، تلك الأساطير العديدة التى تطورت أحداها فى الصين عن انقسام بيضة كونية إلى نصفين وتبع ذلك الانقسام نمو كائن عملاق ساهمت أطرافه في تكوين العالم، وكذلك الروايات الجرمانية "أو الإسكندنافية "التي تؤمن بوجود كائن عملاق له تأثير كبير في تشكيل الكون، وغيرها من الأساطير القديمة التي بنت تكوين الكون إلى خيالات وأوهام بعيدة عن الواقع والحقيقة

- ياسليم.. أنت الآن في بداية التكوين، تلك بداية الكون، لاتلبس عباءة الشيخ سليم، أخلع عنك هذه العباءة، نحن الآن حيث لادين ولا أنبياء، فقط مع الطبيعة والفكر والعقل، انظر معى وشاهد ما أشاهده، اترك تلك النظريات التي ملئت رأسك منذ الصغر، أعرف انك قارئ نهم و قرأت الكثير في كل مجالات العلم، ولكن لنا عقل نزن به الأشياء، ما نراه الآن، هذا الفراغ الكونى، الانفجار العظيم وما ينجم عنه، تلك التكوينات وهذه الفوضى الخلاقة التي سوف تسفر عن تكوين عالمنا بعد ملايين السنيين، كل هذا خلق الطبيعة، ولم أجد هنا شيئا سوى تلك الطبيعة فقط.

- مازلت على عنادك يا أحمد، إن ماتقوله ماهو سوى الإلحاد، أعوذ بالله منك ومن أفكارك، هذا هو الكفر، لو كان الأمر بيدي لنفذت فيك الحكم العادل ووقتها لن يضيرني انك أخي أو غيره، لقد تجاوزت كل الحدود؛ ابتعد عني الآن لا أريد سماع صوتك، أذهب بعيدا، أذهب عني ودعني أتأمل ملكوت الله وعجائب صنعه وتلك المعجزة التي تحدث أمامي.

ميمون ابانوخ يصرخ بأعلى صوته، لقد حصلنا على مانريد.

فوضى عارمة، نيران مستعرة، رياح قاتلة، انفجارات، أعاصير ، لوحة كونية خارج نطاق العقل والمعقول، الرعب هو العنوان؛

تفرقت الشياطين، احترق بعض المساعدين، تسلل الخوف إلى قلب المارد أبانوخ، أسرع تاركا الزمان والمكان وعاد إلى المارد دنهش

- أيها المارد دنهش، الطبيعة ثارت علينا؛ احترق الكثير من المساعدين، هبت علينا عواصف حارقة، وتوالت الانفجارت في وجوهنا، إنها ثورة الطبيعة العارمة، سمعنا صوتها تأمرنا بالمغادرة فهذا الزمان ليس زماننا ولامكاننا ويجب أن لايتواجد فيه جن أو إنس، جميعنا سوف نحترق إن لم نغادر على وجه السرعة.

- ماذا فعلت أيها المارد ميمون أبانوخ؟ والى أين توجهت بأتباعك ومساعديك؟

- لقد نفذت أمرك وذهبت إلى بداية الخلق،بداية نشأة الكون.

- ياللهول..أنا لم أطلب هذا منك ياميمون، لقد أمرتك بالذهاب إلى بداية خلق الإنسان، خلق نوح وماقبله بقليل أو بعده بقليل، هل جننت؟ تذهب بمن معك إلى بداية خلق الكون، يالك من أرعن، أذهب سريعا وعد بمن تبقى معك، وإياك أن تنسى القوارير السحرية، هيا أسرع.

ينطلق المارد ميمون أبانوخ إلى حيث أتى ويأمر مساعديه بتجهيز أنفسهم للعودة إلى زمان خلق آدم، ينظر غاضبا إلى أحمد وسليم قبل إعادتهما إلى البواتق السحرية ويتوعدهما بصوت كالرعد يملأ قلبهما رعبا

- انتم أيها البشر، ليتنى أملك زمامكما، كم أود قتلكما بيدي أو إلقائكما في غياهب البحار والمحيطات تنهشكما القروش والوحوش، لو أن الأمر بيدي لأشعلت فيكم نيران لا تنطفئ حتى تتفحم عظامكم وتشوى لحومكم؛ بسببكم أهنت اليوم ولم استطع الرد أو فعل شيء، أنا المارد ميمون أبانوخ ملك قبائل الجن يأتمر بأمري الملايين من عتاة الشياطين، أقف اليوم هذا الموقف بسببكم.. صبرا.. سيكون لي معكما شأن آخر.

المارد ميمون ينظر إلى مساعديه بعد أن جهزوا البواتق السحرية وأكملوا استعداهم

- هلم بنا سوف ننطلق الآن إلى زمن آخر، إلى بداية خلق هذا التعيس الغبي المسمى إنسان، فلنغادر الآن.

تثور زوبعة وإعصار من النار يصحبها غبار كثيف..يغادر المارد أبانوخ وأعوانه. مازالت ثورة الطبيعة عارمة تتمخض لولادة الكون.

* * *

- مضى أكثر من ساعتين على وجودنا بالشقة يانبيل ولم يبدو جديد فلم يظهر أحمد وأخيه ولم يتصل أحد منهما بك.

- معك الحق يالیلى، ولكن هل تعلمين أن الوقت مضى معك سريعا، لم اشعر إطلاقا بهاتين الساعتين، بل كدت فيهما أنسى المقبرة وأبناء العم، إن جلستك ممتعة حقا، وكم أحسد أحمد على حبك له.

ضحكت ليلى ضحكة ذات مغزى وردت بصوت أنثوي يحمل الكثير من المعاني التي لا تستعصي على رجل يفهم النساء وعالمهم

- لقد شربنا فنجانين من القهوة وتناولنا الكثير من العصائر وهرول الوقت؛ إن صحبتك رائعة يانبيل وكم أنت رجل راقي، حقا لقد استمتعت بوجودي معك، وبما رويته لي عن حياتك في أمريكا وغزواتك النسائية، لم أكن أظن أن الصعيد ينجب رجالا لهم كل هذه الفتوحات.

يضحك نبيل وتضحك ليلى بصوت مرتفع

- لقد أسرني جمالك وأنوثتك فأخرجت مافي جعبتي وفتحت لكِ قلبي؛ له الحق أحمد أن يفتتن ويهيم بك حبا وعشقاً.

- لاتظن يانبيل أن مابيني وبين أحمد هو العشق والهيام.

التقط نبيل الإشارة وسألها بسرعة

- ماذا تقصدين؟ هل تعنين أنك لاتحبين أحمد؟

- ليس حب بالمعنى المتعارف عليه، فقط أحببت حب أحمد لي، لقد أحبني كثيرا وفعل الكثير لأبادله الحب؛ وهذا هو ما جلعني أميل إليه وأتمسك به؛ فأنا امرأة محرومة من الحب، فكما تعلم أعمل راقصة، والجميع يحبونني ولكن على طريقتهم، طريقة الجسد فقط، فهم لا يرونني سوى جسد وكأن الراقصة امرأة خلقت بلا روح أو مشاعر فقط جسد صالح للالتهام والمتعة؛ ولذلك عندما شعرت بحب أحمد الحقيقي أحببت هذا الحب وتمسكت به فتلك المشاعر جديدة بالنسبة لي.

- نعم. ولكن هل معنى ذلك أنك تفتقدين الحب الحقيقى ومازلتِ تبحثين عنه؟

- نظرت ليلى إلى نبيل نظرة ذات مغزى وضحت ضحكة أنثوية نطقت بما لم يفصح به لسانها.. في تلك اللحظة انطلق صوت مؤذن المسجد يرفع آذان العصر. وقفت ليلى فجأة وتحدثت بلهجة جادة إلى نبيل

- نبيل يجب الآن أن نتحرك، باقى ساعات وينتهى النهار ويعم الظلام، لابد من فعل شيء.

- معك الحق ليلى، اعتقد أنه بعد هذه الفترة بات من اليقين وجود أحمد والشيخ سليم في المقبرة؛ هيا بنا نلحق بهما.

نزل نبيل وليلى إلى شقة سليم التى ضاعت معالمها وباتت سور كبير يحيط بالحفرة المؤدية إلى المقبرة ، أضاء نبيل جوف الحفرة وهو على حافتها بالكشاف الذي معه وأخذ ينادي على أحمد وسليم لعل أحدهما يجيبه، ولما لم يسمع مجيب نظر إلى ليلى وهمس لها

- عزيزتي ليلى، دعيني أذهب بمفردي أولا استطلع الأمر واني أظنهما قد انشغلا بما في المقبرة وسرقهما الوقت ومضى سريعا، دعيني انزل سريعا واخرج لك باليقين، وإذا لم أعد بعد نصف ساعة فهذا يعنى أن الأمر فيه مكروه وهنا لابد أن تتصرفي.

- لا يانبيل، أخشى المكوث هنا بمفردي؛ دعنا نكون سويا وننزل المقبرة معا، وإن شاء الله لن يحدث شيء.

- كنت أفضل لكِ البقاء هنا ولكن بما أن هذا رأيك فليكن لك ما أردتي هلم ننزل سويا.

* * *

في لمح البصر ينتقل المارد ميمون ابانوخ بالبواتق السحرية إلى زمان غير الزمان ومكان غير المكان، انه زمن بداية خلق الإنسان، خلق آدم، المساعدون من الشياطين والجن يعملون بسرعة لتجهيز البواتق السحرية واستعادة الشيخ سليم وأحمد ثم تركهما في هذا المكان، كوكب الأرض، بينما يلتفت المارد أبانوخ إلى أعوانه يأمرهم بالاستعداد للمرحلة القادمة ويوضح لهم ماسوف يقع على عاتقهم ومايجب عمله

- أم الشعور نائلة، لقد أمرني المارد دنهش بإعطائك الضوء الأخضر، إن دورك قد جاء،هلم انطلقي وافعلي الأفاعيل، واعلمي أن ماعليك فعله أن تساعدي وتسرعي من إتمام الفاحشة، ولكن حذار أن تلقي بجريمة الزنا في يقين ضحيتك، فقط عليكِ بالمساعدة والتحفيز، لانريد أن يأتي أحدهم في النهاية ويقول إن مافعلته من فعل الجن وأننا أوحينا له بفعله، بل يجب أن يكون الفعل لهم والأمر لهم، ماعلينا سوى تحفيزهم ومساعدتهم على تنفيذ جريمتهم وتأجيج شهوتهم، هل فهمتي يا أم الشعور؟ عليك أن تتلبسي ضحيتك وتمارسين عملك وتضاجعي ما تشاء الإنسية أن تضاجعه، هل فهمتي ما أعنيه؟

- نعم يا ابانوخ، أفهم تماما، ولقد أعلمني المارد دنهش بما يجب أن افعله، وأدرك تماما مايجب فعله، فقط أطلقني لقد ضقت ذرعا بهذا القيد وهذا الوقت الذي يمر بلاعمل أو مضاجعة .

- وأنت أيها العفريت طارش، دورك لاينتهي وهو مستمر حتى النهاية وأظنك تعلم ماعليك فعله.

- نعم أيها المارد ميمون، أعلم تماما.

- المارد ناصور، انطلق في التو واللحظة إلى قاضي قضاة الجن شمهورش العظيم واطلب منه أن يمدك بأحد أعوانه ممن يثق في قدرتهم.. فنحن في حاجة لمن يجادل ويناقش الشيخ سليم في تلك المرحلة ولا أظن أحدكم بقادر على هذا، ويا ليته يرسل ابنه المارد الوليد ، هلم انطلق.

- السمع والطاعة أيها المارد ميمون.

- هلم.. فلينطلق الجميع نريد أن ننتهي من هذا الزمان في أسرع وقت،انه زمن خلق البشر، الزمان الغابر الذي أوردنا الهلاك، إن وجودي في هذا الزمان يصيبني بالاختناق ويحرق قلبي ويوقد النار في رأسي.

تنطلق عاصفة من الرمال الساخنة يعقبها لسان من اللهب وسرعان ما أن تخبو. تصفو الأجواء ويستقر أديم الأرض

أحمد والشيخ سليم في صحراء متسعة لا يشاهدان أحدا على مرمى البصر، لاصوت لإنسان أو حيوان أو أي شيء، فقط السكون، السكون القاتل، ينظر أحمد إلى الخلف، يشهق بصوت مرتفع من المفاجأ؛ يستدير الشيخ سليم بسرعة ليفاجأ بما لم يكن يتخيله يوما من الأيام

- ماهذا ياشيخ سليم؟ ماهذا الذي يرقد على الأرض؟

- لا أدري، هيا بنا نستطلع الأمر.

- إنه تمثال كبير الحجم تم نحته بيد ماهرة.

- انتظر يا أحمد، يبدو أننا في بداية الخلق، ياللهول، هل تعلم من هذا التمثال الملقي أمامنا؟

- لا ياشيخ سليم.

- انه.. انه.. أبونا أدم.

- ماذا تقول؟ أبونا أدم، هل هذا حقيقي؟ هل تمزح ياسليم؟

- نعم، تعالى معي نستطلع الأمر.

- ماهذا ياسليم؟ انه مجرد تمثال من الفخار طوله يصل لستين ذراعاً.

- انتظر يا أحمد، انه بحق تمثال أجوف من الفخار، ولكن ماهذا؟ ياللهول، هل ترى إبليس؟ انه يمر بجانبه ويضربه، ياللهول انه يدخل من فمه، ثم.. ثم ماهذا انه يخرج من دبره، انه يتلاعب بأبينا أدم ويستخف بخلقه.

- إن إبليس يرى نفسه أفضل من أدم؛ لهذا هو يتلاعب به ويستخف بخلقه.

- نعم يا أحمد لذلك عصى ربه ولم يسجد لأدم وخالف الملائكة بعد أن كان أفضلهم وكان يلقب بطاووس الملائكة الزاهد العابد ، غير انه تكبر وتجبر ورفض السجود لأدم لكونه خُلق من طين بينما النار أساس خلق إبليس كما تعلم، لقد نظر إلى طبيعة الخلق ولم ينظر إلى الخالق وقدرته؛ لذلك كانت معصيته الكبرى التي طرد على إثرها من الجنة ومن رحمة الله.

- هيا بنا يا شيخ سليم من هذا المكان، دعنا نسيح في الزمان، أدم سوف يُخلق وتُخلق أمنا حواء، دعنا نتجاوز تلك المرحلة؛ فلا أطيق أن أظل هنا حيث لايوجد سوى هذا الفخار وإبليس يتلاعب به.

- هيا بنا يا أحمد فلنرحل من هنا، ولكن الأمر ليس بأيدينا، يبدو أننا سوف نمكث بعض الوقت في هذا الزمان، وربما نشهد بعض أحداثه.

* * *

-عليكِ توخي الحذر ياليلى فقد اقتربنا من باب المقبرة، احذري هناك حجرا أملس لا تضعي قدمك عليه.
- لا عليك يانبيل، أتحرك بحذر، ولكن هذه الأجواء مرعبة بحق.
- أعطني يدكِ، هيا ادخلي من فتحة الباب، على مهلكِ.
- ياه.. لقد أنهكتني تلك السلالم الخشبية، ياللهول ماهذا.؟هل هذا ذهب يانبيل؟
- لست أدري، لم انزل هنا قبل، ولكن ماهذا؟ هل تلك مومياء التي تتوسط المقبرة؟
- حاذر يانبيل، هناك ثعبان يتجه نحونا.
- نعم نعم، لاتحاولي قتل أي شيء ياليلى، هكذا قال الشيخ السوداني.
- نعم.. ولكن الثعبان يتجه نحونا.
- دعيه فسوف يذهب.
- ليلى تصرخ بصوت مرتفع، لا.. انه يهجم علينا.
- ادفعيه بيدك بعيدا ياليلى، انتظري لقد أمسكت برأسه.
- ماهذا يانبيل؟ انه يتمدد، حجمه يزداد ضخامة، ماهذا ماهذا؟
- أجري ياليلى، أسرعي.. فلنحاول الخروج من هنا.
- لا استطيع لقد التف الثعبان حول قدمي.

تثور عاصفة من الرمال الساخنة، ينشق رأس الثعبان إلى رأسين تتجه كل رأس منهما إلى أحدى الضحيتين؛ تصرخ ليلى ويصرخ نبيل، ينطلق فحيح المارد كاردل منتشيا بقتل ضحاياه، ينفث سمه في وجههما ويلتف بجسده على جسدهما، العيون جاحظة والقرون متأججة وملامحه الشيطانية تقتل رعباً. ليلى ونبيل يتجمدان من هول مايرونه وسرعان ماينتهي كل شيء و تزهق روحهما. في ثوان معدودة يستعد المعاونون من الشياطين والمردة بتجهيز البواتق السحرية وفصل الأرواح والنفوس والأجساد. ينطلق صوت المارد دنهش من أعماق الزمن السحيق يغلفه فحيح شيطاني يأمر ميمون أبانوخ بإلقاء تلك القوارير السحرية إلى حيث يوجد أحمد وسليم.

تثور زوبعة الغبار وترتفع حرارة المقبرة، وسرعان ما أن تهدئ الأمور وتعود سيرتها الأولى.

* * *

- من هذين الشبحين اللذين يقفان هناك يا أحمد؟

- لا أدري ياسليم، ربما شياطين تسكن تلك المنطقة أو مخلوقات لانعلم عنها شيئا.

- هيا بنا نستطلع الأمر ونرى من هما وما حكايتهما؟

- ولكن ياسليم ربما كان في الأمر أذية أو مكروه، نحن لانعلم شيئا عن هذه الأرض وهذا الزمان.

- هيا يا أحمد، لاعليك، ماذا سوف يحدث لنا؟ إننا لانعلم شيئا عن أمرنا أو مصيرنا، هلم بنا.

- ماهذا ياشيخ سليم؟ هل ترى ما أرى؟ إنهما يشبهان إلى حد بعيد ليلى ونبيل.

- نعم يا أحمد معك الحق، انه نبيل ولكن لا أعرف تلك الواقفة بجواره.

أحمد ينظر بوجهه إلى الأرض ولايجيب الشيخ سليم، ثم ينادي بأعلى صوته.

- نبيل.. ليلى.

يلتفت الاثنان نحو الصوت، يهرعان يهرولان نحو الشيخ سليم وأحمد، اللقاء الحار يجمعهم، يدور بين الجميع حوار عن ماحدث لهم، تهدئ النفوس بعد التدخل الشيطاني؛ يستوعب نبيل وليلى الموقف،يطلب نبيل رؤية أدم قبل بعث الروح فيه، يعود بهم الشيخ سليم إلى حيث يرقد أدم الملقي على الأرض وإبليس يهزأ به، فجأة تنشق الأرض عن رجل يظهر عليه الطيبة والخبث معا، الرعب يجتاح الجميع، تشد الشياطين من أزرهم؛ يتماسكوا بعد فترة وجيزة، عاجلهم الرجل الغريب

- ما رأيكم في هذا المشهد؟ هذا هو أدم، تمثال من الفخار ملقي على الأرض لاحول له ولاقوة، وإبليس يتلاعب به كيفما شاء، أليس لإبليس الحق في عدم السجود له؟

- أومأ أحمد برأسه دليل الموافقة.

- إن إبليس خُلق قبل أدم، خُلق من نار، وعاش بين الملائكة في معية الله وكان أفضل الملائكة وأكثرهم عبادة وإيمان، وكان يسجد لله الخالق، وفجأة يُطلب منه السجود لهذا الفخار، كيف يطيع أمرا كهذا؟ إنه الأفضل، إنه الأرقى، كيف للأفضل أن يسجد للأقل؟ هذا ليس عدل.

- ما أسمك يارجل.

- أنا الوليد ابن شمهورش.

- وأنا الشيخ سليم، إن ماتقوله الآن ربما كان به بعض الحق، ولكن ليس كل الحق، إن إبليس كان من خير الملائكة واعبدهم وأزهدهم، نعم اتفق معك، وخُلق من نار وأدم من تراب وهو في ذلك أرقى في الخلق، نعم اتفق معك، ولكنه عصى أمر من؟ عصى أمر الخالق، إن من خلق أعلم بخلقه، فإن أمره الله بالسجود فهو أعلم بالأمر ومافيه، إبليسكم نظر أسفل قدميه، إلى التراب والنار ولم ينظر إلى خالق التراب والنار فاستحق اللعنة والطرد من الرحمة.

- اختفى الوليد فجأة كما ظهر فجأة، التفت الجميع حولهم فلم يجدوه؛ كاد الرعب يدب في نفوسهم لولا التدخل الشيطاني الذي أعاد لهم رباطة جأشهم. نظر الشيخ سليم إلى من معه، ثم نظر إلى قرص الشمس فوجدها تلملم بقاياها استعدادا للغروب.

- هيا بنا من هنا، لابد لنا من العثور على مكان آمن للبيات فيه، الظلام كاد يزحف والليل أوشك أن يسود ونحن لانعلم شيئا عن هذا المكان، لنبحث عن مكان يأوينا للصباح.

انطلق الجميع، الكل يبحث في اتجاه، فجأة صاح نبيل

- سليم.. أحمد..ليلى.. تعالوا إلى هنا سريعا.

هرع الجميع إليه

- هل ترى ياسليم هذه الفجوة الجبلية بها عدة فتحات ومغارات، هيا نختار منها ما يصلح للنوم ونستلقي بها حتى الصباح.

- نعم معك الحق يانبيل، هيا ياشيخ سليم، هيا ياليلى، اعتقد أن هذه المغارة مناسبة،ما رأيك ياشيخ سليم؟

- نعم يا أحمد إنها جيدة،ولكن نحتاج لمغارة ثانية لتنام بها ليلى.

- هل ستنام بمفردها؟ فلتنم معنا ياشيخ سليم.

- لا يا أحمد هذا لايجوز، ستنام بمفردها.

- ولكن أخاف النوم بمفردي في هذه الأجواء وهذا المكان الموحش.

- دعونا نفكر في الأمر، ما رأيك يانبيل؟

- اعتقد معك الحق ياشيخ سليم، علينا حراسة ليلى وتقسيم ساعات الليل كل فترة يأخذ أحدنا حصته من الحراسة وينام أمام باب المغارة.

- هذا اقتراح جيد، هيا بنا، اذهبي ياليلى إلى المغارة، سوف يتبعك أحمد لقضاء الفترة الأولى من الليل في حراستك،وأتبعه أنا ثم نبيل.

ذهب الجميع إلى النوم وساد السكون والصمت القاتل المكان حتى جاء دور نبيل في الحراسة، ظل نبيل بعض الوقت مستيقظا أمام مغارة ليلى، فجأة سمع نداء صوت أنثوي رخيم؛ نظر نبيل يمينا ويسارا وعندما تأكد أن لا أحد يراقبه أو يراه دلف إلى الداخل ليجد ليلى في أبهى صورة وقد فردت شعرها بأكمله على كتفيها؛ فقد لبستها أم الشعور وهاهى توقع بفريستها وتمارس وظيفتها على أكمل وجه.

- ماهذا الجمال ياليلى؟ كم أنت فائقة الحسن، كم كنت غبيا عندما جلسنا معا في الشقة وتركتك تفلتين من يدي، هل يعقل أن نظل سويا أكثر من ساعتين ولا أحاول الاستمتاع بهذا الجمال الصارخ؟

تضحك ليلى قي أنوثة طاغية

- لقد انتظرت أن تبدأ ولكنك لم تفعل، أنت رجل نبيل حقا يانبيل، لقد مال قلبي إليك منذ أن رأيتك، وكم تمنيتك وأحببتك.

أرخت ليلى عينيها ونظرت إلى الأرض وطوحت شعرها المفرود على كتفيها إلى الوراء ومالت نحو نبيل لينحسر قميص نومها عن فخذها الذي تلألأ مع انعكاس ضوء الفجر عليه فكان كالبلورة الساحرة..شعر نبيل بسكرة الحب فارتشف من شفتيها المزيد من الخمر وغرقا معا في نشوة أخذتهما من عالمهما إلى عوالم أخرى . نبيل يطلب المزيد من خمر ذلك الجسد العاري، يقابله الشبق الأنثوي المتعطش، تدرك ليلى انها تمادت في إغواء نبيل، تحاول إيقافه وصده، صد يدعو للجذب والاقتراب، تُغطى أم الشعور المغارة بشعرها المنسدل، تغرق المغارة في أهات وتأوهات سرعان ماتنتهي ، تعم أشعة شمس الصباح المكان، يفيق نبيل وليلى من السكرة وفجأة يشاهدان أحمد والشيخ سليم على باب المغارة ينظران إليهما في غضب جامح والشرر يتطاير من عين أحمد ، تسرع ليلى للخارج

تحتمي بالشيخ سليم وتستغيث به من نبيل مدعية قيامه باغتصابها عنوة وعدم مقدرتها الدفاع عن نفسها. نبيل مذهولا لايجد مايبرر به فعلته، يثور أحمد ثورة عارمة، ينتزع نبيل من المغارة انتزاعا ويخرجه بالقوة، يطرحه أرضا، ينظر يمينا ويسارا باحثا عن حجر يضربه به، يقرأ الشيخ سليم مايدور في رأس أحمد، يحاول منعه، يتفلت أحمد من الشيخ سليم..يلتقط حجرا كبيرا ويضرب به رأس نبيل ضربة قاتله، و ضربة ثانية أقوى من الأولى، يتدخل الشيخ سليم ويأخذ أحمد بعيدا، ليلى مذعورة والرعب يتملكها، ينظر أحمد إلى جثة نبيل؛ ينتابه الرعب، فجأة يعتدل نبيل من رقدته، ينتصب واقفا، يتجه نحو المغارة لارتداء ملابسه

- ماهذا ياشيخ سليم؟ألم اقتله منذ دقائق؟

- نحن لسنا على هيئتنا يا أحمد.. لانموت، وضرباتك لنبيل لم تؤثر فيه، لم ولن يموت، دعك مما أنت فيه، ودع هذا الأمر ، يوم سوف يكون الحساب.

يتجه الشيخ سليم نحو نبيل ويحدثه بلهجة غاضبة

- لن تفلت بفعلتك يانبيل، ارتكبت الفاحشة والاغتصاب وهى جرائم تستحق عليها القتل.

- انطلقت ضحكة شيطانية مرعبة، صوت قادم من الزمن السحيق أصاب قلوب الأربعة بالرعب وجعل أجسادهم ترجف

- لقد نلنا منهم، هلم بنا إلى زمان غير الزمان ومكان غير المكان.

* * *

- نائلة أم الشعور، هل استمتعي بوقتك عزيزتي؟

- نعم.. لقد كان اليوم رائعا، ولكن ما الجديد أيها المارد دنهش، أنا بحاجة إلى المزيدن لم يرتوي الظمأ بعد.

- مهلا يا أم الشعور، لاتتعجلي، مازال أمامك الكثير، والآن يا ميمون انتقل بهم سريعا إلى المرحلة التالية ودع ماحدث محفورا في ذاكرتهم.

- أمرك أيها المارد دنهش، الجميع يستعد.

انطلقت عاصفة رملية أثارت الغبار،ازدادت سخونة الهواء، وفجأة سكن كل شيء

- الرباعي يسيرون في منطقة صحراوية خشنة، فجأة يصل إلى سمعهم صوت ضجيج وصراخ وهدير؛ ينظرون صوب الصوت، ياللهول ماهذا أنها معركة طاحنة تدور هناك، كر وفر وقتلى ومناظر بشعة ومريعة، ماهذا ماذا يحدث؟ فجأة تنشق الأرض ويظهر الرجل الغامض الوليد ابن شمهورش

- هل تودون معرفة مايدور هناك؟

- نعم ماهذا القتال وتلك المعركة الشرسة؟

- إنها معركة الإنس والجن الشهيرة يا أحمد؟

- هل هذه معركة حفيد أدم مع الجن؟

- نعم معركة الجن مع الحفيد الرابع لآدم "مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر، هل قرأت عنها ياشيخ سليم؟

- نعم قرأت عنها الكثير وعلمت أن مهلاييل قاتل الجن بعد أن بغوا وسفكوا الدماء وعاثوا في الأرض فسادا خاصة بعدما أدرك إبليس وأعوانه ضعف البشر بعد أدم فكانوا يظهرون لهم عيانا بيانا وزاد شرهم وكونوا جيشا كبيرا لغزو الأرض وحُكمها والسيطرة عليها ؛ وعندها سلط الله عليهم مهلاييل الذي قام بتأسيس مدينتين محصنتين هما مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى ليحتمي بهما الإنس من خطر الجن، وأسس جيشه القوي ليدافع عن المدينين ،والتقى الجيشان الكبيران أحدهما بقيادة مهلاييل والآخر بقيادة إبليس، قتل مهلاييل الكثير من المردة والشياطين ، وفر إبليس إلى أعالي البحار ومعه الكثير من أعوانه وانتصر حفيد أدم انتصارا حاسما وحكم

الأرض بعد أن كان يحكمها إبليس وأعوانه وأنهى فترة فساد وبغي الشياطين.

- وقف أحمد ونبيل وليلى يستمعون لحوار الشيخ سليم والوليد ابن شمهورش وهم مشدوهين من هذه الأحداث وتلك المعركة الطاحنة التي يشاهدوها.

- نعم ياشيخ سليم، ولكن ألم يكن من الأسلم أن يعيش الجن والإنس معا فى سلام ويتقاسمان الأرض سويا؟.. لماذا يقتل حفيد أدم الشياطين ويطردهم شر طردة هكذا؟ هل هذا من العدل؟ هل هذا من الإنسانية؟

- أيها الوليد، لماذا لم تسأل عن العدل والإنسانية عندما أمر الله الجن بقتل شعب الحن والبن؟ هؤلاء الخلق اللذين استوطنوا الأرض قبل خلق البشر بملايين السنين، فقتلوهم وشردوهم ومزقوهم وطردوهم من الأرض، وبعد تلك المعركة الكبيرة التي دارت بين الجن وأمة الحن والبن وانتهت بانتصار ساحق للجن والشياطين غابت هذه المخلوقات ولا أحد يعلم هل تمت إبادتهم نهائيا أم هربوا إلى مكان ما في هذا الكون الفسيح.

- نعم ياشيخ سليم، ولكن هذه القبائل بغت في الأرض وسفكت الدماء ولذلك أمر الله الجن بقتالهم وقتلهم.

- وما الجديد يا الوليد؟ الجن أيضا بغوا فى الأرض وسفكوا الدماء ولذلك وجب قتلهم كما فعلوا مع أمة الحن والبن، لذلك قام مهاليل بقتالهم والانتصار عليهم، هذا هو العدل كل من أفسد وبغى يجب قتله وإبادته.

- هل هذا قولك ياشيخ سليم؟

- نعم أيها الرجل الغامض الوليد ابن شمهورش.

- إذا تذكر هذا القول جيدا؛ سوف أذكرك به في وقت ما.. وعندها ليتك لا تتراجع عن هذا اليقين.

- فليكن أيها الرجل الغامض فأنا أتذكر أقوالي وأفعالي جيدا.

فجأة اختفى الوليد كما ظهر. ساد السكون المكان، بينما الرباعي ينظرون بعضهم إلى بعض وهم لايدرون من أمرهم شيئا.

الشيخ السوداني يستمع إلى رئيس العمال بكل انتباه وآذان صاغية وتنتابه بعض الحركات العصبية والتشنجات التي تنم عن أقصى درجات الانفعال

- هذا هو ماتوقعته أيها الشيخ من حديث نبيل.

- هل تعني أن أحمد وسليم قد نزلا إلى المقبرة؟

- نعم.. حديث نبيل معي وترددد في الإجابة على أسئلتي لايعني سوى ذلك.

- ولكن كيف ينزلان بمفردهما؟ هذا شيء لايصدق، الجن الراصد سوف يقتلهما لامحال في ذلك.

- إذاً كيف تفسر هذا الأمر؟ وأين ذهب الجميع؟ولماذا لم يرد أحد علينا بخصوص ماطلبناه منهم؟ أسئلة كثيرة ليس لها إجابات سوى ما أقوله لك.

الشيخ السوداني يمسك بلحيته ويعبث بشعيراتها المتناثرة، ينظر إلى الأرض تارة والى صادق تارة أخرى، تزداد التشنجات الانفعالية وحركاته العصبية، ينتصب واقفاً، ثم يجلس، ينظر إلى لاشيء ويطيل التفكير

- ماذا دهاك أيها الشيخ؟ فيما تفكر؟

- أفكر في أشياء كثيرة، ولكن المهم الآن ماذا سنفعل؟ إن هذا الكنز لنا فيه نصيباً قد اتفقنا عليه، وتعبنا وفعلنا ماعلينا حتى نصل إليه؛ لن نتركه لهم، لابد من أخذ حقنا.

- إذاً فلنذهب إليهم في بيتهم ونرى ماذا حدث وما استجد في الأمر.

- فليكن هذا ياصادق، الساعة الآن تجاوزت الواحدة بعد الظهر، هيا بنا نذهب إليهم ونستطلع الأمر.

يركب الشيخ السوداني بجوار صادق في سيارته وينطلقان إلى المقبرة في بيت سليم، بعد برهة قصيرة يصلان إلى البيت، يدقان الجرس ويطرقان الباب ولامجيب، يعاودان الطرق بشده ولاحياة لمن تنادي، ينظران بعضهما إلى بعض في خيبة أمل

- ماذا نفعل الآن يا شيخ؟

- لا أدري.

- هل ننتظر هنا بعض الوقت؟

- ننتظر من؟ ألم تقل أنهم نزلوا المقبرة؟
- نعم ولكن هذا حدث منذ عدة أيام.
- هل تعني أنهم ربما استولوا على مابها وهم الآن في طريقهم لتصريفه.
- لست أدري أيها الشيخ، ولكن أين هم طوال هذه المدة؟
- لا أكاد اصدق مايحدث، إنها المرة الأولى التي يتم فيها خداعنا هكذا.
- قل لي ياشيخ، أليس لديك طريقة لمعرفة مكانهم أو ماحدث في المقبرة؟
- ماذا تعني ياصادق؟
- اعني العفاريت التي تعاونك.
- أصمت ياصادق أنت لاتعرف شيء.
- إذا ماذا نفعل؟
- ليس أمامنا سوى المغادرة الآن والتفكير قي طريقة للدخول بها إلى البيت.
- إذا هيا بنا.

يتجه الشيخ وصادق نحو السيارة ويركباها وبينما صادق يتحرك بالسيارة يستوقفه الشيخ السوداني فجأة

- ماذا هنالك ياشيخ؟
- انظر ياصادق هناك سيارة أجرة تتجه نحو البيت.
- نعم.. نعم.. معك الحق.
- ربما كان أحدهما بها.
- لا ياشيخ، إنها امرأة، أنها تتجه نحو الباب.
- انتظر ياصادق حتى نرى ما في الأمر.
- إنها تفتح الباب وتتجه للداخل.
- هذا جيد هيا بنا نذهب إليها ربما عندها الخبر اليقين.

يترجل الشيخ ورئيس العمال ويتوجهان نحو المرأة

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.
- نحن أصدقاء الشيخ سليم وأحمد ولم نراهما منذ عدة أيام وجئنا للاطمئنان عليهما.
- أهلا بكما، أنا زوجة ابن عمهما نبيل،
- أهلا بكِ،وأنا صادق رئيس العمال وأشرُف على حفر المقبرة.
- عظيم جدا، إذا أنتما تعلمان بخبر المقبرة؟
- نعم، وجئنا لاستكمال عملنا ولكن لم نجد أحدا هنا، ومنذ عدة أيام لم يتصل أحد بنا وهذا دعانا للقلق .
- نعم معك الحق، أنا أيضا قلقة جدا عليهم، فقد تركني نبيل منذ عدة أيام ولا أدري أين هو، أخشى أن يكون نزل إلى المقبرة وأصابه مكروه هو وأبناء عمه، ولذلك جئت اليوم أبحث عنه في البيت وتركت أولادي عند جدتهم على أن أعود إليهم سريعا.
- ألم يخبرك بمقصده عند خروجه أخر مرة؟
- لا.. ولكن اعتقد انه كان يبحث عن أبناء عمه لأنهم كانوا قد اختفوا فجأة، انتظر.. اعتقد انه أخبرني أنهما تركوا له ورقة يخبرانه فيها أنهما قررا النزول إلى المقبرة.
- عموما دعينا ندخل ونلقي نظرة في البيت ربما وجدناهم واطمأننا عليهم.

ميرفت تفتح باب البيت من الخارج، يدخل الثلاثة إلى فناء البيت ويجولون بنظرهم في أرجائه.

- سوف اصعد إلى شقتي ربما يكون نبيل بداخلها.
- حسناً.. وسوف انتظرك مع الشيخ هنا.
- ما رأيك ياشيخ في هذا الأمر؟
- أخشى انه قد حدث لهم مكروه في المقبرة.
- هل تعني...
- نعم.. لو كانوا قد حاولوا النزول بدون صرف الجن الراصد فمن المؤكد أنه قد أذاهم؛ وهذا يفسر سبب تغيبهم طوال هذه المدة.
- وماذا نفعل لوحدث هذا؟

- لست أدري ولكن دعنا لا نسبق الأحداث، دقائق ويتضح كل شيء.
- حسنا فلننتظر حتى تعود زوجة نبيل ونرى ما الجديد.
- هاهى قادمة يا صادق، انتظر ما تقوله.
- هل وجدت نبيل أو أحدا من أبناء عمه؟
- لا.. لايوجد أحد، ماذا نفعل الآن؟لقد فكرت في إبلاغ الشرطة، لقد ترددت في الأيام الماضية لعلمي أن هذا الأمر يتم بعيداً عن أعين الحكومة، ولكن الآن بعد اختفاء الجميع فالأمر يدعو للقلق ولابد لي من التصرف السريع.
- انتظري قليلا وسوف نخبرك بما تفعلينه، فقط أعطينا نصف ساعة ننزل إلى المقبرة ونستطلع الأمر، ربما كانوا بالداخل، انتظرينا هنا وسوف نصعد بعد قليل ونخبرك بالخبر اليقين.
- انتظر ياشيخ؛ سوف أتي معكما، لا أطيق صبرا، أريد أن اطمئن عليهم وأخشى أن لا تصدقاني بالحقيقة، سأنزل معكما.
- إن الأمر شاق عليكِ، والسراديب ضيقة ومتعبة..وو...
- لاعليك ياشيخ، سأنزل خلفكما مباشرة.
- فليكن، ولكن عليك توخي الحذر، لاتقتلين أي شيئاً حي،وحافظي على رباطة جأشك.

الشيخ السوداني ينزل أولاً يتبعه رئيس العمال صادق،ميرفت تنزل ورائهما وقلبها يرجف، يصل الثلاثة إلى باب المقبرة، الشيخ السوداني يبدأ التراتيل وإطلاق البخور، يظل فترة على هذا الحال، ينظر باندهاش إلى الريس صادق

- ماذا هناك يا شيخ؟
- شيء لايصدق.
- ماذا حدث؟
- الجن الراصد انصرف، لايوجد جن راصد بالمقبرة .
- ماذا يعني هذا؟
- لايعني سوى أنهم قد احضروا أحد المشايخ وقاموا بصرف الجن أو أنهم نفذوا طلبات الجن .
- تعني أنهم ذبحوا طفل على باب المقبرة.

- نعم..ربما حدث هذا.

تصرخ ميرفت صرخة مدوية وتردد

- ذبحوا طفل، ذبحوا طفل، هذا مستحيل .

- اصمتي الآن ودعينا نرى ماسوف نفعله، دعكِ من الصراخ والنحيب وانتظري القادم.

ينزل الشيخ السوداني إلى المقبرة، يليه صادق ثم ميرفت، الشيخ يفرك عينيه بكلتا يديه، بينما ميرفت مأخوذة بما تراه، وصادق يصرخ باندهاش

- ماذا ياصادق؟ لماذا تصرخ؟

- انظر ياشيخ إلى المومياوات بجوار التابوت، إنها ممزقة تماما والبعض منها تم تفسيخه، يالها من كارثة، من فعل هذا؟ أنها خسارة بالملايين.

- انتظر ياصادق إن محتويات المقبرة كماهى لم يمسها أحد ولم يُسرق منها شيئاً، الذهب يملأ المكان، والتابوت بحالته، انتظر حتى نستطلع الأمر.

- ولكن ماذا عن نبيل زوجي وأحمد وسليم؟ لا وجود لهم هنا.

- الحمد لله يا ابنتي هذا يعني أنهم بخير.

- نعم ولكن أين هم؟

- ربما كانوا معا في الخار، أو ربما سافروا إلى مكان ما ليتفقوا على بيع كنوز المقبرة، اطمئني.. عندما نخرج سوف نحاول العثور عليهم.

صوت زمجرة يخرج من وراء إحدى زوايا المقبرة؛ تتجه الأنظار إلى مصدر الصوت والرعب يتملك الجميع، الزمجرة تزداد، تصرخ ميرفت صرخة مدوية

- لماذا تصرخين؟

- انظر ياشيخ هناك عيون لامعة تنظر لنا، ينظر الشيخ ومعه صادق، فجأة ينطلق كلب كبير الحجم نحو صادق، يُكشر عن أنيابه وفي لمح البصر ينقض على فخذه ويغرس فيه أنيابه بقوة؛ يصرخ صادق بأعلى صوته، يهرب الكلب مسرعا إلى خارج المقبرة، صادق

يضع يده على الجرح محاولاً إيقاف النزيف؛ يسرع الشيخ بخلع عمامته ومحاولة ربط الجرح بشاشها، بينما ميرفت تصرخ وتولول

- لاتخف يا صادق، انه كلب ضال، سوف نعالج الجرح وعندما تخرج نذهب إلى الطبيب.

- هذا الكلب قد أتلف المومياوات تماما، يبدو انه نزل إلى هنا منذ عدة أيام وأخذ يرتع في المقبرة ومافيها وأفسد ما افسد؛ إن خسارتنا كبيرة جدا أيها الشيخ.

- دعني اربط لك الجرح جيدا.

- دعك من الجرح الآن، إن الخسارة الحقيقة هي فيما أفسده هذا الكلب ابن الكلب.

- أريد الخروج، أنا خائفة جدا، من فضلكما دعونا نخرج الآن.

- حاضر يا ابنتي، لاعليك، سوف نخرج، فقط نصور مافي المقبرة من كنوز ومومياوات ثم نخرج بعدها مباشرة.

.. هل معك الكاميرا يا صادق؟

- لا.. ولكن دعنا نأخذ الصور بالموبايل، فيديوهات قصيرة لكل ركن من الأركان وإظهار مايحويه، وتذكر معي ياشيخ ضرورة إغلاق باب المقبرة جيدا حتى لايتسلل كلب آخر ويقضي على ماتبقى من مومياوات.

- سوف نرى مايمكن فعله، الأخطر من الكلب هم اللصوص، لوعلم أحد بمافي المقبرة لاحتشد عليها لصوص المقابر وأفرغوا مابها في دقائق.

- معك الحق ياشيخ، لابد لنا من التصرف سريعا.

- هل انتهيت من التصوير ياصادق؟

- نعم ياشيخ، دقائق وننتهي من هذا الأمر.

يصرخ صادق فجأة

- أحذري يامريفت هذا الثعبان.

تصرخ ميرفت صرخة مدوية وتسرع مبتعدة عن الثعبان الذي يلاحقها في سرعة شديدة؛ يهرع صادق ويضع قدمه على رأس الثعبان، تثور عاصفة هوجاء في المقبرة، تزداد سخونة الهواء، يتضخم الثعبان، تنشق رأسه إلى ثلاث رؤوس تتجه إحداها إلى

صادق وتلتف حول عنقه... ميرفت تشاهد المنظر يغشى عليها وتسقط على الأرض، الشيخ السوداني يرتل تراتيله وهو يرجف، يلتف الثعبان حول ضحاياه الثلاثة، يقتلهم ببطيء شديد وتلذذ كبير، ينتهي من عمله. انه المارد كاردل وقد أنهى مهمته.. تُحضر البواتق السحرية سريعا، الاشباح والأتباع يقومون بعملهم، سريعا سريعا يتم فصل الأرواح والأجساد والنفوس، تُجهز تسع بواتق سحرية تحوي الضحايا الثلاثة، ينطلق صوت قادم من أعماق الزمان السحيق، فحيح يغلفه الرعب،انه المارد دنهش

- ميمون ابانوخ، دورك الآن، خذ هؤلاء والقي بهم حيث يوجد الآخرون.

- السمع والطاعة أيها المارد دنهش.

- الجميع يستمع إلى أوامري، يكفينا هذا الكم من البشر، الجميع يترك المقبرة لقد انتهينا منها ولم نعد بحاجة له،وليباشر الكل عمله المكلف به إلى نهاية المهمة .

الجميع في نفس واحد

- السمع والطاعة المارد دنهش.

عاصفة رملية ساخنة تجتاح المقبرة ثم تخرج من بابها، تهدأ الأمور ويعود كل شيء إلى أصله.

***

أرض الفراعنة، مصر القديمة، حضارة الأجداد، الفرعون وحاشيته، أجدادنا قدماء المصريين، آلاف السنين تفصلنا عن هذا العالم العريق. ميمون أبانوخ ينطلق بالبواتق السحرية، يلقي بها أمام المعبد. عهد الملك رمسيس الثالث المحارب العظيم الذي خاض حروبا ضارية انتصر فيها كلها وخاض أول معركة حربية بحرية في تاريخ مصر القديمة، شيد معبد هابو العظيم على الضفة الغربية للنيل أمام العاصمة طيبة . الأشباح والمعاونون يعملون بجد وسرعة على البواتق السحرية لإعادة الضحايا إلى هيئتهم الجديدة، سرعان ما ينتهي العمل سريعا، الشيخ السوداني يقف مذهولاً، ينظر حوله غير مصدق ما يراه، صادق يفتح فاه باندهاش كبير، ماهذا؟ هل هي مقبرة فرعونية جديدة؟ ولكن كيف؟ العالم كله حولنا فرعوني، هل توجد مقبرة بهذا الحجم؟ ميرفت تقف لاتعي من أمرها شيئاً، الجميع ينظر حوله ثم يعيد النظر إلى من معه، تساؤلات كثيرة، ولا أجوبة، تثور عاصفة من الرياح الساخنة، يحوطهم أعوان المارد دنهش ويبدؤون في مباشرة عملهم وشد أزرهم؛ تزداد رباطة جأشهم، يزول الخوف من قلوبهم، يحاولون استطلاع الأمر والتكيف مع الواقع. تضحك أم الشعور كثيرا

- ماذا يضحكك يا أم الشعور.

- لاشيء أيها المارد كاردل، فقط أشعر بالغبطة بعد أن ازداد عدد البشر، وأظن الأيام القادمة ستشهد الكثير.

- نعم.. فهمت ماترمين إليه يا نائلة.

- نعم.. فقد صبرت كثيرا وهاهم البشر حولي، سوف أصول وأجول وأمارس حريتي وعملي كيفما شئت مع من شئت بل معهم كلهم.. فهم لي ولن أفرط في حقي فيهم أبدا.

- دعكِ من هذا الآن يا أم الشعور ولننتظر الخطوة القادمة.

- سأنتظر.. فقط أُعبر عن سعادتي بهذين الرجلين وتلك المرأة الجميلة التي سوف أتلبسها كما تلبست المرأة الأخرى واستطعت النيل من نبيل والإيقاع به.

- أخشى أن دوري قد انتهى بقتل هؤلاء الثلاثة يا أم الشعور، فلم يعد هناك المزيد لقتله.

- من قال هذا؟ إذا تواجد البشر فالقتل سوف يستمر.. والفاحشة سوف تسود، وكل الموبقات سوف توجد، لاتتعجل الأمور ياكاردل، ودعنا ننتظر ماسوف يحدث.

ميرفت تتطلع إلى مبنى كبير، تنظر إليه بتمعن وتحدث الشيخ السوداني

- إن هذا المبنى يشبه المعابد التي زرتها في الأقصر، يبدو مكان للعبادة عند قدماء المصريين.

- نعم انه كذلك، فقد قرأت الكثير عن تلك المعابد بحكم عملي، وأعرف الكثير مما يدور فيها.

- وهؤلاء القوم حولنا يرتدون ملابس القدماء المصريين ويدخلون ويخرجون من المعبد والجميع ينظر إلينا بتعجب.

- نعم يا صادق يبدو إننا في عصر الفراعنة.

- نعم ياشيخ، يبدو هذا جلياً.

- انتظر ياصادق، يبدو أحد الحراس متجها نحونا، يشير لنا للاقتراب منه.

يتحدث الحارس إليهم، يدور الحديث بين الحارس والشيخ السوداني

- من أنتم ومن أين جئتم؟

- نحن أحفادكم، وجئنا من المستقبل بعد أن دارت بنا عجلة الزمان للوراء.

- عجلة الزمان! هل تعلمون أين انتم الآن؟

- لا.. وان كنا نعتقد انه زمن الفراعنة.

- ومن أنت أيضاً، وهذه المرأة؟

- أنا صادق، وتلك ميرفت.

- ماهذه الأسماء الغريبة، كيف تدعون أنكم أحفادنا وتلك أسمائكم.

- انه التطور يطول كل شيء.

- تعالوا معي إلى داخل المعبد، لابد من عرضكم على الكاهن الأكبر لينظر في شأنكم.

يسير الثلاثة خلف الحارس مشدوهين بما يروه حولهم من أبنية وأروقة هذا المعبد الضخم

- ماهذا ياشيخ؟

- انه المعبد الكبير.

- وماذا يتم فيه؟

انه بيت الآلهة عند الفراعنة، تقام فيه الطقوس الدينية للمصريين القدماء، وأيضا تُقدم فيه القرابين للآلهة، وينوب عن الفرعون كبير الكهنة في هذا المعبد ومعه العديد من الكهنة ذوات الرتب الأقل ولكل منهم عمله واختصاصه، والمفروض أنهم رجال دين يقومون على خدمة الإله وهم مميزون عن عامة الشعب.

- وما هذه الغرف الكثيرة التي نمر عليها؟

- هكذا المعابد تحوي العديد من الغرف المغلقة، والساحات المفتوحة، بالإضافة إلى وجود أعمدة ضخمة مرصوصة على طول طريق الدخول كما ترين ياميرفت

- وماذا يوجد في الداخل؟

- أهم مافي المعبد قدس الأقداس وهو المكان الذي يوجد به تمثال الإله المعبود.

- هل سنصل إلى هناك؟

- لا أظن فإن هذا المكان لايصل إليه إلا الخاصة من الكهنة والفرعون فقط، وهو محرم على العامة وباقي الشعب.

- ولكن كيف يخاطب العامة الإله.

- يتم ذلك وفق طقوس خاصة في المناسبات والأعياد حيت يتواجد العامة في الأفنية الخارجية من المعبد ويمكنهم وقتها تقديم طلباتهم للإله

- ولكن ماهذه الأبواب الكثيرة التي تحجب الرؤيا عن الداخل؟

- إنها سلسلة من الأبواب تسبق قدس الأقداس وتمنع الضوء عن الداخل وكلما تقدمنا تضعف الرؤيا وتحل الظلمة، فالظلام يتزايد من بهو إلى بهو، تنخفض السقوف وترتفع القيعان وتزداد الرهبة حتى الوصول إلى المكان المقدس الذي يستقر فيه تمثال الإله.

- انتظروا هنا ولايتحرك أحد منكم قيد أنمله.

قالها الحارس بغلظة وانطلق مبتعدا عنه، وقف الجميع ينظرون إلى بعضهم تارة، وتارة أخرى ينظرون إلى ماحولهم وهم لايدرون من أمرهم شيئا، بعد برهة من الوقت جاء الحارس ومعه رجل يرتدي زي راهب فرعوني، ملابسه من الكتان الناصع البياض، وحذائه من البردي، حليق الرأس والحواجب والرموش.

- هاهم أيها الراهب المبجل قد أمسكت بهم وهم يحومون حول سور المعبد.

- اتركنا وشأننا أيها الحارس.

- السمع والطاعة أيها الراهب المقدس.

- من أنتم؟ وماهذه الهيئة العجيبة التي انتم عليها؟ ولماذا أتيتم إلى المعبد؟

- نحن قوم من أحفادكم، نحن أبناء العصر الحديث ودارت بنا عجلة الزمان حتى وصلنا إليكم و لانعلم كيف تم ذلك.

- من أنت أيها الرجل؟

- أنا رجل من نسل الفراعنة.

- هيئتك تنبئ بأنك كاهن ولكن من زمن آخر.

- نعم وهو كذلك، أنا كاهن ولكن بعد مضى آلاف الأعوام عن زمنكم هذا.

- هل ماتقوله صحيح أيها الرجل؟

- نعم صحيح أيها الكاهن المقدس.

- إن ماتتحدث عنه شيء لايصدقه عقل ولا تقر به عقيدة.

- نعم أنا معك ولكنها الحقيقة.

- ومن معك هذا وهذه؟

- هذه امرأة من عامة الشعب وهو كذلك.

- تبدو هيئتكم غريبة وملابسكم غريبة ولكن دعني أنقل ما سمعته منك إلى الكاهن الأكبر لآله الشمس"أعظم الرائيين"حم نتر، ونرى ماسيقوله بشأنكم.

انصرف الكاهن وتركهم في إحدى الغرف حتى يعود

- ماهذا الذي قلته أيها الشيخ؟
- ماذا قلت ياصادق؟
- هل أنت من نسل الفراعنة؟ ثم لماذا قلت إننا من عامة الشعب؟
- لاتتعجل ياصادق، كان لابد أن نجاري الكاهن ونثبت له أنه لاخوف منا، ماذا لوقلت له أنكم من الخاصة أو من الفراعين أو من العسكر، هل كان سيصدق؟
- لا بالطبع.
- تمام.. وهذا هو مادفعني للكذب عليه والادعاء بأني من نسل الفراعنة، وأنكم من عامه الشعب، فأنا من الممكن أن أتحدث معهم بلغة الكهنة كوني شيخ وقارئ في التاريخ الفرعوني وأجيد الخطابة والإرشاد، وانتم بعيدون تماما عن هذا الطريق.
- ولكن ماذا تظن أنهم فاعلون بنا ياشيخ؟
- لا أدري يا أخت ميرفت، ولكن دعينا نرى ما سيفعله الكاهن الأكبر.

بعد فترة تجاوزت الساعة جاء الكاهن وأخذ الثلاثة معه عبر عدة ممرات وغرف وأخيرا استقر عند غرفة مهيبة يتوسطها كاهن ضخم الجثة تبدو الغلظة في وجهه، تبادل الكاهنان بعض الكلمات القليلة وسرعان ما أن انصرف الكاهن الأول وتركهم مع الكاهن الضخم

- استمعوا لي جيدا، لقد أوكل لي الكاهن الأكبر أمركم ودعاني للنظر في شأنكم، وقد استمعت جيدا إلى الحديث الذي تحدثتم به منذ قليل إلى الكاهن غير أني لا أصدق شيئا مما سمعته، ماذا تقولون وتدعون؟ هل أنتم من السحرة أم من الجن؟ أصدقوني القول، يوجد عندنا في المعبد الكثير من الكهان البارعين في السحر ويمكنني استدعائهم حالا لكشف كذبكم، وأيضا عندنا من يصاحبون الجن ويُسخرونه لخدمتهم وخدمة المعبد، تكلموا معي بالصدق حتى استطيع مساعدتكم وكي لا أنقلب عليكم واحكم عليكم بالموت.
- لقد تحدثنا بالصدق أيها الكاهن المقدس وتلك هى الحقيقة، وماحدث معنا لانعلم كيف حدث ولكننا قادمون من عصور بعيدة عنكم.. فقد تجاوزنا تلك الفترة بآلاف السنين، ويمكنك أن تستفيد من علمنا وماتوصلنا إليه بعد كل هذه السنوات، لن تندم على منحنا فرصة للحياة وسوف تجد منا كل الخير والمساعدة.

- من أنت أيها المتحدث؟ ولماذا لونك أسود هكذا؟هل أنت من الجنوب أو من أي منطقة؟

- نعم سيدي الكاهن، أنا من أحفادكم في جنوب العاصمة طيبة، وأنا كاهن من كهان زماننا وأمارس تلك المهنة من أعوام كثيرة وكما ترى هيئت، تلك هيئة الكهنة في زماننا.

- إذا دعني أسألك بعض الأسئلة لأتيقن من حديثك.

- نعم سيدي الكاهن.

- هل تعرف كيف تم خلق الكون؟

- نعم ياسيدي إن الكون كان محيط أزلي، والإله أمون قام بتحريك الهواء فتحركت تلك المياه الراكدة لينشأ الطمي واليابسة لتضع عليها الإوزة السماوية بيضة كونية كبيرة باضها الإله أبيس، وعند انفجار تلك البيضة خرج منها الإله رع الذي قام بخلق البشر وكل مايتعلق بالكون.

- حقا أنت ابن الجنوب أيها الكاهن القادم من الزمن اللاحق.

- هل تجيد إحدى مهارات الكهنة؟

- نعم سيدي الكاهن، لي أعوانا من الجن يمكنني تحضيرهم والاستعانة بهم في انجاز ما أريده، وأجيد السحر وفكه ومعرفة ما في باطن الأرض.

- حقا هل تجيد ذلك؟

- نعم ياسيدي.

- إذا هيا معي ودعني أشاهد ماتقوم به وما تدعيه وبعده ننظر في أمرك.

خرج الشيخ السوداني مع الكاهن بينما صادق وميرفت ينظران بعضهما إلى بعض وهم في حيرة من أمرهما

- هل رأيت الشيخ السوداني؟ لقد كفر بالله وأشرك معه في الخلق.

- نعم نعم، لقد باع دينه حتى يتقرب إلى الكهنة؛ ياله من فاسق رعديد، لم أكن أظن أن تلك هى أخلاقه.

- نعم ولكل ماذا سوف يحدث الآن؟ ومامصيرنا نحن؟ أخشى أن يلحق بنا الأذى.

- دعينا نرى ماسوف يحدث.

بعد برهة عاد الكاهن ومعه الشيخ السوداني

- استمع جيدا أيها الكاهن القادم من الزمن اللاحق، لقد أقر الكهنة بصلاحيتك، وسوف ارفع أمرك إلى الكاهن الأكبر لاستصدار قرار بضمك إلينا فربما نحتاج إليك، والى أن يصدر القرار عليك بقراءة لائحة الكهنة ومالهم وماعليهم، سوف تنال الكثير، وستُغدق عليك الأموال وتصبح من الخاصة، وعليك إلى أن يصدر قرارك أن تتجهز لدخول المعبد، يجب أن تتطهر جيدا وتحلق رأسك وذقنك ورموش عينيك وحواجبك، واعلم أيها الكاهن أن دخولك المعبد سوف يحرمك من المتعة الجنسية فإن كان لك غرض في شيء فافعله الآن، هذه المرأة التي معك يمكنك معاشرتها تلك الفترة حتى دخولك المعبد، وهذا الرجل الغريب لسنا بحاجة له، يمكنه السكن خارج المعبد إن كنت بحاجة إليه.

- سمعا وطاعة ياسيدى، أسمح لنا بالانصراف حتى نهيئ أنفسنا للمرحلة القادمة.

- سوف أكلف الحرس بتأمين مكان لك ولزوجتك وأيضا مكان لهذا الرجل حتى تنتقل إلى المعبد معنا.

- شكرا ياسيدي.

ينادي الكاهن على احد الحراس الذي يصطحب الثلاثة معه إلى خارج المعبد ويسلمهم إلى أحد خدام المعبد بعد مناقشة قصيرة بينهما والذي يأخذهم بدوره إلى سكن العامة من الناس ويؤمن لهم مكانين للسكن والبيات

- ماذا فعلت أيها الشيخ؟ وأي زوجة وأي معاشرة تلك التي تتحدث عنها أنت والكاهن الفرعوني؟

- لاتغضبي ياميرفت.

- ميرفت! هل حدث لعقلك شيء؟ ألا تعلم أني متزوجة من نبيل؟

- نعم اعلم ولكن أين نبيل الآن؟ انه في عالم ونحن في عالم آخر، يا عزيزتي نحن الثلاثة مختلفون عن الجميع هنا وقد تركنا أهلنا وأملاكنا وأولادنا ولايوجد سوانا في هذا لعصر الغريب عنا، ونحن

على هيئة مختلفة عن الجميع كما ترين ولك أن تختاري بيني وبين صادق فلايوجد من يصلح للزواج بك سوانا، وقد سمعتي الكاهن يعدد المزايا التي سوف احصل عليها وربما أصبح من أغنياء القوم وأتمتع بالجاه والنفوذ، إن أردتِ الزواج مني فأهلا بكِ وان اخترني صادق فسوف تعاديني، لكِ الاختيار.

أطلقت أم الشعور "نائلة "ضحكة شيطانية مجلجلة وجاءت على عَجل وتلبست ميرفت التي تغير رد فعلها وطريقتها مع الشيخ السوداني وطلبت منه أن تختلي به لمناقشة بعض الأمور، استأذن الشيخ من صادق واستمع إلى ميرفت التي تحدثت إليه بميوعة واضحة ودلال

- هل حقا تود الزواج مني ياشيخ؟

- نعم.. أحب جدا، ماهذا الجمال والحسن؟ أنت لي يامیرفت ولن يستطيع أحد أخذك مني.

- نعم ولكن ما المقابل ياشيخ؟

- ما تطلبيه تجديه، سوف أغدق عليكِ من المال والذهب وكل ما تتمنيه، سوف تكوني محظيتي وعشيقتي التي ألوذ إليها دوماً.

- وهل سنتزوج بطريقة رسمية؟

- أي طريقة رسمية؟ إننا في عصر الفراعنة، لهم طقوسهم في الزواج التي تختلف عنا كثيرا، ولاتنسي إننا في فترة قبل الأديان فلايوجد زواج شرعي، فقط ستكوني عشيقتي وأجود عليكِ بما تريدينه، هل توافقين؟

ميرفت في دلال ودلع أم الشعور

- نعم أوافق ياشيخ.

- هيا بنا إذاً نحتفل ونمارس حياتنا قبل أن يصدر القرار وأتركِ وأذهب للمعبد.

- هيابنا ياشيخ فأنت لي وأنا لك ولنهنأ بحياتنا الجديدة.

يخرج الشيخ ممسكا بيد ميرفت ويوجه حديثه لصادق

- فلتعلم ياصادق إننا قد تزوجنا وأصبحت ميرفت من اليوم زوجتي؛ سوف نتركك الآن ونذهب إلى غرفتنا، انتظرني في الصباح سوف يكون لنا حديث.

صادق يضرب كفا بكف غير مصدق مايحدث، يجلس على مصطبة مصنوعة من الطين داخل الغرفة وهو لايكاد يفقه شيئا بعد أن دارت الأمور سريعة من حوله.

مضت عدة ليالٍ قضاها الشيخ السوداني أيام عسل مع ميرفت بعد أن لبستها أم الشعور وعاشت معها متعة الجنس ومضاجعة بني البشر..واستعاد الشيخ السوداني صباه مع هذه الشابة الجميلة التي سلمته نفسها مقابل أن تنعم بالكنوز والأموال التي تنتظرها بعد عمل الشيخ كاهنا في المعبد. جاءت البشرى للشيخ بالموافقة على تعيينه كاهنا مع كهنة المعبد وجاءه الرسول يطالبه بدخول المعبد لمقابلة الكاهن الأكبر بعد أن يتم تطهيره وتعميده، قابله أحد الكهنة الذي اصطحبه معه إلى داخل المعبد وتحدث معه حديثا قصيرا

- اسمع أيها الكاهن الحفيد، لقد صدر القرار بعملك بالمعبد وهذا شرف كبير لك؛ سوف تصبح من الآن من الخاصة وتنضم إلى كهنة المعبد المقربين وسف يكون لك مالهم وعليك ماعليهم وستنعم بالحياة الرغدة والأموال الكثيرة والقداسة الدينية وتعيش حياة يحسدك عليها الكثيرون، ولكن عليك من الآن عدم الاتصال بزوجتك وإذا دعتك الحاجة إليها فلايكون ذلك داخل المعبد فنحن نستثني بعض اللقاءات ولكن خارج المعبد، وسوف نلحقها بإحدى الوظائف الخدمية أو الإدارية في المعبد حتى تكون مطمئنا عليها.

- أشكرك ياسيدي ولكن ماذا عن صادق؟

- هل تقصد الرجل الذي أتى معكما؟

- نعم هو.

- ماذا يعمل هذا الرجل؟أقصد ماصنعته في عصركم؟

- إنها صنعة بسيطة فهو مسئول عن عمال الحفر.

- عظيم إذا نلحقه بالخدمة في المعبد ويصبح مسئولاً عن بعض العمال ولكن بدون أي مميزات وهذا إكراما لك فقط.

- أشكرك سيدي الكاهن.

- والآن هيا بنا لنقوم بتجهيزك وإعدادك للكهانة وتعميدك استعدادا لمقابلة الكاهن الأكبر.

- وهل سألتقي بالكاهن الأكبر؟

- نعم فهو في انتظارك بعد أن تحدثنا معه بشأنك ويرغب في مقابلتك والحديث معك.

- هيا بنا أنا جاهز وعلى استعداد.

صادق يذهب إلى ميرفت ويطلب الحديث معها وتجيبه إلى طلبه

- كيف تفعلين هذا بنفسك وتتزوجين من هذا الكهل؟

- وما شأنك أنت بذلك؟

- فقط يتملكني الغيظ والغضب فأنتي زوجة لشاب وسيم ولديك طفلين، لماذا تقبلين هذه الصفقة؟

- ولماذا لا أقبلها، إنها الحياة ولابد لنا من استغلال المنح التي تعطيها لنا.

- ولكن ما المنحة في زواجك من هذا الكهل؟ انه رجل متسلق، لقد أشرك بالله في أول مقابلة له مع الكهنة وادعى أن خلق الكون كان من بيضة وقال كلاما غريبا ولم يذكر الله في حديثه أو أنبياءه؛ انه مشرك فاسق.

- وماذا يضيرك في هذا، أنه يجاري العصر، فماهو مصيره لو كان صدقهم القول وحدثهم عن الله والأنبياء، ومع ذلك وان كان قد أشرك بحق فهذا الأمر لايخصك و الشرك يعيشه الكثير من المسلمين في أمريكا وغيرها من البلاد الغربية حتى وفي بلاد الإسلام.

- هل تعنين أن هذا الأمر لايخصكِ ولايزعجكِ؟

- لا على الإطلاق، المهم أن نعيش حياتنا كيفما شئنا ونستفيد من فرص الحياة وهذا مافعلته.

- نعم ولكنك حتى لم تأخذي وقتا للتفكير وإعادة الحسابات على الرغم من أهمية هذا القرار لكِ.

-الأمرلم يكن بحاجة إلى تفكير فهو محسوم ومن الأفضل عدم الحديث مرة ثانيه في هذا الموضوع، فقد اخترت ووافقت وانتهى الأمر، هل فهمت؟

- نعم فهمت، يبدو أني لم أفهم الحياة تماما حتى الآن.

- أظن ذلك وأمامك الكثير لتتعلمه، أصمت الآن فالحراس قادمون، ربما سوف يأخذوننا إلى المعبد أو ينتقلوا بنا إلى مكان آخر.

الشيخ السوداني في حضرة كبير الكهنة، حجرة كبيرة واسعة ذات سقف مرتفع.،أمام المدخل عدد من التماثيل الضخمة التي تبعث الرهبة في نفوس الزائرين، الضوء خافت.. كبير الكهنة يجلس على كرسيه في هيبة ووقار.. صوته يجلجل في خشونة، وصدى الصوت يزيده قوة وهيمنة، الشيخ السوداني ينتابه الرهبة والخوف، لايكاد يرفع عينيه للنظر إلى الراهب الأكبر، ينظر إلى الأرض في ذل وتواضع بعد أن قام بتقديم التحية الواجبة كما تعلمها من كهنة المعبد

- أيها الكاهن الحفيد، لقد علمت بقصتك ورغم اندهاشي وعدم تيقني مما تقول وتدعي إلا أني قد أصدرت القرار بضمك إلى كهنة المعبد، هل تعلم لماذا؟

- لا ياسيدي.

- سأقول لك السبب الذي دعاني إلى ذلك، أنت تدعي انك قادم من عالم جاء بعدنا بآلاف الأعوام، وهذا يعني انك تملك من العلم والمعرفة الكثير مما نجهله، وأيضا اتصالك بالجن وعالم السحر سيفوق قدراتنا بكثير، وهذا هو مانحتاجه منك، إن كنت صادقا فستنعم معنا بكل الخير، وان اكتشف كذبك فسوف نقدمك قربانا للآلة وتُذبح في المعبد، وسوف أقول لك سرا لاتعلمه أو ربما تعلمه من قراءاتك كما تدعي، الكهنة ليسوا رجال دين فقط، وليست كل أعمالهم في الخير، بل لنا عالمنا وطموحاتنا وتطلعاتنا التي نسعى إليها ونفعل ما بوسعنا للمحافظة على المكتسبات وماوصلنا إليه، وربما في سبيل ذلك نقترف بعض الخطايا، بل الكثير من الخطايا، ربما مؤامرات، قتل.. سحر.. أشياء كثيرة ربما لاتتفق مع قدسية الكاهن ولكن هذه حياتنا وتلك مقدراتنا، هل فهمتني أيها الكاهن الحفيد؟

- نعم فهمتك ياسيدي؟

- لقد صارحتك بما لايجب أن أتحدث به، وربما تتساءل عن السر في ذلك، سأقولها لك ولكن عليك أن تعلم أن هذا الأمر لو خرج من فمك فسيكون مصيرك الحرق ولن يجد لك أحد بقية، هل تفهمني؟

- نعم ياسيدي ثق بي تماما فأنا خادمك المطيع.

- لقد جئتنا في وقت نحن بحاجة فيه إلى فكر متقدم وأسلوب حديث غير متعارف للقيام بإحدى المهام الخطرة، وتلك المهمة لو فشلنا في تنفيذها ستكون نهايتنا جميعا، وان نجحنا فسوف ننال الكثير، وهى

فرصة نعطيها لك لنتبين صدقك من كذبك، استمع إلى حديثي جيدا وأمعن الفكر في كل كلمة ثم أعطني الجواب.

- نعم ياسيدي استمع إليك بكل جوارحي.

نظر الكاهن يمينا ويسارا، ثم دعا الشيخ السوداني للاقتراب منه أكثر، تحدث إليه بصوت منخفض وكأنه يهمس له.

- "تي" الزوجة الثانوية للملك رمسيس الثالث تعد مؤامرة لتولية ابنها الأمير "بنتاوير "عرش البلاد بدلا من رمسيس الرابع الوريث الشرعي من زوجته الشرعية؛ وهى في سبيل ذلك تعد مؤامرة لقتل الملك.

- انتفض الشيخ السوداني وارتجف جسده من الخوف.

- ماذا دهاك أيها الكاهن الحفيد؟

- لاشيء ياسيدي، لاشيء.،ولكن قتل الملك هذا شيء مريع.

انتصب الكاهن الأكبر واقفا والغضب على وجهه وقد جحظت عيناه واحمرت وجنتاه وصرخ في الشيخ السوداني

- مالك أنت وهذا الشيء، أنت من زمان غير زماننا، وقوم غير قومنا، ماعليك سوى تنفيذ ما يُطلب منك، لم أسألك رأيك ولم أخذ مشورتك.

ارتعش جسد الشيخ السوداني وسابت مفاصله حتى كادت قدماه لاتقويان على حمله،وبكلمات متقطعة أجاب الكاهن

- أسف ياسيدي، خادمك المطيع.

استعاد الكاهن الأكبر بعض الهدوء وعاود الجلوس على كرسيه، صمت قليلا ونظر إلى الشيخ وأكمل حديثه

- إن زوجة رمسيس قد أعدت الخطة واتفقت مع عدد من موظفي القصر والمقربين من الملك على تسهيل مهمة القتل، ولكن وقفت معضلة أمامهم وهى كيفية التغلب على حراس القصر والوصول لحجرة الملك وقتله، وقد استعانت بنا لمساعدتها في هذا الأمر بالسحر أو بالاستعانة بالجن وقد وقفنا عاجزين عن تنفيذ ما تأمرنا به بعد أن عجز علمنا عن ذلك، وبما أنك ساحر من الزمن القادم فمن المؤكد انك تملك العلم الذي ييسر لنا هذا ويمكنا من التغلب على الحراس، وكما قلت لك لو نَجحت حيلتك سيكون لك شأنا آخر، ولكن لو فشلنا فسيكون الموت مصيرنا جميعا.

- نعم ياسيدي أدرك ذلك جيدا.

- اذهب الآن وفكر وأمامك يوم واحد بعده تأتيني بالخبر اليقين.

- خرج الشيخ السوداني يجر رجليه جرا، فقد أدرك انه قد وقع في شر أعماله ولكن ليس لديه حيلة، فالوقت ليس في صالحه وكل الخيارات نهايتها كارثية، ماذا يفعل والى أين يتجه ؟ ساقته قدماه إلى حجرة صادق.

- ماذا بك ياشيخ؟ ماهذا الوهن الذي بك والشحوب البادي على وجهك؟

صمت الشيخ السوداني بعض الوقت ثم أجهش ببكاء شديد وكأن نهايته قادمة لامحالة، هدأ صادق من روعه وظل بجانبه حتى استعاد هدوءه وتحدث إلى صادق بأمر الكاهن والمؤامرة.

- إنها مصيبة حقا ياشيخ، ولكن لماذا أنت خائف هكذا؟ ألم يطمئنك الكاهن الأكبر؟

- الأمر ليس هكذا ياصادق، المشكلة أني أعلم بهذه المؤامرة وقرأت عنها الكثير وقد ذُكرت تفاصيلها في إحدى البرديات باسم "مؤامرة الحريم".

- حقا ياشيخ، وماذا حدث فيها، هل تمت؟

- ماحدث كارثة كبرى ياصادق ولكن دعني الآن فأنا متعب بعض الشيء، سوف اذهب إلى حجرتي حتى لايفتضح أمري .

- وهل ستشارك في تلك المؤامرة؟

لم يجب الشيخ على صادق وتركه وذهب إلى حجرته في المعبد، وفي إعقابه انطلقت عاصفة من الرياح الساخنة، العفريت طارش يأمر قرين الشيخ بالقيام بعمله ومؤازرة الشيخ؛ وسرعان مايستعيد الشيخ عافيته وتتسع ابتسامته فقد توصل للحل وعرف طريقه. في الصباح الباكر يستيقظ الشيخ السوداني ويطلب مقابلة الكاهن الأكبر ويخبره انه تمكن من فك اللغز ومعرفة الطريقة التي تُمكن المتآمرين من قتل الملك، استمع الكاهن الأكبر إلى خطة الكاهن الحفيد وهو مندهش تماما من إحكامها وقوة مفعولها، ظل يتناقش معه بعض الوقت وبعدها أعلن رضاءه التام عن تلك الخطة وعن الكاهن الحفيد.

جمع الكاهن السحرة وأفضى إليهم بما في جعبته، قام السحرة بعدها بتنفيذ الخطة بتعليمات الشيخ السوداني ونحتوا تماثيل من الشمع لجميع الحراس القائمين على حراسة الملك، وتم إعداد التعاويذ والتمائم السحرية وكتابتها على التماثيل ليسري مفعولها ويصاب أصحابها الأصليين بأضرار تمنعهم من الدفاع عن الملك وتحول بينهم وبين رؤية المتآمرين أو مواجهتهم. اجتمع رئيس القصر الملكي مع زوجة رمسيس ومعهم رئيس حاشية فرعون "بنجو "الذي حمل معه التماثيل بعد سحرها، ومعهم ساقي الملك "مسدرع"،أعدوا الخطة وبدأ التنفيذ، وقد كان وفعل السحر الأسود مفعولة وتمت المؤامرة وتمكن المتآمرون من قتل الملك رمسيس الثالث

- ارتفعت من اليوم رتبتك بين الكهنة وأصبحت من المقربين بعدما أثبت صدق حديثك وتمكنت من سحر حرس الملك وكنت أحد الأسباب القوية في نجاح المؤامرة وقتل الملك رمسيس الثالث.

- وهل نجحت المؤامرة حقاً ياسيدي الكاهن؟

- نعم أيها الكاهن الحفيد.. وهل عندك شك في هذا؟

- كلا.. كلا

- من اليوم لك مكانتك المميزة بيننا، وأنت من المقربين، سوف ننعم عليك بالذهب والأموال والقرابين وترتفع منزلتك ويعلو شأنك إلى أقصى درجة، سنستعين بك في الأيام القادمة بما يطلب منا من أعمال السحر والخطط التي نضعها لنصل إلى مآربنا ونقترب من بلاط الحكم فقد أصبحت أهلاً للثقة وكتم السر.

- أمرك سيدي الكاهن الأكبر، وأنا في خدمتكم وخدمة المعبد.

الشيخ السوداني ينصرف مزهوا بنفسه وقد نال ماتمناه من الحظوة والمال والسلطة، يتجه إلى حجرة ميرفت يبشرها بماوصل إليه ويعدُها بإغداق الأموال والكنوز عليها كما وعدها، تنطلق أم الشعور نائلة لتنتهز هذه الفرصة، تتلبس ميرفت التي سرعان ماتتزين وتتمايل في دلع ودلال وتكشف عن مفاتنها في إشارة واضحة لايجليها رجل خبر الحياة والنساءن تُسدل ميرفت شعرها الطويل على الشيخ الذي سرعان ما أن يستجيب لها ويعيش معها ساعة يرتشف من عسلها ويروي شبقها ضاربا عرض الحائط بتعاليم المعبد وشروط الكهنة التي وافق عليها وتعهد بتنفيذها، وما أن ينتهي من حفلته مع ميرفت

حتي يفاجأ بالريس صادق يدق عليه الباب بشدة، يخرج إليه مذعورا، يأخذه من يده ويتجه به إلى حجرته.

- ماذا بك ياصادق؟ لماذا هذا الإزعاج؟

- هذا لم يكن اتفاقنا ياشيخ.

- أنسى الآن كلمة شيخ، أنا الكاهن الحفيد، هل فهمت؟

- كن ماتكون، ولكن مايحدث ليس عدلاً، فقد نلت كل شيء وأصبحت من المحظيين وتتمتع بالمال والجاه والسلطة بينما أنا اعمل أجيرا مع العمال في الحفر.

- وما الجديد في هذا أليس هذا عملك؟

- إننا في عصر مختلف ولابد لي من نيل بعض مانلته أنت.

- قلت لك سوف ينالك الكثير، وسوف أغدق عليك الأموال على أن تكون كاتما للسر وتابعا لي، تستمع إلى ما أقوله وتنفذ ما أطلبه، هل اتفقنا؟

- لا لم نتفق فلم اعتاد بالفتات من أحد،أريد أن تتوسط لي وتجد لي وظيفة تدر لي الكثير من الأموال فنحن شركاء ولابد أن نعيش الحياة سويا لاتعيشها أنت وأنا ألهث خلفك، ألا يكفي انك ضممت ميرفت إليك وفزت بها بمفردك؟

- مالك أنت وميرفت أليست هى من اختارت،ولاتنسى إنها من الآن تابعة لي ولا اسمح لك بالحديث عنها أطلاقا، هل فهمت ياصادق؟ استمع لي جيدا، لقد تعاملت معك حتى الآن بالود واللين احتراما لعشرتنا الطويلة معا، ولكن عليك الاحتراس انك تتحدث مع أحد الكهنة المقربين ويجب أن تعي حديثك جيدا، فقد صبرت عليك حتى الآن، ولكن لو تماديت في حديثك هذا سيكون لي معك شأنا آخر.

- هل تهددني ياشيخ؟

- نعم أهددك، يبدو أن صبري عليك جعلك تتمادى وتطلب ماليس لك.

- لماذا ياشيخ؟ إن لي حقا فيما وصلت إليه، هل نسيت سريعا نصيحتي لك بمجاراة الكاهن الأكبر في المؤامرة والاشتراك معهم بسحرك الأسود الذي تجيده.

- أشم في حديثك نبرة تهديد ياصادق.
- أنا لا أهدد ولكن فقط أذكرك.
- أتَذكر جيدا ياصادق.
- وأيضا ألم أشر عليك بالإيحاء لهم بأنك حفيد الفراعنة المصريين مع العلم بأنك حفيد فراعنة السودان "مملكة كوش ".
- انتفض الشيخ السوداني غاضبا وبرزت عيناه من محجرهما وأخذ يسب ويلعن في صادق بعد أن نطق بهذه العبارة.
- اسمع ياصادق.. لقد تأكدت الآن أن ماتتحدث به ليس سوى تهديد ، ابتزاز حقيقين أنا المحق في ذلك، لقد أسررت لك بما في قلبي لأننا غرباء سويا في عصر غير عصرنا ولم أظن انك سوف تستغل حديثي معك لتهددني به وتضع السكين فوق رقبتي، ولكن عليك أن تعلم أنك من الآن عدو لي وسوف أنال منك وإن لم تصمت وتضع لسانك داخل حلقك فسأذبحك قربانا للآلة، وتأكد إن ما أقوله ليس دعابة، فأنا بحق بحاجة لهذا القربان لأشكر الآلة على ماوصلت إليه ولن أجد أفضل منك قربانا، أنت من الآن تحددت إقامتك وسوف أعين حارسا لمراقبتك ومنعك من الخروج حتى أبت في أمرك وأرى ماسأفعله بك، لقد تعاملنا معا سابقا ولكنك لاتعرفني جيدا ياصادق، وكان عليك الحذر مِن من يتخذ الشياطين أعوانا والسحر الأسود صنعه، هل ظننتني شيخا بحق؟ أنك مخطئ يا رئيس العمال وسوف تنال جزاءك قريبا.

انصرف الشيخ السوداني، بينما جلس صادق غير مصدق ما حدث وتملكته الدهشة وأيضا الخوف، ظل على حاله فترة من الزمن حتى استعاد هدوءه بعض الشيء واستطاع أن يهتدي إلى حيلة يهرب بها من المعبد قبل أن يَصدُق الشيخ في حديثة ويذبحه قربانا للآلهة وأيضا قبل أن يعين حارساً على حجرته يمنعه من الخروج، تمكن صادق من الفرار من المعبد وأسرع الخطى مبتعدا عن هذا المكان الموحش الذي يسكنه الإله وتقام به الشعائر الدينية وتحاك فيه المؤامرات والدسائس وترتكب باسمه أبشع الجرائم وأقذرها، وبينما يسير على غير هدى لايعلم أي الطرق يسلكها فوجئ بأحد الأشخاص يبحلق في وجهه ويتفحصه، ارتجف صادق من الخوف خشية أن يكون هذا الرجل من أتباع الشيخ وقد أرسله في أثره للقبض عليه والعودة به للمعبد لتنفيذ تهديده وقتله

- انتظر أيها الرجل.
- من؟أنا!
- نعم أنت، أنت غريب عنا، وتبدو في هيئة مختلفة عن هيئتنا، هل هذا صحيح؟
أجابه صادق متلجلجاً.
- نعم صحيح أنا من عصر غير عصركم وزمان غير زمانكم.
- ياللهول، ماذا حدث هل هى نهاية العالم؟ أنت الشخص الرابع الذي أراه اليوم في هذه الهيئة الغريبة ومن الزمن العجيب.
- ماذا تقصد بالشخص الرابع؟
- لقد رأيت ثلاثة رجال وامرأة منذ عدة ساعات وتحدثت معهم وقالوا قولك هذا وذكروا العصر والزمن المختلف وكنت أظنهم يسخرون مني ولكن الآن تأكدت أن ماقالوه صحيح.
- حقاً هذا القول؟
- نعم.
- أين هؤلاء القوم دلني عليهم بحق الإله.
- لقد قابلتهم خلف تلك التلال الرملية أظنهم كانوا يبحثون عن مسكن أو مأوى يأويهم فقد كان يبدو عليهم الإعياء والتعب.
- حسنا.. أشكرك ياعزيزى.
- انتظر يارجل، إن الواجب يحتم إبلاغ الحراس بوجودكم، فما يدريني أنكم لستم من الأعداء أو يكون وراءكم آخرون ينتظرون الفرصة للانقضاض علينا والإضرار بنا، انتظر سوف أبلغ الحراس للتحقيق معكم ومعرفه ما وراءكم.
كاد قلب صادق أن يتوقف؛ هذا يعني القبض عليه وتمكين الشيخ السوداني منه وذبحه كالذبيحة قربانا كما يدعون، تلعثم صادق قليلا ولكنه تمالك نفسه بعض الشيء وتحدث بلهجة جادة مع الرجل
- أنت مواطن جيد، لاعليك ياصديقي فالحراس يعلمون بأمرنا، وقد تقابلنا مع قائد الحرس وأيضا ذهبنا إلى المعبد وتحدثنا إلى كبير الكهنة والجميع هنا يعلمون حكايتنا، لاعليك، نحن أصدقاء ولاخطر عليكم منا، لاعليك ياصديقي.

انصرف صادق مسرعا وترك الرجل مبهوتا يستعيد كلماته ويقلبها في رأسه وقبل أن يتخذ قرارا كان صادق قد اختفى خلف التلال التي أشار إليها الرجل.. أخذ صادق يبحث عن الأشخاص الآخرين وقد تيقن بفعل "قرينه " أنهم سليم وأحمد ونبيل ومعهم امرأة لايعرفها. ظل صادق يبحث لمدة تجاوزت الساعتين حتى شاهد من بعيد أربعة ينطبق عليهم الوصف الذي قاله الرجل، انطلق إليهم بأقصى سرعة ونادى عليهم

- سليم.. نبيل.. الشيخ سليم .. أحمد.

ألتفت الرفاق للخلف وشاهدوا صادق

- هل تصدق ياشيخ سليم انه رئيس العمال.

- نعم يانبيل أنه هو ولكن كيف جاء إلى هنا؟

تضحك ليلى بصوت مرتفع

- جاء كما جئنا نحن ياشيخ سليم، لماذا تتعجب؟

- معك حق ياليلى، انتظروا انه سوف يلحق بنا.

صادق يحتضن الشيخ سليم ونبيل ويجهش بالبكاء

- ماذا يبكيك ياصادق، ولماذا هذا الرعب الذي يتملكك؟ اهدأ يا أخي، اهدأ.

- أنا بحاجة إليكم والى حمايتكم، سوف أروي كل شيء لكم ولكن دعونا أولا ننزل بمكان آمن فأنا هارب وأخشى من القتل.

- قتل! ومن الذي يقتلك؟

- الشيخ السوداني يانبيل.

- الشيخ السوداني، هل هو معك؟

- نعم ياشيخ سليم وسوف أروي لكم ماحدث معنا.

آوى الجميع إلى كهف آمن بعيد عن الأنظار واستمعوا إلى رواية صادق وماحدث معه ولم يشأ صادق أن يذكر ميرفت ومافعله معها الشيخ حتى لا يثار نبيل ولايُمكنه من تكملة حكايته، روى لهم ماكان من أمر الشيخ ومؤامرته وما أسره له من انه حفيد فراعنة السودان،وهنا قاطعته ليلى.

- فراعنة السودان! ماذا تقصد بهذا وهل للسودان فراعنة؟

- نظر إليها صادق نظرة بلهاء.

- لا أدري، فقد قال لي هذا القول وأنا لم أعرف مقصده، ولكنه كان خائفا جدا عندما ذكَرته بذلك.

- لماذا؟ هل تعلم شيئاً ياشيخ سليم عن فراعنة السودان؟

- نعم يانبيل، "كوش " هي مملكة نوبية عظيمة نشأت بحدود أرض النوبة السفلى حيث مدينة أسوان والشلال الأول داخل حدود مصر الحديثة وجنوبا حتى وسط السودان الحديث، وقد اندثرت حضارة تلك المملكة العظيمة الضاربة في أعماق التاريخ حيث يصل عمرها إلى سبعة آلاف سنة وتركت أثاراً ومقابر جنائزيه وأهرامات تشابه أهرامات الجيزة وتاريخا عظيما كتب عنه الكثير من العلماء القدماء أمثال "هيرودوت وإسترابو وديدور الصقلي".

- نعم، ولكن ماذا يخيف الشيخ السوداني في هذا؟

- مالاتعلميه ياليلى أن الكوشيين قد غزوا مصر بعد أن ضعف الفراعنة المصريين وحكم ملوك كوش مصر وأدرجت أسماء هؤلاء الملوك ضمن الأسرة الخامسة والعشرين الفرعونية وكان حاكم كوش يلقب ب"ابن فرعون" وعين له نائبا يحكم مصر ويلقب بلقب فرعوني هو "حريحور"وهو لقب أول كاهن مصري تمكن من الوصول للعرش، وشيد ملوك كوش معابدهم على الطراز الفرعوني القديم وزينت بالرسوم الفرعونية والنقوش الهيروغليغية، وقد بسط ملوك الكوشة نفوذهم تماما على مصر القديمة، و بعد انتهاء عهد الدولة الحديثة عقب زوال الأسرة العشرين دخلت مصر في مرحلة تسمى بعصر الانتقال الثالث (الأسرة الحادية والعشرين 1070-946 ق.م تقريبًا)، ثم العصر الليبي (الأسرة الثانية والعشرين إلى الأسرة الرابعة والعشرين 946-712ق. م تقريبًا) حيث ضعفت فيها الدولة المصرية وتوالى عليها المستعمرون، ثم جاء العصر الكوشي (الأسرة الخامسة والعشرين 712-664 ق.م تقريبًا) ويذكر أن أول ملك لكوش هو(كاشتا)، وتم أول غزو كوشي معروف لصعيد مصر في عهده، وأعقب هذا الغزو هيمنة كوشية كاملة على معظم أراضي مصر على يد الملك بعانخي الذي خلفه في الحكم، وبعد وفاة بعانخي اعتلى مقاليد العرش الكوشي عدد من الملوك أشهرهم" تهراقة" الذي لقب بملك مصر وكوش، وحارب الملوك الكوشيين دفاعا عن مصر ضد الآشوريين الذين كانت إمبراطوريتهم قد غدت أكبر قوة في الشرق آنذاك في القرن السابع قبل الميلاد، وانتهى الصراع بهزيمة

الكوشيين وإبعادهم عن مصر وبذلك انتهى العهد الكوشى في مصر عام 660 قبل الميلاد .
- ياللهول، لذلك خشي الشيخ السوداني من معرفه أصله.
- نعم ياليلى فراعنة السودان غزو مصر الفرعونية قديما.
- هناك شيء لم أذكره في حكايتي وخشيت غضب نبيل؟
- ماذا تقصد ياصادق ولماذا أنا بالذات الذي أغضب مما خشيت ذكره؟
- الحقيقة عندما نزلنا المقبرة لم نكن بمفردنا.
- ماذا؟ هل تعني انه كان معكما أخرون؟
- نعم ياشيخ سليم، كانت معنا مدام ميرفت زوجة نبيل.
تغير وجه نبيل فجأة وقفز واقفا ووجه سؤاله بعجالة لصادق
- زوجتي كانت معكما! هل تمزح؟ ولكن أين هى؟لماذا لم تأتي معك؟وهل كان معها الأولاد؟
- لا لا، لم تصطحب الأولاد معها ولكنها أتت معنا منفردة.
- وأين هى الآن؟
صادق وقد بدا متلعثما
- إنها.. إنها.. هى في المعبد .
- وماذا تفعل هناك؟ وهل تقيم بمفردها في المعبد؟
أحمر وجه صادق وخرس لسانه ولم يستطع الإجابة، نظر إليه نبيل بحنق وصرخ في وجهه
- لماذا لاتجيب؟ هل تقيم بمفردها أم معها أحد؟
- اهدأ يانبيل، هذا ماكنت أخشاه وتعمدت عدم الحديث عن زوجتك في البداية لهذا السبب.
- ماذا تقصد ياصادق؟ تحدث يارجل قبل أن أُجن.
- إن زوجتك تقيم مع الشيخ السوداني.
- ماذا تقصد بأنها تقيم مع الشيخ السوداني؟ هل تقصد يسكنان معا؟
- لا.. بل تقيم معه كزوجة.
الشيخ سليم يشهق بصوت مرتفع، وأحمد يقف ممسكا بنبيل، بينما نبيل كان قد وصل به الغضب إلى ذروته

- ماذا تقصد ياصادق بأنها تقيم مع الشيخ كزوجة، إنها زوجة لنبيل، كيف تجمع بين رجلين.
- الحقيقة ياشيخ سليم هى ليست زوجة بالمعنى المعروف؟
- ماذا تقصد يارجل.
صادق يجيب بعد تردد
- تقيم معه كعشيقة أو محظية.
- ياللهول.. كيف يحدث هذا؟ أنها كارثة ومصيبة كبرى.
- ماذا تقول يارجل؟ زوجتي عشيقة للشيخ السوداني! ومن غصبها على ذلك؟
- للأسف لم يجبرها أحد بل هى التى اختارت وأقامت معه بمحض إرادتها بعد أن تملكها الطمع في الثروة والسلطان اللذان حظي بهما الشيخ بعد ضمه لكهان المعبد.
- هيا ياشيخ سليم، لم أعد أطيق صبرا، يجب أن اذهب إلى المعبد وانتقم من هذا الشيخ اللعين وتلك الزوجة العاهرة .
- لن يسمحوا لك بدخول المعبد وسيتم القبض عليك ومحاكمتك.
- اصمت ياصادق، لا أريد سماع صوتك، أخرس نهائيا، هيا ياشيخ سليم، هل ستأتون معي أم أذهب بمفردي؟
- سوف نأتي معك بالطبع، هيا يا أحمد، هيا ياليلى، وأنت ياصادق هل تأتي معنا؟
- نعم سوف أتي معكم، ولكن أخشى أن أقع في أيديهم ويتم محاكمتي أو تقديمي قربانا للآلهة.
- إذاً اتبعنا وسير خلفنا حتى لايتعرف عليك أحد.
- تمام ياشيخ سليم.
يخرج الخمسة من مكانهم في اتجاه المعبد على الطريق الذي وصفه صادق، وقبل أن يصلوا بعدة أمتار يفاجئهم أحد الحرس؛ وما أن يشاهده صادق حتى يتوارى بعيدا عنهم خلف أحد المباني
- هل أنتم أغراب عنا؟
- نعم نحن من زمان غير زمانكم.

- نعم نعم، إن هناك رجلاً على هيئتكم وأيضا ليس من هذا الزمان ونحن نبحث عنه هل تعرفونه أو رأيتموه؟

- لا أيها الحارس لم نراه، ولكن من الذي يريده؟

- انه الكاهن الحفيد يَجد في البحث عنه وقد كلف العديد من الحراس بالبحث وإحضاره على وجه السرعة يبدو انه رجلا خطيرا أو انه ارتكب جرماً شنيعاً، ولكن ما اسمك يارجل؟

- أنا أسمي أحمد .

- حسنا..أذهبوا الآن وان وجدتم هذا الرجل ابلغونا فورا.

- سوف نفعل أيها الحارس .

يعود أحمد مسرعا إلى صادق ويخبره بأمر الحارس والحديث الذي دار بينهم، يدرك صادق أن الشيخ السوداني سوف ينفذ تهديده ويذبحه قربانا للآلهة للتخلص منه.

- اسمع يا أحمد، اذهب إلى أصحابك وانتظروني بعيدا عن المعبد، سوف أتسلل خلسة وأدخل عبر الطرقات الخلفية دون أن يراني أحد فأنا أعرف المعبد جيدا من الداخل ويمكنني الدخول دون أن يشعر بي الحراس، لابد من مقابلة الكاهن الأكبر أو أحد الكهنة الكبار قبل أن أقع في يد الشيخ السوداني وأحاول كشف هذا الكاهن المزيف وفضح ألاعيبه، هذا هو الحل الوحيد أمامي للنجاة .

- نعم.. ولكن نبيل لن يوافق فهو يريد أن ينتقم لشرفه من زوجته وعشيقها الشيخ السوداني .

- حاولوا معه، فلن يستطيع دخول المعبد، ولو علم الشيخ السوداني بأمره سوف يقتله، سأحاول تنفيذ ما أفكر فيه والنجاة بحياتي وبعدها سوف أحضر لكم ميرفت وأخرج بها من المعبد وأسلمها لنبيل يفعل بها مايريد.

- حسنا.. سأحاول معهم، وسوف ننتظرك في نفس المكان الذي تقابلنا فيه .

انطلق صادق إلى هدفه متسلقا أسوار المعبد ثم دخل أحد الممرات الضيقة ومنه اتخذ مساره بحذر وتوجس حتى استطاع بعد جهد كبير أن يصل إلى مبتغاه حيث حجرة احد الكهنة المقربين

- أيها الكاهن المقدس، أنا رجل غريب ولدي معلومات هامه أود البوح بها للكاهن الأكبر.

- كيف وصلت إلى هنا أيها الرجل وماذا تريد من الكاهن الأكبر.

- إنها قصة طويلة سيدي الكاهن وأود محادثة الكاهن الأكبر في أمر هام للغاية.

- ليس من السهل مقابلة الكاهن الأكبر، يمكنك البوح لي بما في جعبتك وبعدها أنقل ما تريده إلى الكاهن الأكبر إذا رأيت انه يستحق ذلك.

- سيدي الكاهن، إن الأمر هام ويخص الكاهن الحفيد، انه عدو لكم وليس منكم، وعندي معلومات تؤكد حديثي وأريد نقلها إلى الكاهن الأكبر.

- تقصد الكاهن الحفيد، ذلك الرجل الأسود الذي هبط علينا ولانعرف له وطنا وأخذ الكثير من نفوذنا وأصبح المقرب من الكاهن الأكبر.

- نعم هو أيها الكاهن المقدس.

- وهل قلت انه عدو لنا وتملك الدليل على ذلك؟

- نعم ياسيدي.

- إذاً هيا بنا إلى الكاهن الأكبر، فمنذ أن جاء هذا الرجل وأنا أشك في إخلاصه للإله ولنا، ونشكر الإله انك جئت اليوم لتفضح أمره، هيابنا.

صادق في حضرة الكاهن الأكبر، يبدو الخوف على وجهه ويسيطر الرعب على جوارحه

- تحدث يارجل عما جئت من أجله، فقد أخبرني الكاهن انك تود إخباري بشيء هام يخص الكاهن الحفيد.. تحدث بسرعة.

- نعم أيها الكاهن الأكبر المقدس، سوف اختصر القول.

- تحدث هيا.

- إن الكاهن الحفيد قد وشى بسركم وسر المؤامرة التي تم تنفيذها وقُتل فيها الملك رمسيس الثالث، وقد أذاع خبرها وأرشد عن خطتكم وما قمتم به من سحر أسود حتى تُمكنوا المتآمرين من انجاز عملهم وتسيطروا على الحراس بسحركم.

انتصب الكاهن الأكبر واقفا وبدا الغضب على وجهه وتطاير الشرر من عينيه وأخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة ثم وجه حديثه إلى صادق صارخا

- كيف حدث هذا؟ ومن غيرك يعلم بهذا الأمر، إنها لمصيبة كبرى، انه خائن، كلنا سوف نضيع.. هذا الحديث سيودي بنا إلى الهلاك، ولكن كيف لهذا الرجل أن يفعل بنا هذا وهو صاحب الفكرة وعمل الكثير لإنجاحها.

- سيدي الكاهن، انه عدو لكم وكذب عليكم في حديثه.

- ماذا تقصد بأنه عدو؟

- هو ليس من نسل الفراعنة المصريين.

- ماذا؟

- نعم ياسيدي انه من نسل فراعنة كوش.

- فراعنة كوش، وهل هناك فراعنة آخرون غيرنا.

- نعم ياسيدي أنهم سيأتون بعدكم بعدة قرون ويحتلون مصر ويقيمون فيها ردحا من الزمن ويحكمونها ويطلقون اسم الفرعون على ملكهم ويبنون أهرامات تماثل أهرامكم، ويعبدون ألهتكم.

- ياللهول.. إذا فهو من أعدائنا حقاً، ولكن أين تقع كوش تلك.

- في أقصى الجنوب ياسيدي، في بلد يسمى السودان في عصرنا، ولذلك نطلق نحن على الكاهن الحفيد الشيخ السوداني، وقد أسر لي بهذا الأمر وهو يخشى أن افضحه وأشى بسره لكم لذلك يبحث عني حتى يقتلني ويدفن سره معي، وشيء آخر سيدي الكاهن فهو لم يتزوج المرأة التي كانت معنا ولكنه عاشرها دون زواج ولم يعترف بقوانينكم وأعرافكم ومقدساتكم في هذا الشأن، هذا بالإضافة إلى أن تلك المرأة متزوجة وزوجها موجود هنا.

- الكاهن الحفيد فعل كل ذلك! بل هو الذي سوف يقتل وينتهي أمره، ياحراس.. ياحراس.

يدخل ثلاثة من الحراس الأشداء

- نعم ياسيدى الكاهن الأكبر.

- اسمع أيها الحارس خذ معك عددا من الحراس واقبضوا على الكاهن الحفيد وأتوا به مقيدا في الحال.

- أمرك ياسيدي.

بعد برهة من الوقت يدخل الحراس يسوقون أمامهم الشيخ السوداني مقيدا بالأصفاد؛ وما أن يشاهد صادق حتى يصفر لونه ويرتجف جسده وتختل قدماه حتى لاتكادان تحملانه، يعاجله الكاهن الأكبر بالصراخ في وجهه.

- أهلا بالشيخ السوداني، حفيد ملوك كوش المستعمرين، عدونا الأكبر، أنت أيها الرجل تخدعنا جميعا وتشي بأسرارنا إلى العامة من الناس.

- سيدي الكاهن الأكبر الأمر ليس كما زعمه هذا الرجل.

أصمت أيها السوداني، اصمت.. فقد اتخذت في شأنك قرارا وسوف ينفذ في التو واللحظة، أيها الحارس خذ هذا الرجل ونفذ فيه حكم القتل حرقاً، فهو من الأعداء وخائن لنا، يُقتل بإلقائه في النار،هيا نفذوا الحكم.

الشيخ السوداني يبكي بكاءا مريرا ويطلب السماح والعفو، لكن الكاهن الأكبر يقف منتصبا وينظر إليه في غضب وازدراء

- لقد صدر الحكم وانتهى الأمر، هل لك من طلب قبل موتك.

الشيخ السوداني ينظر إلى صادق نظرة كلها غيظ وحنق ويوجه له الحديث

- لم أكن أظن يوما أن موتي سوف يكون على يديك، هل تتذكر ياصادق عندما حدثتك عن مؤامرة الحريم لقتل الملك رمسيس الثالث و قلت لك أني قرأت عن تلك المؤامرة وان نتيجتها كارثية، وقتها نظرت لي باندهاش ولم تفهم قصدي، إن ماقصدته يومها أني علمت مما قرأته أن المتآمرين على الملك قد تم الإطاحة بهم والحكم عليهم بالقتل وكنت أخشى أن أكون من بينهم لاشتراكي في تلك المؤامرة، ولكن عندما حُكم على المتآمرين ولم أكن من بينهم ظننت أني نجوت من الموت، ولكنك جئت الآن لتجعل مني وقودا للنار وتلحقني بهم.

- إذاً كنت على علم بالقبض على المتآمرين وقتلهم ولم تبلغني بذلك، يالك من شيخ كاذب وفاسق وتستحق القتل ألف مرة، خذوه من أمامي واقتلوه في التو واللحظة، أما أنت أيها الرجل الغريب فلن نستطيع مكافأتك على الوشاية بهذا الفاسق الفاجر الكاذب، فقد علمت بسرنا ولن نستطيع تركك تخرج من هنا أو تعيش بعد ذلك،لابد من

قتلك ودفن السر معك، ولكن حقك علينا أن ننفذ لك طلباً أو وصية تقديرا لتلك الخدمة التي أسديتها لنا .

- لماذا تقتلوني أيها الكاهن الأكبر؟ لقد أرشدتكم على العدو الحقيقي وأظهرت لكم حقيقته.

- لن أجادلك كثيرا أيها الغريب، تمنى أمنية أو اترك وصية قبل موتك.

صادق يرجف من الخوف والدموع تسيل من عينيه، يحرك رأسه يمين ويسار دلالة عدم وجود وصية أو أمنية ثم يسير مع الحارس لتنفيذ القتل، فجأة يلتفت إلى الخلف قبل مغادرة حجرة الكاهن الأكبر

- سيدي الكاهن، لي طلب قبل أن أموت، أرجوك ياسيدي.

- ماهو؟ قل بسرعة .

- إطلاق سراح المرأة التي اتخذها الشيخ السوداني خليلة له، فليس لها ذنب في كل هذا بالإضافة إلى أن زوجها يبحث عنها في كل مكان.

- أطلقوا سراح هذه المرأة فورا، واقتلوا هذا الرجل، هيا أيها الحراس.

تخرج ميرفت من المعبد وتنطلق إلى المكان الذي وصفه لها صادق قبل أن يُقتل وسرعان ما أن تعثر على زوجها ورفاقه، وما أن يراها نبيل حتى يصرخ في وجهها وينهال عليها صفعاً وركلاً، يحاول أبناء عمه ثنيه عما يفعل، يبعداها عنه، يغافلهما فجأة وينقض عليها بسكين كان قد أخفاه في ملابسه ويطعنها عدة طعنات قاتلة، تتهاوى ميرفت ثم تسقط على الأرض.

ضحكة صاخبة ورياح ساخنة تهب عل المكان يتبعها إعصار شديد يحيط بالجميع وصوت يثير الرعب وترجف منه القلوب قادم من الزمن السحيق" لقد نلنا منهم، هيا بنا إلى زمان آخر ومكان آخر"

تنحسر الرياح ويسكن الإعصار ويسود الهدوء المكان، يلتفت نبيل إلى الخلف يفاجأ بزوجته ميرفت وقد اعتدلت من رقدتها وأخذت تنفض عن نفسها الأتربة التي لحقت بها، اتسعت عين نبيل وأخذ يحدق فيها بشيء من الدهشة.

- ألم أقتلك منذ قليل؟ ماذا حدث وأين الدماء التي سالت من جسدك؟

ينظر إليه الشيخ سليم وقد تملكه العجب من سؤاله

- ماذا بك يانبيل؟ ألم تعلم أننا على هيئة غير بشرية وأن القتل أو الموت لا يصيبنا أو ينال منا، هل نسيت هذا؟ وإلا كنت أنت في عداد الموتى الآن بعد أن قتلك أحمد.

- أطرق نبيل برأسه إلى أسفل فقد أدرك انه غفل عن هذه الحقيقة وكاد ينساها لولا أن ذَكره بها الشيخ سليم.

بينما هم في هذا الوضع صرخ أحمد فجأة؛ وأشار بيده إلى طريق جانبي

- انظروا من يأتي هناك، انه الشيخ السوداني وصادق.

- كل واحد منهم يسير بمفردة وكأنهما في خصام.

- نعم ياليلى هذا واضحا تماما.

يصل صادق والشيخ سليم إلى الرفاق، وبدون مقدمات يبادرهم صادق بالقول

- لقد حُكم علينا بالقتل، ونُفذ فينا الحكم بالحرق في النار، وخرجنا بعدها لانعرف كيف؟ ولم تؤثر فينا النار ولم تحرقنا.

- نعم انتم لاتعرفون ولكننا نعرف، قل لي ياصادق لقد علمنا تهمة الشيخ السوداني التي قُتل بسببها، ولكن ماتهمتك أنت التي حوكمت بها.

- اعتقد ياشيخ سليم تُهمتي الوشاية والخيانة والخوف من إفشاء سر المؤامرة.

- حقا لقد نجوتما من الموت والقتل ولكن ما فعلتما لن يذهب هباء وتذروه الرياح، خطاياكم لن تنسى وسوف تنالا عليها العقاب لاحقا، فقط تذكرا تلك الجرائم.

هبت العاصفة الساخنة ابتلعت الرفاق جميعا في باطنها واشتدت الحرارة وسرعان ما أن هدأت الأجواء ولم يعد للرفاق أثر.

* * *

بكاء وصياح الأطفال يوسف وهشام بينما جدتهما تصرخ فيهم وقد فاض بها الكيل وهى تحاول تهدئتهما وملاعبتهما منذ أن خرجت ميرفت منذ الصباح، خالهما مشهور يصعد درج السلم ويصل إلى سمعه صوت الضجيج وبكاء الأطفال، يسرع الخطى حتى يصل إلى الشقة،يفتح الباب بالمفتاح ويدخل مسرعاً إلى والدته

- خير يامه، مالك بتصرخي ليه وصوتكم جايب آخر الشارع.

- تعالى يامشهور شوف المصيبة اللي أنا فيها.

- إيه بس، في إيه، يوسف وهشام بيبكوا ليه.

- أختك من ساعة ماخرجت الصبح مارجعتش لغاية دالوقتي، والأولاد مجنناني على صرخة واحدة من الصبح عاوزين ماما عاوزين ماما، وأنا موش عارفه اعمل لهم إيه وكمان قلقانة أوي على أختك.

- أزاي الكلام دا ياما، من الصبح لسه مارجعتش، دا أحنا قربنا من المغرب، راحت فين كل دا؟

- والله يابني مانا عارفه، هى قالت هاتروح تشوف نبيل جوزها في البيت وترجع بسرعة، واهي من الصبح لسه ماجاتش.

- معقولة كده ياحاجة، طيب وماكلمتنيش ليه في الشغل من بدري كنت أتصرفت؟

- يابني ماردتش أقلقك، وكل شويه أقول زمانها جايه وموش ها تتأخر أكثر من كده.

- آه.. بس دا تأخير كتير أوي، وميرفت موش ممكن تسيب أولادها الفترة دي كلها وهى عارفه أنهم متمسكين بيها أوى ومابيقدروش يستغنوا عنها.

- والله أنا قلقانة عليها أوي يامشهور.

- ربنا يستر، أنا هاروح أشوفها في بيتها وارجع أطمنك.

مشهور يأخذ يوسف وهشام في حضنه ويطبطب عليهما محاولاً تهدئتهما وإسكاتهما

- ماتبكوش ياأولاد أنا رايح أجيب ماما وجاي، ماتضايقوش جدتكم، نصف ساعة وراجع، اتفقنا.. باقولك ياحاجة هى ميرفت ما اتصلتش عليكي على الموبايل طول المدة دي؟

- أبدا يابني، أهو الموبايل جنبك اهو شوفه يمكن اتصلت وأنا ما اخدتش بالي أو ماسمعتوش.

نبيل يمسك موبايل والدته ويُقلب في الأرقام

- لا أبداً ما اتصلتش، حاجة تقلق بجد، طيب استني لما اتصل عليها كده يمكن ترد وتكون جايه.

مشهور يتصل بأخته ميرفت

- جرس طويل ومابتردش، دي حاجة تقلق بجد، نبيل يختفي وبعدين ميرفت وقبلهم سليم وأحمد،هو في إيه بالظبط، أنا قايم رايح الشقة أشوفها هناك.

مشهور يأخذ سيارته ويتجه إلى بيت الشيخ سليم، يصل إلى هناك، يدخل البيت يفاجأ بالحفرة التي أضاعت معالم البيت، يتجه من فوره إلى أعلى حيث شقة أخته ميرفت وزوجها نبيل، يدق الباب دقات سريعة ولا مجيب، يفتح الباب بمفتاح احتياطي يحتفظ به معه للظروف الطارئة ويدخل الشقة ولايجد بها أحد، ينزل مسرعاً، يقف على حافة الحفرة ويمعن النظر داخلها وينتابه دهشة كبيرة، يخرج مسرعاً ويتجه إلى والدته والحيرة والارتباك واضحين عليه.

- للأسف مافيش حد هناك، لكن الغريب إن البيت كله خربان وفي حفرة كبيرة في شقة سليم تقريبا دمرت الشقة كلها، أنتِ عندك فكرة عن اللي بيحصل هناك؟

- موش عارفه يامشهور، لكن أختك كانت قالت أنهم بيحفروا عشان تقريبا في كنز فرعوني، موش متأكدة من الكلام لأني ماخدتش بالي أوى وهى بتتكلم.

- ياخبر أبيض، كنز فرعوني، وأنا ما اعرفش الكلام دا، طيب أزاي؟ ومن أمتى الحكاية دي؟ دي مسألة خطيرة .

- خطيرة أزاي يامشهور؟ أنت كده قلقتني، هو في إيه بالظبط ؟

- طبعا ياحاجة خطيرة، يعني إيه يحفروا البيت ويختفوا كلهم واحد ورا التاني، هو أحنا عارفين أيه اللي حصل،ولا اختفوا ليه أو راحوا فين؟

- طيب وبعدين يابني؟

- مافيش أدامي غير أني أبلغ البوليس.

- يالهوي.. يادي المصيبة، البوليس! هي وصلت للدرجة دي؟ يعني قصدك أنه ممكن يكون حصل لهم حاجة؟

- ربنا يستر، أنا رايح أبلغ الشرطة وخليكي انتِ مع الأولاد ولو جات ميرفت أو أي واحد منهم ابقي كلميني فورا.

- حاضر يابني، بس طمني بسرعة لو وصلت لحاجة.

مشهور يصل إلى قسم الشرطة، يبدو عليه القلق والارتباك، يتحدث إلى أحد الصولات

- كنت عاوز أبلغ عن اختفاء أختي.

- عندها كم سنة؟

- حوالي 32 سنه.

- إيه دا، دا كبيرة، أنا كنت فاكرها طفلة.

- لا دي متجوزة وأم لطفلين.

- طيب ماسألتش عند قرايبك أو أصحابها ومعارفها؟

- لا ماحدش يعرف.

- طيب هاتروح لأمين الشرطة عبد الواحد في أوضة النوباتجيه يعمل لك المحضر.

- هو فين أمين الشرطة عبد الواحد؟

الصول يشير بيده إلى حجرة في مدخل القسم، يتجه إليها مشهور مسرعاً، يبدو عبد الواحد مشغول في كتابة بعض المذكرات والمحاضر، يقف مشهور أمامه ينتظر انتهائه من الكتابة، ولما يجده مستغرقا ومنشغلا عنه تماما يتحدث إليه بارتباك.

- لو سمحت يا حضرة الأمين، عاوز أبلغ عن اختفاء أختي.

يرد الأمين دون أن يرفع عينيه عن الأوراق التي أمامه

- اختفت من أمتى؟

- النهاردة الصبح
- ماينفعش يا أستاذ، لازم يعدي 24 ساعة على اختفاءها عشان نعمل محضر.
- معقولة الكلام دا؟
- آه معقولة، هو دا القانون، وموش هانشرح لكل واحد القانون بيقول إيه وليه.
مشهور يفكر قليلا ثم يعاجل الأمين عبد الواحد بطلب آخر
- طيب ماشي، عاوز اعمل محضر عن اختفاء جوز أختي، هو مختفي من أمبارح، يعني اكتر من 24 ساعة.
- إيه الحكاية الغريبة دي، هو لو ماكانتش أختك يبقى جوز أختك، ماتدور عليهم يمكن سافر مكان وأختك حَصَلته النهاردة.
- لا أنا متأكد إن ده ماحصلش.
- طيب استناني ربع ساعة لما أخلص باقي الأوراق اللي في أيديه وبعدين أعمل لك محضر،طيب ماتعرفش إيه سبب اختفائهم أو الدافع وراء اختفائهم؟
- اعتقد المسألة تتعلق بكنز فرعوني أو آثار.
أمين الشرطة ينتبه فجأة ويضع القلم ويطوي الأوراق التي أمامه
- بتقول إيه، آثار وكنز فرعوني، تعالى بسرعة أحكي لي الحكاية بالضبط.
- والله ياحضرة الأمين أنا ماعرفش كتير عن الحكاية دي، لكن أنا رحت بيتهم النهاردة لقيت حفرة كبيرة تحت البيت، والمشكلة أن أصحاب البيت كلهم اختفوا من كم يوم.
- حفرة كبيرة! اختفوا!لا دي المسألة كبيرة، تعالى معايا بسرعة على مكتب رئيس المباحث.
الأمين عبد الواحد يدخل إلى رئيس المباحث، يقدم التحية العسكرية
- خير يا عبد الواحد، مصيبة جديدة ولا إيه؟
- يافندم قضية آثار، وفي ناس مفقودة.
رئيس المباحث ينتفض فجأة

- إيه.. آثار.. إيه الحكاية بالضبط ؟
- مشهور يحكي لرئيس المباحث عن كل مايعرفه.
- يا أمين عبد الواحد، انتظرني هنا أنت والأستاذ مشهور، أنا عند المأمور وهاجيلك تاني.
- تمام يافندم.
رئيس المباحث يغيب حوالي ربع ساعة ويعود في عجالة
- يا أمين عبد الواحد، بسرعة جهز قوة وأنا نازل لكم حالاً، وأنت يا أستاذ مشهور تعالى معانا ورينا مكان البيت دا فين، يلا ياعبد الواحد بسرعة أنت لسه واقف.
- تمام يافندم.
ينصرف الأمين عبد الواحد مهرولاً، بينما رئيس المباحث ينهي بعض الأمور في عجالة، يزداد قلق وارتباك مشهور
تنطلق عربة الشرطة بها رئيس المباحث وقوة من العساكر وأحد أمناء الشرطة ومعهم مشهور، وفي في أقل من ربع ساعة تصل إلى المقبرة، ينزل رئيس المباحث مسرعاً وخلفه مشهور الذي يتجه إلى البوابة ويفتحها بالمفتاح، في ثواني قليلة يتم محاصرة البيت بالجنود وعمل كردون لمنع دخول أو خروج أحد.. يدخل رئيس المباحث ويتجه مباشرة إلى الحفرة، يدير نظره في المكان ليستوعب الأمر، يضرب كفاً بكف استغرابا وتعجباً.
- يا اولاد الكلب، كل دا يحصل بعيد عن عنينا، أزاي دا كله تم؟
- والله يافندم ما اعرف حاجة، أنا فوجئت النهاردة بالأمور دي كلها وأنا بادور على أختي .
- هانشوف يا أستاذ مشهور، القضية كبيرة موش هينة، دي آثار وحفريات وناس بتبيع وتشتري وناس بتخطط، دي عصابة.
- أنت بتقول كم واحد اختفوا يا أستاذ مشهور؟
- أختي وجوزها واثنين ولاد عمي .
- يعني أربعة؟
- أيوه يافندم.
- حد نزل الحفرة دي وشافهم؟
- لا يا افندم.

- طيب عموما الحفرة شكلها عميقة، وإحنا دالوقتي بعد العشا والدنيا ضلمة، موش هانقدر نعمل حاجة النهاردة، خلينا ناخذ إذن من النيابة بالتفتيش، وكمان نبلغ الآثار عشان يبعتوا معانا خبير، وبكرة الصبح ننزل الحفرة ونشوف الدنيا فيها إيه.

- يعني يافندم موش هاننزل دالوقتي؟ يمكن نلاقيهم تحت في المقبرة.

- لا ياسي مشهور، ماينفعش دالوقتي.

- يعني أمشى دالوقتي وأجي الصبح؟

- تمشي فين، أنت هاتيجي معانا، لسه عاوزين نستفسر عن حاجات كتير، ونعمل شوية تحريات عن اللي اختفوا، تعالى معانا هاناخد منك شوية بيانات وكم سؤال، وماتقلقش على البيت هاسيب كردون عساكر حواليه وحوالين المقبرة، يعني لو حد طلع من تحت هانعرف علطول.

في الصباح تتجه قوة كبيرة من رجال الشرطة بصحبة رئيس المباحث وخبير الآثار ومعهم مشهور، خبير الآثار ينزل إلى الحفرة يتبعه رئيس المباحث ومعهم أحد أمناء الشرطة وصف ضابط يضيء لهم بكشاف، يصلوا أخيرا إلى باب المقبرة، ينزل الخبير وما أن يشاهد المقبرة حتى يضرب كفاً بكف ويصرخ منفعلا

- ياعالم ياكفرة، إيه الفُجر دا، معقولة دا يحصل؟

- رئيس المباحث ينظر له باستغراب.

- في إيه؟ إيه اللي حصل؟

- شايف سيادتك! المقبرة فاضية مافيهاش حاجة خالص غير الحيطان، ولاد الكلب استولوا عليها كلها.

- تقصد أنها اتسرقت؟

- طبعا يافندم، دي اتنهبت كلها.

- وتفتكر حاجات كتير اللي اتسرقت؟

- أكيد.. مقبرة بالحجم دا، أكيد مليانة كنوز وآثار بملايين الجنيهات.

- ياخبر أسو، الناس دي موش هاتبطل؟ كل كم شهر نكتشف مقبرة منهوبة بالطريقة دي.

- خسارة والله الثروات اللي بتتنهب دي.

- طيب يلا بينا ياحضرة الخبير، يلا نخرج نعمل محضر بالواقعة ونثبت فيه اللي حصل وحضرتك توقع عليه وبعدين نشوف شغلنا والتحريات هاتوصلنا لأيه في الفترة اللي جايه دي.

- ياحضرة الضابط مالقتوش أختي أو جوزها أو حد غيرهم .

- أختك وجوزها هه هه هه! هانلاقيهم ياسيدي ماتقلقش بس هانغير المحضر، بدل ماهو فقد واختفاء هانعمله ضبط وإحضار.

- تقصد إيه يا فندم بضبط وإحضار؟

- اقصد أنهم حرامية ولصوص مقابر و سرقوا المقبرة وكل اللي فيها، وهانعمل محضر بالواقعة ونحوله للنيابة حالاً، وماتقلقش هانلاقيهم ونجيبهم لك في أسرع وقت وهما متكلبشين، وأنت كمان هاتيجي معانا لما نشوف موقفك إيه في القضية.

- موقفي! وأنا مالي، أنا جاي أبلغ عن اختفاء أختي وجوزها.

- أختك وجوزها إيه؟ دي قضية كبيرة، وهاتفضل معانا لغاية لما نعرف التفاصيل كاملة ونعرف الناس دي راحت فين والآثار المنهوبة ودوها فين؟

تبدأ تحريات واسعة حول الشيخ سليم وأحمد ونبيل وميرفت، كردون من عساكر البوليس حول البيت، ينتشر خبر المقبرة في البلد وبين الأهالي ويكثر اللغط في هذا الشأن، أصدقاء وزملاء الشيخ سليم غير مصدقين انخراطه في هذا الأمر، الجميع يثني على أخلاقه وتعاملاته ويستبعدون اشتراكه في السرقة، البعض من الحاقدين يدلون بدلوهم في تحريات المباحث ويكشفون عن خباياهم وشكهم الدائم في الشيخ سليم وقناعتهم انه يبطن غير مايُظهر وهاهو قد ظهر على أصله وانكشف للجميع وجهه القبيح، بينما طلابه أصابهم الوجوم غير مصدقين أن يكون معلمهم وأستاذهم الذي يدعوهم للفضيلة ويحثهم على مكارم الأخلاق وحسن التعامل والتمسك بالمبادئ تكون تلك نهايته وحقيقته. تستمر التحريات فترة طويلة من الوقت تجاوزت العشرة أيام يتم فيها سؤال كل قريب وبعيد ومحاولة الوصول إلى حقيقة الأمر ومكان اختفاء أصحاب البيت، تعجز التحريات وجهود المباحث للتوصل إلى شيء. يزداد بكاء الأطفال يوسف وهشام وينقلب نومهما إلى كوابيس ليلية يستيقظان منها بصرخات خوف ورعب بعد أن باعدت الأيام بينهما وبين أمهما، بينما جدتهما تبكي

أحيانا وتولول أحيانا أخرى ولاتدري ماذا تفعل خاصة بعد أن تم القبض على مشهور للاشتباه، وينتهي الأمر بمصادرة البيت بأكمله لصالح مصلحة الآثار و أمر ضبط وإحضار من النيابة العامة لكل من نبيل وميرفت والشيخ سليم وأحمد والشيخ السوداني وصادق وليلى بعد أن تمكنت التحريات من معرفة ضلوع الجميع في تلك القضية، ويبقى اختفائهم جميعا لغزا لاتستطيع الشرطة حله أو الوصول إليهم.

* * *

انطلق صوت كالرعد تردد صداه في الملأ واهتزت له الأجواء

- انتظروا، فلننتظر قليلاً هنا،الملك ميمون أبانوخ استسمحك أن نتوقف قليلا هنا.

- ماذا تقول ياكاردل، هل جننت؟ أين نتوقف؟ولماذا هنا؟ إن تلك المنطقة ليست هدفنا ولم توضع في خطتنا.

- نعم..أعلم ذلك أيها المارد أبانوخ، ولكن لي رجاء أن نمكث هنا قليلا.

- هل تعلم أين نحن ياكاردل؟

- نعم ألسنا في فيافي الأندلس بالمغرب الأقصى بالقرب من بحر الظلمات؟

- انك تعلم المكان جيدا، فلماذا إذا تود التوقف هنا؟

- أود زيارة مدينة النحاس، لي فيها أقاربا وأصدقاء لم أراهم منذ عهد سليمان.

- هل جُننت يا كاردل، مدينة النحاس! أليست تلك المدينة العجيبة التي بناها الجن للمك سليمان ثم استولوا عليها؟

- نعم أيها المارد.

- ولكنها مدينة خطيرة وبها من المردة والشياطين عتاة الإجرام والشراسة وليس لنا سلطة عليهم، فمنذ أن استولوا على المدينة قد خرجوا عن طاعتنا واستقلوا بحياتهم بها، إنهم عتاة الإجرام، والقسوة تتملكهم. لا لا ياكاردل، لن ندخل تلك المدينة.

- لاتخشى شيئاً أيها المارد أبانوخ، أنا أعرف البعض هنا وسوف يساعدونا، فقط ساعات نقضيها بينهم ونغادر في طريقنا.

- هذا جنون ياكاردل، ليس لدي أوامر بذلك، وأخشى عاقبة الأمور، إن تلك المدينة العجيبة خطرة جدا، وأخشى على من معنا من جراء هذا الفعل.

- لاتخشى شيئاً، الأمور سوف تسير على مايرام.

- ولكن كيف سندخلها؟ إنها مدينة بلا أبواب ولا مداخل.

- دعني أرتب الأمر أيها الملك أبانوخ، المهم أن توافق.

أبانوخ يفكر قليلا وينظر إلى أعوانه

- لن أغضبك ياكاردل، ولكن فقط ساعات قليلة نقضيها بالداخل تلتقي بأصدقائك وبعدها نغادر فورا، هل فهمت؟

- نعم أيها المارد أبانوخ.

المدينة شاهقة البنيان، بنيت كلها من النحاس بأشكال هندسية عجيبة ومخيفة، تنطلق من داخلها أصوات مرعبة، المكان حولها موحش لايسكنه أي كائن حي، الرياح تضرب المكان فيزيد صوتها وصفيرها من رهبة ووحشة هذه المدينة، أعوان المارد ميمون أبانوخ من المردة والشياطين ينظرون بدهشة إلى هذا البنيان الضخم وتلك المدينة النحاسية الغريبة الأطوار والتي ربما سمعوا عنها الكثير ولكنهم يرونها للمرة الأولى. القط الأسود "ظام" يحذر الملك ميمون

- أيها المارد أبانوخ، توخى الحذر، إن هذه المدينة خطيرة جدا، ومن يدخلها مفقود، دعنا من كاردل وطلباته، إن هذا القرار سيودي بنا إلى التهلكة، لقد كنت سجيناً في عهد سليمان بالقرب من تلك المدينة و سمعت الكثير عنها ومايحدث بها، وقسوة المردة والشياطين الذين يسكنوها واتخذوا منها مقرا لهم بعد استيلائهم عليها، دعنا أيها المارد من هذا الأمر ولنسير في طريقنا المحدد.

- هل طلبت رأيك أيها القط الأسود؟

- لا..ولكن من واجبي أن أحذرك .

- أصمت أيها القط، أنا هنا صاحب القرار والسلطة وما أقوله وأتخذه يسري على الجميع، هيا ياكاردل، كيف سندخل تلك المدينة المصمتة؟

- دعني أحاول الآن أيها المارد ميمون، سأتواصل مع أحدهم ليدلنا على سكة الدخول لتلك المدينة.

- هيا إذا بسرعة.

ميمون أبانوخ وأعوانه ومعهم كاردل، الجميع داخل المدينة، جمع كبيرمن الأعوان والأتباع والبواتق السحرية يتوسطون ساحة المدينة، لاأصوات هناك ولاأحد يقابلهم أو يتصدى لهم. يضحك ميمون أبانوخ ويوجه حديثه للقط الأسود

- "ظام" ماذا يخيفك في تلك المدينة؟ إنها مدينة هادئة ورائعة، دعونا نشاهد معالمها، لطالما سمعت عنها في كُتبنا وأساطيرنا، إن فكرتك صائبة يا كاردل، ما أروعها مدينة، ولكن أين أصدقائك ياكاردل؟ وأين شياطين تلك المدينة؟

أم الشعور تنظر يمينا ويسارا، الرعب يجتاحها، تحاول أن تلفت نظر المارد ميمون وهو عنها لاهي، أم الشعور تختفي فجأة ثم تظهر ملتصقة بالمارد أبانوخ الذي ينظر إليها بتجهم

- ماذا بكِ يا أم الشعور. لماذا تلك الحركات الشيطانية؟

- انظر أيها المارد ميمون، انظر حولك في أرجاء المدينة.

- ياللهول.. ماكل تلك العيون التي تراقبنا وتنظر إلينا؟

أبانوخ يلملم أتباعه حوله، يدرك الجميع أن الأمر ليس على مايرام، عيون كثيرة تملؤها القسوة تنظر إليهم وترقبهم، أبانوخ يشير إلى كاردل بأن يتصرف ويتواصل مع أقاربه وأصدقائه، كاردل يقف مستسلما لايعرف ماذا يفعل، فجأة ترتفع ألسنة النيران ويتصاعد الدخان في المدينة، تسود الفوضى ، ينطلق الشياطين من كل مكان يحيطون بميمون وأتباعه، ضحكات هستيرية، وأصوات مرعبة، وطرقات تهز القلوب، بعض الشياطين يبدءون بالمناوشات والتحرش، أحدهم يشد نائلة من شعرها، آخرون يحاولون الاستيلاء على البواتق السحرية، كاردل يشتبك مع البعض وينتفض القط الأسود كاشفاً عن أنيابه. ميمون أبانوخ يصرخ في أتباعه

- تماسكوا.. إياكم والتراجع، حافظوا على البواتق السحرية، التفوا جميعكم حولها، لاتدعوهم يلمسونها، المؤامرة توشك أن تفشل، تماسكوا جميعا. المارد أبانوخ يصرخ صرخة مرعبة ويزأر في جميع الشياطين المتحرشين

- ابتعدوا أيها الأنجاس، أين كبيركم؟ أنا الملك ميمون أبانوخ وهؤلاء أتباعي، أتوني بحاكم المدينة أو ملكها، إن ماتفعلونه لن ينتهي بسلام.

يسود الصمت حتى ليخيل إليك أن المدينة قد خلت من ساكنيها، يتبادل شياطين المدينة النظرات بعض الوقت ثم ينطلقوا في ضحكات هستيرية وصخب وضجيج تهتز له جدران المدينة وتنخلع قلوب

أعوان ميمون أبانوخ. وماهى إلا لحظات حتى ينقض شياطين المدينة على أعوان أبانوخ ويدور بينهما عراك ينتهي بسقوط البواتق السحرية. وهنا يصرخ أبانوخ في أعوانه

- أطلقوا البواتق السحرية، أعيدوا بني البشر قبل أن تنكسر البواتق ويطير مابها في الهواء ولا نستطيع استرداده، هيا بسرعة.

البعض من أعوان ميمون يحاول إعادة البشر إلى هيئتم، بينما البعض الآخر يقف مدافعا عنهم أمام شياطين المدينة،وماهى إلا لحظات قليلة حتى يتم إعادة تكوين الرفاق وإعادتهم إلى هيئتهم، وهنا يفاجأ شياطين المدينة بخمسة رجال وامرأتين، يقف العراك من هول المفاجأة، عشرات المردة، ثم مئات، ثم آلاف، الجميع يقف وعيونهم موجهة إلى هؤلاء البشريين، بينما اصطف ميمون أبانوخ مع أعوانه يحيطون بهم، الجميع لايعلم ما سوف يحدث، وماهى إلا دقائق قليلة حتى ينطلق صوت كالرعد

- من أنتم؟ ولماذا جئتم مدينتا؟

- أنا الملك ميمون أبانوخ، جئنا لزيارة البعض منكم من أصدقاء المارد كاردل.

- نحن هنا ليس لنا أصدقاء ولا نحب الغرباء، وقد انقطعنا داخل مدينة النحاس عن الجميع وتم استقلالنا عن عالمكم، لماذا تأتون إلينا وتزعجونا؟ يالكم من أوغاد.

- تأدب أيها المارد وأنت تتحدث، أنت تتحدث مع الملك ميمون أبانوخ.

تنطلق ضحكة هستيرية مرعبة من مارد المدينة يعقبها حديث يستخف بميمون

- دعك من هذا أيها المارد، أنت الآن في مدينتنا، والسلطة لنا والأمر والنهى.

- ومن أنتم؟

- نحن سكان هذه المدينة ومعظمنا من الجن الناري والجن الأرضي، ومنا المردة والشياطين والعفاريت من جميع القبائل، من بني القماقم، وبني دهمان، وبني غيلان، وبني النعمان، والطماطمة،

والشماشقة، والدناهشة، وبني الأحمر، وغيرهم وغيرهم، هل علمتنا الآن أيها الميمون.

- ومن أنت أيها المارد اللعين؟

- أنا من أبناء الأسد الغضوب وهؤلاء الشياطين والعفاريت حولي من أبناء خنزب والولهان والأجدع شيصبان وميطرون وزلنبور وأعور وداسم ودهار ولاقيس،وطهلفو، وغيرهم الكثير.

- استمع لي جيدا ياغضوب، أنا آمرك باسم إبليس ملك الجن الأعظم أن تتركنا نرحل بسلام، كما جئنا نرحل، نحن لدينا مهمة خطيرة مكلفون بها وسوف ننطلق لتنفيذها.

تنطلق ضحكة الغضوب مدوية تهز أرجاء المدينة

- استمع لي أنت ياميمون، يبدو أنك لم تفهم حديثي، نحن هنا جَمع مستقل عن الخارج تماما، لانستمع إلى أحد ولا تسري علينا أوامر أحد، وتهديدك لن يخيفني أو يرعب أحد من سكان المدينة النحاسية، ولكن سأكون صريحاً معك، من بيننا الكثير من الجن والشياطين يرغبون في الانطلاق بعيدا عن المدينة ليعيشوا حياتهم مثلما تعيشونها أنتم، فقد فرض علينا الحبس داخل أسوار تلك المدينة منذ عهد سليمان، لانخرج منها ولاتركها، الكثير منا اعتاد هذا الأمر ولكن البعض لازال يعاوده الحنين إلى حياته الأولي حيث عالمكم الخارجي، ووجودكم الآن بيننا أظنه قد فتح شهية هؤلاء البعض وأعاد لهم الأمل في الخروج وهذا لن يكون إلا إذا تلبسوا البشر حتى يتخفوا فيهم، وها أنتم قد أتيتم لهم بالبشر وسيلة لفراراهم وخروجهم من المدينة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يوجد هنا الكثيرات من الجنيات اللواتي خلقن لمضاجعة البشر وهن أمثال أم الشعور تلك التي أتت معكم، ولك أن تتخيل مدى الحرمان الذي يعشن فيه فمنذ عهد سليمان إلى الآن لم يمارسوا حقهم في ذلك ولك أن تسأل أم الشعور عن هذا الشعور القاتل.

- ماذا تقصد بحديثك هذا؟ أجبني ياغضوب؟

- حديثي ليس له سوى معنى واحد كان عليك أن تفهمه أيها المارد

- وماهو؟

- سنسمح لكم بالخروج في أمان من هذه المدينة ولكن على شرط أن تتركوا هؤلاء البشريين ومعهم أم الشعور التي يرغبها الكثير من المردة هنا.

أبانوخ يصرخ صرخة مدوية ترتج لها جدران المدينة ويزأر بصوت كالرعد

- أنت مجنون، سنخرج أيها الأسد الغضوب شئت أم أبيت، سنخرج جميعنا.

تنطلق صرخة هستيرية وتتصاعد النيران في سماء المدينة النحاسية وترتفع حرارة الجو ألاف الدرجات المئوية

- لن تخرجوا أيها الميمون، كلكم لن تخرجوا، وسوف ترى العجب في هذه المدينة العجيبة.

تزداد الصرخات في المدينة وترتفع الأصوات المرعبة، تقترب العيون الكثيرة من ميمون وأعوانه، يسمع حفيف الأشباح حولهم، وجوه شياطين مألوفة الشكل والبعض غريب الشكل، منهم متعدد العيون والأيدي والأقدام، ومن يمتلك عيناً واحدة وقرناً أو عدة قرون، أشكال ووجوه مرعبة ومنفرة، يتم الإحاطة بأعوان أبانوخ من كل اتجاه بينما هو يصرخ فيهم

- تماسكوا جيدا، إياكم والفرار، المستقبل بين أيديكم، لن نجعلهم يقضون على مؤامرة إبليس مهما كلفنا الأمر.

ينطلق صوت الأسد الغضوب وكأنه الرعد في السماء

- أيها الأبانوخ، أنت لاتعرف من يسكن هنا، أنهم عصاة الجن عتاة الإجرام ،القسوة والدموية صفاتهم، لاداعي أن تذوق ويلاتهم، من الأفضل لك أن تستمع لنصيحتي، اترك نائلة والبشريين وغادر بسلام.

- اصمت أيها الغضوب، اصمت.

تتلبد سماء المدينة بالسحب النيرانية والدخان الأسود الكثيف وتثور الأعاصيروالرياح العاتية، ينتفض كاردل متحفزا للقتل، القط الأسود يأخذ وضع الهجوم،العفريت طارش يزمجر بقوة ويستدعي جميع القرناء، الأشباح والشياطين المعاونة تصطف جميعها في وضع استعداد لمعركة دموية، أم الشعور تفرد شعرها على الجميع معلنة أنها منطقة محظورة ومن يحاول الاقتراب فهو مقتول، المارد ميمون يتمتم ببعض التراتيل وينظر إلى الفضاء وكأنه يرسل رسائل غاية في

الأهمية لدرجة جعلته غير مكترث بهذا الجو المشحون، ثم فجأة ينظر إلى أعوانه ويصرخ فيهم

- قاتلوا.. اقتلوا من تستطيعون قتله، لاتتركوهم يقتربوا من البشريين، أُقتل ياكاردل، أُقتل ياظام، الجميع يقاتل.

حرارة الأجواء تلتهب والنيران تستعر، الجميع قد تأهب، هاهو كاردل ينقض على أحد الشياطين الذي حاول الهجوم، ينشب مخالبه في عنقه ويرديه قتيلاً في الحال، يندفع العديد من شياطين المدينة على أعوان ميمون، يشتد الصراع، يسقط العشرات من شياطين المدينة قتلى وجرحى، أم الشعور تصول وتجول تخنق وتقتل ، القط ظام يقفز ويتسلق الأجساد ويغرس أنيابه القاتلة في الأعناق، صرخات غضب، أصوات كالرعد، الفحيح يملأ المكان، تنطلق الجنيات من كل صوب من المدينة يتكاثرن على أعوان ميمون، الرعب يجتاح القلوب، الشيخ سليم ورفاقه في حالة صراخ وهلع، تتزايد أعداد الشياطين، الجنيات تخطفن سليم وأحمد ونبيل والشيخ السوداني وصادق، ويفوز المردة بالنساء ليلي وميرفت، المارد ميمون ينتفض وينقض على الجنيات يستخلص الشيخ سليم من بين أيديهن ويصرخ في كاردل

- قاتل هنا باكاردل، الشيخ سليم لابد أن يظل نقياً، هو الضمير الحي يجب أن لايلوث، قف بجانبي أنت والقط الأسود ومعكم الأعوان و لاتدعون أحدا يأخذه من بين أيدينا.

تشتد رحى المعركة، بات النصر وشيكاً لشياطين المدينة النحاسية، ميمون أبانوخ يطلب من أعوانه الاختفاء عن الأنظار، يختفي الجميع عدا أم الشعور التي وقعت في أيديهم ومعها البشريين عدا سليم الذي اختفى به ميمون أبانوخ من أرض المعركة.

مضى يومان، احتفالات صاخبة تقام في المدينة النحاسية، الجنيات يتخطفن أحمد ونبيل وصادق والشيخ السوداني، تتراقص بعضهن، والأخريات يضحكن ويتمايلن، تقام حفلات جنسية تشارك فيها الجنيات الشبقات لري ظمأهن الذي عانين منه سنوات طوال، يصرخ الرجال يطلبون الرحمة ولا حياة لمن تنادي، تتناوب الجنيات مضاجعتهم في نشوة ولذة عجيبة، ينساق معهم البعض في البداية، ثم يُنهكون، تتكاثر عليهم الجنيات فلا يستطيعوا تلبية طلباتهن، وعندما تنتهي منهم الجنيات يتلبسهم المردة والشياطين ويضاجعوا بأجسادهم

النساء ميرفت وليلى في حفلات تستمر طوال الليل وردحا من النهار، بينما أم الشعور قد استفرد بها عدد من كبار المردة وأقوياء المدينة وراودوها عن نفسها ولما أبت تكاثروا عليها واغتصبوها عنوة بعد أن وهنت قواها ولم يعد باستطاعتها مقاومتهم والتغلب عليهم، اعتاد المردة اغتصابها مرات ومرات وحبسوها منفردة في أحد الأماكن المهجورة بالمدينة النحاسية.

ميمون أبانوخ يرسل أحد الأشباح لاستطلاع الأمر خفية ومعرفة أماكن أتباعه، غاب الشبح بعض الوقت وعاد لإخباره بمكان الرجال والنساء، وأخبر الشبح المارد أبانوخ أنه أسر إلى الشيخ السوداني بالمكان الذي يختبئون فيه ومعهم الشيخ سليم

- لماذا أخبرته بمكاننا أيها الشبح التعيس؟

- أردت أن أطمأنه بعدما رأيته هو وزملاءه في حالة يرثى لها.

- هل طلبت منك ذلك؟

- لا أيها المارد ميمون.

- لماذا إذا تعصي أمري وتتصرف برأسك؟

- اعتذر أيها المارد ميمون.

- اذهب عن وجهي الآن واختبئ مكانك حتى يصلنا المدد الذي طلبته من دنهش.

تنفرج أسارير الشبح

- وهل طلبت مددا من المارد دنهش؟

- نعم لقد استطعت التواصل معه وإبلاغه بماحدث وأرسل مددا في طريقه إلينا، اذهب واختفي ولاتنقل حديثي هذا لأحد، هل تفهمني؟

- نعم أيها المارد ميمون.

يجتمع عدد من الشياطين للتخطيط للهروب من المدينة والانطلاق خارجها.

- استمعوا لي جيدا، لقد واتتنا الفرصة والتي ربما لن تتكرر مرة أخرى، هاهو القدر قد أرسل لنا خمسة رجال من البشر يمكننا لبسهم والخروج عن طريقهم من المدينة.

- نعم ولكن كيف ذلك وقد تلبسهم مردة أقوياء لمضاجعة النساء.

- تلك مشكلة، ولكن يمكننا التغلب عليها ولبسهم عندما يتخلى عنهم المردة للاستراحة.
- ولكن كيف نصل إليهم ونفعل بهم فعلتنا؟
- لاعليك، دعنا نخطط جيدا، وسوف نجد بدل الطريقة ألف طريقة، المهم استعدوا تماما فالوقت قد حان والظروف أصبحت مواتية تماما.
- ونحن معك يا ابن بني الأحمر.
- إذاً اتفقنا، اليوم نلتقي مساءً بعد أن ينتهي المردة من حفلهم الجنسي ننقض نحن على الرجال ونتلبسهم ونخرج بهم من المدينة.
الشيخ السوداني وقد وهنت قواه تماما وأصبح عليلاً يشكو إلى المارد الذي يتلبسه
- أنا مريض ولا أقوى على مضاجعة النساء، اتركني أستريح بعض الوقت.
المارد في ضحكة هستيرية
- أتركك، هل جننت؟ اترك هذا الحفل الذي انتظرته طويلا لمرضك، لن أتركك إلا لأقتلك.
المردة يضحكون ضحكات صاخبة وتشتعل حرارة الحفل الجماعي
- هل ستقتلوننا؟
- نعم بعد أن ننتهي منكم سوف نقتلكم، ما حاجتنا بكم أيها العجوز الأرعن.
- تقتلوننا جميعا؟
- ما اسمك أيها الرجل؟
- يلقبونني بالشيخ السوداني؟
- مالك تسأل كثيرا؟ قم بعملك وواجبك ونفذ مايطلب منك واصمت تماما.
- هل أشي لك بسر وتتركني أعيش؟
- أي سر لديك يارجل؟
- هل تعدني بذلك؟

- قل ماعندك، هيا.

- هل تريدون معرفة مكان المارد ميمون أبانوخ وأعوانه الذين فروا ومعهم الشيخ سليم؟

- وهل تعرف مكانهم؟

- نعم.. أبلغني به أحد الأشباح التابعين له بعد أن استطعت تسخيره وجعله يعمل لخدمتي وتنفيذ أوامري.

- أين هم يارجل؟ قل سريعا، أين يختبأ أبانوخ وأعوانه، قل وإلا قتلتك في التو واللحظة.

- انتظروا سوف استدعي لكم الشبح الذي سخرته ليدلكم على مكانهم.

الشيخ السوداني ينشغل في بعض التراتيل والتعاويذ وسرعان ما أن يحضر الشبح المُسخر.

أُنهي في عجالة الحفل الجماعي وانطلق المردة مسرعين لقادة المدينة لإخبارهم بمكان ميمون وأتباعه، بينما نبيل وأحمد وصادق ينظرون إلى الشيخ السوداني بحنق وغضب، وفى تلك اللحظات يشاهد الشياطين المجتمعين للهروب المردة وهو يتركون أجساد الرجال فينتهزون الفرصة للإسراع بتلبسهم لتنفيذ خطتهم، وفي دقائق معدودة تشتعل المدينة بالنيران والدخان الكثيف وتنطلق الصرخات المرعبة من كل مكان وترتفع حرارة الأجواء وتتوهج المدينة؛ فقد وصل المدد إلى المارد ميمون أبانوخ، وبدأت معركة حامية الوطيس، انتشرت جثث المردة والشياطين تملأ جوانب المدينة، انطلقت أم الشعور من سجنها وأخذت تصول وتجول انتقاما من هؤلاء المردة الأنجاس، بينما كاردل يشق الصفوف ويقتل كل من يقابله، والقط ظام يغرس أنيابه في الرقاب ويسقط العديد من القتلى، ميمون أبانوخ مهموماً بالمحافظة على البشر وقد أوعز إلى أعوانه والمساعدين بضرورة إعادتهم سريعا إلى البواتق السحرية استعدادا لمغادرة المدينة النحاسية والانطلاق بهم بعيدا، الكل يعمل على قدم وساق وسريعا تنتهي المعركة بعد أن حسمها المدد من الشياطين والمردة واستطاعوا تحرير جميع زملائهم من أعوان أبانوخ والخروج من المدينة بعد التغلب على أهلها وقتل العديد منهم.

أخيرا أبانوخ وأعوانه والبواتق جميعهم خارج المدينة يتنفسون الصعداء بعد مغامرة كادت تقضي عليهم وعلى مؤامرة إبليس

الكبرى، وماهى إلا دقائق حتي كان المارد دنهش أمامهم ووجهه ينضح بالغضب وقد أمسك برقبة ميمون وأخذ يهزه بعنف

- ما هذا الذي فعلته أيها المارد؟ هل جننت؟ كدت أن تقضي على المهمة بأكملها بأفعالك الجنونية، كيف تحيد عن الخطة وتدخل تلك المدينة؟

- لقد أجبت طلب المارد كاردل.

- ومن القائد هنا، أنت أم كاردل؟ وهل كنت على علم بخطورة تلك المدينة؟

- لم أكن على علم كامل بها.

- ألم تعلم أن أهلها من العصاة الخارجين على قانوننا؟ ألم تعلم أنهم من أشرس المردة والشياطين؟ ألم تعلم أنهم قتله سفاحين ولايستمعون إلى أحد منا حتى ولا إبليس الملك الأعظم؟ لقد كدت تورد نفسك ومن معك الهلاك لولا تلك التعويذة التي أعطيتك إياها لتُخفيك أنت ومن معك في الظروف الطارئة.

- نعم أيها المارد دنهش وقد استعملت تلك التعويذة واستطعت التخفي بها حتى وصل المدد.

- لقد ارتكبت خطأً فادحا يصل إلى درجة الجرم، ولولا أننا في منتصف المهمة لأوكلت بها إلى غيرك وقدمتك للمحاكمة الفورية.

- أعتذر بشدة أيها المارد دنهش.

- انتظروا هنا بعض الوقت إلى أن نعيد ترتيب أوراقنا من جديد بعد ماحدث في تلك المدينة، أطلق البشر ياميمون ودعهم بعض الوقت وانتظر أوامري.

الأعوان والأشباح يعملون بهمة ونشاط على البواتق السحرية وسرعان ما أن ينطلق الرفاق جميعا، يسود بينهم صمت القبور،ذلك الصمت الذي تمتلئ منه النفس رعبا وتجزع منه الروح ، نبيل يصرخ فجأة ويشير بيده نحو أحد الرجال

- هل ترون هذا الرجل الذي يسير بمفرده في هذا المكان الموحش؟

- نعم نعم.أليس هذا هو الوليد؟

- نعم انه الوليد ياليلى وهاهو متجه نحونا.

- أهلا بالوليد.
- أهلا ياشيخ سليم.
- من أتى بك هنا يا الوليد؟
الوليد يضحك بصوت مرتفع
- لاتسألني هذا السؤال مرة أخرى ياشيخ سليم.
- لقد عانينا فترة عصيبة في هذه المدينة يا الوليد.
- نعم أيها الشيخ السوداني، عانيتم جدا وكدتم تُقتلون، ولكن قل لي ياشيخ لماذا خنت رفاقك ووشيت بهم عند مردة المدينة؟
- الشيخ سليم ينتبه إلى كلام الوليد.
- ماذا تقول يا الوليد؟، كيف خاننا الشيخ السوداني ووشي بنا؟
- أسأله ياشيخ سليم.
شحب لون الشيخ السوداني، جسده يرجف، تتملكه ربكة ويصاب بالخرس ويتولى الإجابة عنه الوليد
- رفيقكم الشيخ السوداني باعكم وأفشى سر المكان الذي اختبأت فيه ياشيخ سليم ، وكاد شياطين المدينة يقتلوكم جميعا لولا أن وصل المدد في الوقت المناسب وقبل أن ينالوا منكم، وقد استعان بالجن المسخر لمعرفة مكانكم؟
- هل حدث هذا أيها الشيخ؟
- نعم ياشيخ سليم، فقد كنت معذورا وأردت النجاة بحياتي.
- النجاة بحياتك والتضحية بنا جميعا ، الوشاية والفتنة والاستعاذة بالجن، إنها تهم تستحق عليها القتل، تذكر ذلك جيدا أيها الشيخ.
الشيخ السوداني يطأطئ رأسه، بينما الغضب يجتاح سليم، الرفاق ينظرون إلى الشيخ السوداني بازدراء. ميمون أبانوخ لأعوانه
- لقد ظفرنا بما نريد حتي وإن لم نكن قد خططنا له في ظل تلك الظروف الصعبة، فلننتظر الأوامر حتى ننطلق من هنا.
فجأة تلتفت ميرفت إلى الشيخ سليم وتسأله سؤال مباغت
- ما قصة مدينة النحاس تلك ياشيخ سليم ،هل قرأت عنها أو تعرف شيئا عن تاريخها؟

- نعم يا ميرفت إنها مدينة بناها الجن لسيدنا سليمان ثم استولوا عليها، وهي تقع بالقرب من بحر الظلمات في فيافي الأندلس بالمغرب الأقصى،وقد بلغ خبرها عبد الملك بن مروان الذي كتب إلى عامله بالمغرب موسى بن نصير يطالبه بمعاينة هذه المدينة العجيبة وما تحويه من عجائب، وخرج موسى بن نصير على رأس قوة كبيرة من العسكر لاستطلاع خبر تلك المدينة يرافقه عدد من الخبراء ليدلوه على الطريق إلى تلك المدينة وسار لمدة أربعين يوما في طريق موحش غير مسلوك حتى بدا لهم سور المدينة على مقربة من أرض واسعة تكثر بها الطيور والوحوش والعيون والأشجار، وهالهم منظر المدينة بتصميمها العجيب الذي يوحي بأن من بنوها ليسوا من البشر،وأراد موسى بن نصير الدخول إلى المدينة فلم يجد لها بابا للدخول منه؛ فاستشار من معه من المهندسين الذين اقترحوا أن يتم الحفر تحت سور المدينة ليتمكنوا من الدخول من تحت الأساس، وظلوا يحفرون حتى تفجر الماء من تحت الأساس ولم يصلوا بعد إلى نهايته، ولما أعيتهم تلك الحيلة فكر آخرون في بناء بنيان عند احد أطراف المدينة يرتفع عن سورها ومن ثم تسلق السور والدخول إلى المدينة، وبنوا برجاً مقداره ثلاثمائة ذراع من الحجارة وأضافوا إليه مائة وسبعين ذراعا أخرى من الأخشاب واستكملوا الارتفاع بسلم خشبي طويل وأسندوه على سور المدينة، وبعد اكتمال البنيان طلب الأمير موسى من رجالة أن يصعد أحدهم ويتسلم ديته، فتقدم أحد الرجال الشجعان وأخذ الدية وقال إن دخلت المدينة ونقلت لكم خبرها فهي أجرتي وإن مت فهي ديتي يتم إيصالها إلى أهلي،وصعد السلم حتى وصل إلى قمة سور المدينة وعندها صفق بيديه وأخذ يضحك ثم ألقى بنفسه داخل المدينة، وبعدها سمعوا أصواتا مرعبة وضجيجا صاخبا أخافهم وزاد هلعهم، واستمرت تلك الأصوات ثلاثة أيام ثم سكنت، ونادى أصحاب الأمير على زميلهم من كل جوانب المدينة فلم يجبهم أحد، ولما يئسوا كلف الأمير رجلاً آخر من رجاله، وحدث معه ماحدث مع الأول، وهنا تقدم أحد الرجال الشجعان واقترح أن يأخذ ضعف الدية ويربط وسطه بحبل طويل على أن يشده منه زملائه إذا أشرف على إلقاء نفسه داخل المدينة كما فعل زميليه فيمنعوه بذلك من دخولها بهذه الطريقة التي فُقد فيها السابقين، وقد كان له ماطلبه، فلما وصل إلى نهاية السور وأشرف على المدينة صفق وضحك وألقى بنفسه داخلها، فما كان من زملاءه إلا أن جذبوه بالحبل المربوط به

وظلوا فترة يشدونه بالحبل بينما هناك قوة أخرى تشد من داخل المدينة، ظلوا هكذا حتى تمزق جسده إلى نصفين، علق النصف المربوط بالحبل بينما النصف الآخر سقط داخل المدينة..وكالعادة صياح وضجيج وأصوات مرعبة انطلقت داخل المدينة، وهنا أدرك الأمير أن الجن يأخذون كل من يحاول الدخول فخشي على رجاله وأمرهم بالرحيل والابتعاد عن تلك المدينة حتى وصل إلى بحيرة كبيرة بها أمواج متلاطمة، طلب الأمير من الغواصين النزول إلى تلك البحيرة لاستطلاع أمرها، فغاصوا في البحيرة وأخرجوا حبابا من النحاس مغطاة بالرصاص ومختومة بخاتم سيدنا سليمان.. ففتح حبا فانطلق منه فارس من نار على فرس من نار وفي يده رمح من نار طار في الهواء وهو ينادي "يانبي الله لا أعود "..فتح الجنود حبا آخر وآخر وحدث معهم نفس الشيء، وعندها أمر الأمير جنده بعدم فتح الحباب لأن بها شياطين حبسهم سليمان عليه السلام لتمردهم وعصيانهم..وبعدها عاد موسى بن نصير وكتب إلى عبد الملك بن مروان عما رآه من عجائب تلك المدينة والجن الذي يسكنها وأمر البحيرة والجن السجين.

- ياللهول، ما هذا الذي تتحدث عنه ياشيخ سليم، إنها عجائب حقا؟

- ألم تسمعي عن تلك المدينة قط ياليلى؟

- لا.. فأنا بعيدة تماما عن هذا العالم الغريب، وحياتي موقوفة على البيت والملهى الليلي الذي أعمل به، ولم أقرأ بتاتا أو أهتم بتلك المواضيع.

- إن قصة مدينة النحاس معروفة للكثيرين في عصرنا وتناولها العديد من الكتاب في كتبهم.

- ولكن ياشيخ سليم هل تعني أن تلك المدينة كانت سجناً للمردة والشياطين المتمردين والعصاة.

- ياليلى..إن الأمور غير واضحة تماما، فقد اختلفت الآراء واختلف المؤرخون، فمنهم من قال إن من بناها هم الجن لسيدنا سليمان ثم استولوا عليها، بينما قال البعض إن سيدنا سليمان حبس بها الجن العصاة، وهناك من ينكر تماما وجود تلك المدينة ويعتبرها من الأساطير

- كيف ذلك ياشيخ سليم، مدينة بأكملها وبهذه الغرابة وتنسب لمعجزات سيدنا سليمان وتختلف حولها الآراء لدرجة اعتبارها من الأساطير.

- نعم ياليلى، إنها شُيدت في الزمن السحيق، وقد جُبل الناس على الاختلاف في السرد وحفظ التاريخ والأحداث ولن تجدي سوى القليل من الحقائق التي نقلت إلينا بتفاصيلها وحقيقتها عبر الزمان بينما الكثير من الحقائق اختلف عليها البعض حتى أصبحنا نستمع إلى ما ورد عنها وكأنه حكايات وروايات من الخيال، وعندك من الأمثلة الكثير، ألا يكفي بناء الأهرامات، تلك المعجزة الخالدة عبر الزمان ونراها جميعا ونشاهدها بل ونتسلقها أحيانا، إنها مازالت تلقى اختلافا كثيرا في كيفية بناءها ومن الذي بناها والغرض من بناءها، دعينا من الأهرام فقد بُنيت منذ آلاف السنين وربما عمرها المديد آثار الخلاف حولها، ماباللك بتحول بعض الأبنية في عصرنا إلى ما يشبه الأساطير، بل أن الرعب والخوف يسيطر على القلوب لمجرد ذكرها.

- ماذا تقصد ياشيخ سليم، وإلى أي تلك المباني تشير؟

- قصر البارون مثلا.

- نعم ياشيخ سليم، قرأت الكثير عن قصر البارون وأنا في أمريكا، وشاهدت عدداً من الأفلام تم تصويره في هذا القصر المرعب.

- نعم يانبيل، وبالرغم من أن هذا القصر شيد في نهاية القرن التاسع عشر ويقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى شارع صلاح سالم بالقاهرة تحديدا في شارع العروبة بمنطقة مصر الجديدة،أي انه بني في عصرنا ولم يمضِ على بناءه زمنا طويلا، وعلى الرغم من ذلك حيكت الحكايات والروايات عن الرعب الذي يملأه والشياطين التي تسكنه حتى ذاعت شهرته الآفاق وقصده الغرب لتصوير أفلامهم به لما يحيطه من قصص رعب وخيال.

- ومن الذي شيد هذا القصر ياشيخ سليم؟

- إن الذي بناه يامبرفت هو البارون إدوارد إمبان وهو مليونير بلجيكي منحه ملك فرنسا هذا اللقب تقديرا لمجوداته المميزة في إنشاء مترو باريس حيث كان إمبان مهندسا معماريا متميزا جاء إلى مصر وتأثر بحضارتها وعشق أرضها وقرر البقاء بها لدرجة انه أوصى أن يدفن بها ،وشيد هذا القصر والذي استوحى بناءه من العمارة الهندية وكان قصرا أسطوريا صمم بحيث لاتغيب عنه الشمس وهو يعد من

أفخم قصور مصر وبه العديد من تماثيل الفيله والتماثيل المرعبة التي أقيمت على جدرانه، وبه برج يدور على قاعدة متحركة دورة كاملة كل ساعة ليتيح لمن يجلس به أن يشاهد ماحوله في جميع الاتجاهات، وأقام البارون به هو وأخته البارونة "هيلانة" التي سقطت من شرفة غرفتها بينما كان البارون ببرج القصر يدور به ناحية الجنوب، وعندها توقف البرج عن الدوران وهب البارون لاستطلاع صرخات أخته فوجدها قتيلة، وقد توفى البارون عام 1929 وهُجر القصر لسنوات طويلة وبسبب إغلاقه المستمر وعمارته الفريدة ومايحويه من غرف وتماثيل غريبة نسج الناس حوله الكثير من القصص الخيالية ومنها انه أصبح مأوى للشياطين، وأصبح القصر أسطورة خيالية يتناقلها الناس وتصيبهم بالخوف والرعب.

- معك الحق ياشيخ سليم.. الخرافات والأساطير تحيط بنا من كل جانب حتى كدنا لانستطيع التفرقة بين الحقيقة والخيال.

- نعم يا صادق، وأظنك بحكم عملك في الآثار قد صادفك الكثير من هذه الأمور.

- نعم.. ولكن لا أكترث لهذا كثيرا ولا أتوقف عند تلك الأشياء فأنا أضع الكنوز والآثار نصب عيني ولا ألقي لغيرها اهتماما.

- ولكن ياشيخ سليم بما أننا في محيط مدينة النحاس العجيبة أريد أن أذكركم أن السجن الذي بناه سليمان للجن يوجد في أرضنا بالسودان.

- هل تعني ذلك حقا أيها الشيخ السوداني؟

- نعم ياميرفت في جزيرة سواكن تلك المدينة التي تقع في شمال شرق السودان على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وقد بنيت تلك المدينة على جزيرة مرجانية ولايعرف تاريخ محدد لتأسيس تلك المدينة وان كان يعتقد أن القدماء المصريين كانوا يمرون عليها في رحلاتهم التجارية إلى بلاد "بونت" الصومال حاليا..وقد أصبحت الآن مدينة للأطلال يصاحبها الكثير من الحكايات والأساطير.. وتحكي إحدى الروايات أن سواكن مشتقة من لفظ "سجون" والذي حُرف بمضي الزمان وأصبح سواجن ثم سواكن، وكانت هذه الجزيرة سجنا للشياطين والمردة العصاة يرسلهم الملك سليمان ليتم احتجازهم في تلك الجزيرة،وتنتشر الكثير من الحكايات عن قصص الرعب في تلك الجزيرة وعن قططها الضخمة التي تسكنها الشياطين وتتجول بها

في أرجاء الجزيرة ثم تختفي داخل أبنيتها العتيقة والبيوت التي يعتقد الناس أن الجن مازال يسكنها.

- هل حقاً مايقوله الشيخ السوداني ياشيخ سليم؟

- كما قلت ياميرفت اختلطت علينا الحقائق بالأساطير ولا أحد يعلم الحقيقة.

فجأة ثارت عاصفة هوجاء واشتدت الرياح وزادت حرارة الأجواء وانطلق الصوت الرعدي يأمر الشياطين والأعوان بالتأهب وإعداد البواتق السحرية فقد حانت ساعة الرحيل.

***

راجت الشائعات في نجع حمادي وانتشرت الأحاديث تروي الكثير عن بيت الشيخ سليم، بيت الرعب، بيت الأشباح والعفاريت، خاصة بعد أن مضى وقت طويل ولم يظهر أثر لسكان البيت والمختفين، فقد أيقن الجيران وأهالي المدينة أن الجميع قتلوا أو تم اختطافهم بمعرفة الجن، وزاد يقينهم بذلك بعد أن ذاعت الأخبار ونشرت وسائل الإعلام أن بعض متعلقاتهم قد وجدت بالمقبرة، وكان هذا حقيقي فأعوان دنهش قد تركوا بعض المتعلقات ولم يأخذوها معهم، فوجد بالمقبرة حقيبة ليلى والإيشارب الذي كانت ترتديه، وأيضا حقيبة ميرفت وغطاء الرأس الخاص بها، بالإضافة إلى ساعات الرجال والخواتم الفضية التي كانت في أيديهم، ووجدت أيضا محفظة الشيخ السوداني وبعض متعلقات سليم وأحمد ونبيل وصادق التي أكدت اختفاء هؤلاء الصحبة ودلت على شخصياتهم..سرت الشائعات واتقدت كالنار في الهشيم وكلما مر يوم ولم يظهر أحد من هؤلاء تأججت شائعات جديدة، وصيغت روايات تحكي وتزيد في قصتهم وقصة هذا البيت المسكون. أصبح البيت بمثابة مزارا يتجول الأهالي في محيطه ويلتقطون الصور التذكرية بجواره، ويلفون ويدورون حوله لمحاولة استيعاب الحقيقة، ولكن مع اقتراب الليل يبتعد الجميع عن هذا البيت المسكون ولا يجرؤ أحد من الاقتراب منه، فالخوف قد ملأ قلوبهم واستقر في نفوسهم أن الشياطين تسكنه وتقتل كل من يقترب منه.

إن كان هذا هو حال السكان والأهالي العاديين في نجع حمادي فحال الشرطة والأوساط المسئولة في المحافظة كان أكثر تشتتاً وريبة، فهذه الأمور مستحدثة عليهم ولم يصادفهم شيئا كهذا من قبل، فالأمور مبهمة والحقائق غائبة،ووسائل الإعلام تحاصرهم ليلا ونهارا تطلب تفسيرا أو توضيحا وهم لايملكون من أمرهم شيئاً، لايستطيعون تأكيد أو نفي الشائعات، ولايوجد تحت أيديهم دليل على شيء، وفي نفس الوقت لايمكنهم التصريح بوجود شياطين في الأمر، فتلك الأقاويل من شأنها أن تأجج الأمور خاصة وأن طبيعة عملهم لاتعترف بتلك الخرافات وإنما تستند على الحقائق والأدلة والبراهين، لذلك كان موقفهم أكثر تعقيدا من السكان، فهم مطالبون بإظهار الحقيقة وإعلانها على الرأي العام الذي بات متعطشا لسماع أي شيء عن تلك القصة، وباتت الشائعات هي المصدر الوحيد الذي يستقي منه الناس الأخبار، وكان الضحية الحقيقية في هذا كله هو شقيق ميرفت

الذي ذهب للإبلاغ عن اختفاء أخته وزوجها فأصبح بين يوم وليلة أحد المتهمين وإن كانت لاتوجد تهمة معينة، ولكن مشهور منذ ذلك اليوم أصبح هو النجم الأول في تلك الواقعة، لما لا وهو الحقيقة الوحيدة في كل تلك الشائعات، فهو للشرطة الأمل الوحيد الذي ربما يستطيعوا عن طريقه الوصول إلى حل لهذا اللغز الكبير، وأيضا هو كبش فداء لهم يلقون عليه اللوم ويعلقون شماعة فشلهم في العثور على صحبة المقبرة ويبررون ذلك بكتمانه بعض الأسرار وعدم البوح بكل مالديه لفك هذا اللغز، ومن ناحية أخرى اتخذت الصحافة من مشهور ملاذا لها تحاول استقاء الأخبار منه أو نشر صورته مذيلة بالعناوين المثيرة، فقد أصبح بين عشية وضحاها نجما يشار له بالبنان ويعتقد الجميع انه الصندوق الأسود الذي يحوي الحل لهذه الواقعة الغريبة، غير أنه وعلى المستوى الشخصي كان غير مدرك لكل هذا، فقد بات شعور اليأس والإحساس بالظلم يسيطران عليه، فهو لايعرف عن أي تهمة هو محبوس، ويتساءل كثيرا عن الذنب الذي اقترفه ليكون هذا مصيره، فقد زُج به داخل عصارة كعود من القصب، وتم عصره أكثر من مائة مرة لاستخراج المعلومات ولكن دون جدوى، فهو لايملك أي معلومة ولا يعرف أي شيء عن أجوبة تلك الأسئلة التي توجه له ليل نهار، لقد استخرجوا كل مابه حتى أصبح بقايا ولم يصلوا إلى مرادهم.

ظل هذا حال تلك المدينة الواقعة في الجنوب، مدينة نجع حمادي الذي ذاع صيتها إثر تلك الواقعة وانتشرت أخبارها حتى أصبحت حديثا للجميع ومزارا لعلماء الآثار والمشايخ، بل والسحرة والمشعوذين أيضا اللذين وجدوا فيما حدث سماءً مفتوحة لهم لرواج عملهم وممارسة دجلهم، حتى جاء مساء أحد الأيام وحدث مالم يتوقع أو يخطر على بال أحد، بينما بعض الأهالي في نطاق بيت سليم، بعضهم يسير في حياته الطبيعية، بينما البعض الآخر يلتقط بعض الصور بجوار البيت كالمعتاد، فجأة ينطلق شبحان من داخل البيت يركضان نحو الناس وهم يصرخان بأعلى صوتهما بكلمات غير مفهومة، سادت حالة من الهرج وانطلقت الصرخات تملئ المكان، بينما الشبحان الملثمان يسابقان الريح ويجريان يمينا ويسارا وكأنهما يبحثان عن شيء فقد منهم أو لايعرفان لهم طريق، وفجأة اختفى الشبحان عن الأنظار وتركا ورائهما قلوبا راجفة ووجوها يعلوها

الرعب ويقتلها الخوف، لما لا وقد ظهرت الشياطين عيانا بيانا أمام أعين الناس، بل وطاردت البعض منهم. الشائعات تحولت إلى حقيقة، والشياطين المتخفية ظهرت أمام الأعين وشاهدها عدد غير قليل، بل أن الشياطين لامست البعض منهم أثناء محاولتهم الهرب،والأكثر من ذلك أن البعض قد التقط لهما صورة أو أكثر، واقعة جديدة،وحقيقة سوف يبنى عليها الكثير من الشائعات التي ربما تصل إلى منتهاها، ولم يكن الأمر يمر مرور الكرام، ففي لمح البصر انتشرت الأخبار تملئ المدينة بخروج الشياطين من المقبرة لمطاردة الناس خارجها، وتناقلت وسائل الإعلام هذا الخبر، بل تواصلت مع البعض من اللذين حضروا تلك الواقعة، وبالطبع كانت الشرطة سباقة لمعرفة أصل هذه الرواية واحتواء الموقف، فالأمر أصبح خطيرا، شيء كهذا ينشر البلبلة بين الناس ويكدر الأمن العام،الأمر جد خطير، شياطين تطارد البشر هكذا. استطاعت الشرطة أن تصل إلى أيمن المصورالذي التقط صورا لهذا الحدث وذلك بعد تواصل هذا الشاب مع قناة فضائية والتي نشرت بدورها بعض الصور التي التقطها لهذين الشبحين، فُتح تحقيق وسؤال وجواب والشاب يجيب ويتذكر ويصف ويشرح

س: صف هذين الشبحين؟

ج:لم أتحقق منهما جيدا، فقد انشغلت بتصويرهما، ومعي أربع صور لهما في أوضاع مختلفة.

س: ماذا كانا يفعلان؟

ج: كانا يجريان بسرعة فائقة، ويبدو كأنهما ضلا الطريق أو الهدف الذي سعيا إليه.

س: كيف عرفت ذلك؟

ج: كانا يجريان في عدة اتجاهات حتى أنهما في النهاية تفرقا وسار كل منهما في طريق.

س: هل طاردهما أحد من الناس؟

ج: أنهم عفاريت، من هذا الذي يطار عفاريت؟ الجميع كان في حالة رعب وصراخ.

س:هل تحدثا إلى أحد؟

ج: لا.. كانا يصرخان ويتحدثان معاً.

س:هل سمعت حديثهما؟

ج:سمعتهما ولكن لم أتبين مايقولانه.

س:هل لغتهما مختلفة عن لغتنا؟

ج: لا أدري، فالخوف كان مسيطرا ولم أتبين حديثهما جيدا.

س:هل بهما شيء مختلف؟

ج:عفوا.. لم أفهم السؤال.

س:هل بهما علامات معينه في جسدهما، أشياء تختلف عن البشر، قرون مثلا أو عيونهما مختلفة أو شيء من هذا القبيل؟

ج: لم أتبين ذلك، فقد كانت ملابسهما جلدية مثل بدله الغواصين، والأقنعة أخفت وجههما تماماً.

س:هل تواصل أحد معهما بالحديث أو الإشارات؟

ج:لست أدري، حالة الذعر لم تسمح لي بمتابعة ذلك.

س: هل أنت متأكد أنهم شياطين؟

ج:أكيد هما من الجن، الحال الذي ظهرا به، طريقتهما في الجري وسرعتهما الفائقة واختفائهما المفاجئ، أنهما من الجن وهذا أكيد.

- أغْلق المحضر في ساعته وتاريخه.

مضت عدة أيام على الحادثة ولم يكن هناك حديث في المدينة إلا عن هذه الواقعة، سرى الخوف في القلوب، وابتعد الناس تماما عن محيط بيت الشيخ سليم فقد أصبح الخوف يسيطر على الجميع من أن يفاجئهم الجن هناك ويختطفهم أو يقتلهم كما فعل مع أصحاب البيت، زادت الشائعات، وأججتها المانشيتات الصحفية المثيرة والتغطية الإعلامية الواسعة، حتى ظهرت الحقيقة كاملة؛ أصدرت الداخلية بيانا كشفت فيه ملابسات تلك الواقعة، فالشبحين ماهما إلا لصين من اللصوص ظنا أن بالمقبرة بقايا ذهب وكنز وأرادا أن يتحققا من ذلك فارتديا هذا الزي الغريب ولبسا الأقنعة حتى إذا ما رآهما أحد لايتعرف عليها واستطاعا النزول إلى المقبرة وكان في انتظارهما مفاجأة غير متوقعة، فالكلاب الضالة سكنت المقبرة وأصبحت مأوى لهم، وقد طاردهما أحد هذه الكلاب وكاد ينهش أحدهما وهو ما أصابهما بالرعب وظنا انه جن يسكن المقبرة ويدافع عنها فأسرعا بالهرب والرعب يتملكهما، وفي هروبهما فوجئا بوجود الناس خارج البيت فخافا أن يتم القبض عليهما وحاولا الهرب وكلما ذهبا إلى اتجاه

وجدا به الناس تصرخ في وجههما فزادهم ذلك رعبا، حتى استطاعا أخيرا الهروب والاختفاء، ثم تخلصا من ملابسهما وأقنعتهما وذهبا إلى منازلهما.

كانت هذه هى رواية الشرطة، وتبعها الإعلام المسموع والمرئي بعقد لقاءات وأحاديث مع هذين اللصين اللذين ذاع صيتهما وانتشرت صورتهما وأصبحا حديث الساعة، ولكن ماذا عن الناس والأهالي، هل صدقوا بيان الشرطة وأحاديث الإعلام، هيهات هيهات، فقد وقر في قلوبهم ومعتقداتهم أن الجن يحوم حول البيت، وماتت الحقيقة وراجت الشائعات، وأصبح البيت، البيت المسكون، بيت الرعب، بيت الشياطين، ومازالت علامات الاستفهام كثيرة، والأسئلة حائرة، والإجابات تائهة، والأمر كله غامض.

* * *

انطلق صوت المارد دنهش كالفحيح يتغلغل في الأرواح والنفوس محذرا أعوانه من رحلتهم القادمة وموضحا خطورتها التي ربما تفوق المخاطر التي حدثت لهم سابقا وكادت تقضي على أحلامهم في نجاح المؤامرة.

- اسمعوني جيدا، رحلتنا قاربت النهاية، وتلك أخر مراحلها، على الجميع تنفيذ التعليمات جيدا، الخطأ هنا غير وارد،وغير مسموح به، لقد مررنا بمراحل كثيرة حتى وصلنا إلى تلك المرحلة، إبليس العظيم ينتظر النتائج، عالم الجن كله يترقب نجاحكم، الآن سوف ننطلق إلى الزمن الغابر، حقبة زمنية غائرة في القدم، ربما لم تسمعوا عنها أو تعلموا عنها شيئا، سوف نعود بالزمن إلى حوالي "450"ألف عام، وبالتحديد إلى بلاد الرافدين،سوف نلتقي مع مخلوقات لم تعتادوها، وحضارة لم تشاهدوا مثلها، وهذا يمثل خطورة كبيرة علينا، يجب أن نكون حريصين إلى أقصى درجة، وان لانغفل عن البواتق البشرية التي نحملها ولا عن أفعال أصحابها في هذه الأرض الغريبة والزمن السحيق، هل تسمعني ياكاردل؟

- نعم أسمعك أيها المارد دنهش، وأنا على استعداد للقتل دائما، لاتقلق.

- أنا لا أقلق إلا منك أنت و نائلة أم الشعور.

- وماذا يقلقك مني أيها المارد دنهش؟

- دائما متسرعة ولاترين الأمور إلا من زاوية واحدة، حاذري يا أم الشعور، الأمر بات دقيقا جدا، والتهور قد يودي بنا إلى الهلاك.

- قل ما تريده أيها المارد، أنا لا أحب التلميح، التصريح للأقوياء وهو الأكثر فاعلية، قل ماتريد قوله مرة واحدة،وسوف أحاول العمل به.

- ليست محاولة يا أم الشعور، بل السمع والطاعة والتنفيذ الدقيق.

- كاد صبري ينفذ، لقد ضقت ذرعا بتلك المؤامرة التي كبلتني ووضعت القيد في رقبتي، ماذا تريد قوله أيها المارد دنهش؟

- لاعليك يا أم الشعور، ستنالين حريتك قريبا وتفعلين ما يحلو لك، تلك هى خطوتنا الأخيرة، وما أردت قوله انك بطلة تلك

المرحلة،عليكِ يقع العبء الأكبر، سوف تمارسين مهامك وتصولين وتجولين كيفما شئتِ، فهو ملعبك أفعلي ما يحلو لكِ، ومارسي طقوسك التي حُرمتي منها.

تنفرج أسارير نائلة أم الشعور وتبدو السعادة على وجهها بينما المردة والشياطين ينظرون إليها ويتغامزون، منهم من يبتسم في خُبث والبعض يشير إشارات ذات إيحاءات جنسية ، والبعض الآخر يُلمح بنظرات عينه أوقسمات وجهه، بينما أم الشعور في حالة نشوة وسعادة وقد ألقت كل ذلك وراء ظهرها غير مبالية أو مهتمة.

- هيا فلننطلق الآن إلى رحلتنا الأخيرة، استعدوا جميعا.

يثور إعصار شديد وتهب الرياح وتزداد سخونة الأجواء، يُسمع حفيف وطنين وأصوات غريبة ليست كالأصوات، وسرعان ما أن تهدأ الأجواء تماما.

* * *

- أين نحن الآن ياشيخ سليم؟
- لا أدري يانبيل
- ماهذه الأجواء الغريبة؟ وما هؤلاء البشر؟ نبدو في حقبة تاريخية موغلة في القدم.
- نعم يامیرفت يبدو هذا واضحا تماما، فلنحاول أن نتعرف على هذه المنطقة وهؤلاء البشر.
- معك الحق يا أحمد، يجب أن نتعرف على هذا الزمن.
- حاول أيها الشيخ السوداني،أستعين بأعوانك من الجن والشياطين، ألست بقادر عليهم؟ حاول معهم ربما استطاعوا حل هذا اللغز.
- أتهزأ بي يا أحمد؟
- لست أهزأ ولكن أتكلم بصدق.
- استغفر الله يا أحمد، هل نستعين بالجن؟
- ياشيخ سليم، نستعين حتى بإبليس نفسه، نحن لانعلم شيئا، نحن ضائعون في زمن غريب ومكان أغرب.
فجأة تصرخ ليلى في الجميع وقد انتابها الخوف والرعب
- أنظروا.. هل ترون ما أرى؟ ماهذا الشيء العجيب؟
- نعم ياليلى، انه حقا غريب وعجيب.
- ماهذا يانبيل؟
- لست أدري ياليلى، انه عملاق، يبدو جسده عملاق، وأيضا يختلف عن الآخرين، أقصد يختلف عن البشر اللذين رأيناهم هنا، من هذا ياشيخ سليم؟
- لا أدري، فأنا مثلكم لا أعرف شيئا، مخلوق مختلف عن الآخرين، ربما طفرة وراثية أو شيء من هذا القبيل؟
- أنظروا، انه ليس بمفردة، هناك آخرون مثله، من هؤلاء؟ ومن يكونون؟

- انتظر يا صادق حتى نسأل أحدا هنا، ربما أجابنا أحدهم عما يحيرنا.
- نعم يانبيل عندك حق.
- أسأل هذا الرجل القادم نحونا يانبيل.
- سأسأله يا أحمد، السلام عليكم.
- ماذا تقول؟
- أقول السلام عليكم.
- ماذا تعني بقولك هذا؟ ومن أنتم يارجل، هيئتكم غريبة، وحديثكم غريب، أنتم لستم من أهل هذه الأرض أليس كذلك؟
- نعم.. نحن من زمان آخر غير زمانكم.
- ماذا تقول؟ زمان آخر، أتهزأ بي يارجل؟
- لا أنها الحقيقة.
- انتظروني هنا بعض الوقت.

الرجل يتركهم ويسير بعيدا حتى يختفي عن أنظارهم، الجميع ينظر بعضه إلى بعض، لا أحد يعلق، فجأة تصرخ ليلى

- انه قادم نحونا ومعه عددا كبيرا من الناس.
- لاتخافوا.. قفوا في أماكنكم ولنرى ماسوف يحدث .
- تمام ياشيخ سليم، هذا ما أردت قوله .
- انتظر ولاتتحدث يانبيل.

يحيط الرجال بهم من كل اتجاه، يطلب الرجل منهم أن يسيروا معه بهدوء إلى حاكم المدينة. المسافة ليست بعيدة؛ قطعوها في حوالي عشر دقائق، أدخلهم الرجل في بهو كبير، يجلس في صدارته الحاكم، حوله عدد كبير من أتباعه، ربما كانوا من الحكماء أو الوزراء، لا أحد يعرف قوانين هذا العصر، يوجد رجال أقوياء حول البهو، ربما كانوا من الحرس فهم يرتدون زياً موحدا، القوة والشراسة بادية على وجوهم، الحاكم يشير إليهم بالجلوس.

- أجلسوا.. لقد علمت أنكم غرباء عن المدينة، لغتكم مختلفة، وربما ثقافتكم مختلفة، ليتحدث أحدكم ويوضح موقفكم، لقد استقبلتكم على وجه السرعة لأني سوف أغادر المدينة بعد قليل لزيارة مدينة

مجاورة، وأردت معرفة حكايتكم قبل سفري، تحدث أنت أيها الرجل، ما اسمك، وما حكايتكم؟

- أسمي أحمد، نحن فعلاً غرباء عنكم، يفصلنا عنكم حوالي450ألف عام، هذا كل ما أعرفه.. وهذا ماقيل لنا.

- ومن الذي قال لكم هذا؟

- لا أدري.. فقد أوحي إلينا هذا الأمر، ولا أعرف من قاله .

- هل يدري أحد منكم من الذي قال هذا؟

- لا.. لايدري أحد.

- ومن أنت؟

-أنا سليم أخو أحمد.

- هل تريدون إقناعي أن زمانكم يبتعد عنا بأربعمائة وخمسين ألف عام؟

- نعم تلك حقيقة.

- فليكن.. لماذا جئتم هنا؟وماذا تريدون منا؟ قل ياسليم .

- لانريد شيء، فقط نتعرف عليكم وعلى حضارتكم ونقيم بينكم وفي ضيافتكم فترة من الزمن ثم نرحل كما جئنا.

الحاكم يفكر قليلا.، يتحدث إلى رجل بجانبه بصوت منخفض لا يسمعه أحد، ثم ينظر إليهم في ريبة،ويتحدث حديثا قاطعا.

- سوف نسمح لكم بالإقامة معنا، وسوف نجهز لكم سكنا، ولكن إياكم والغدر أو الخيانة، فقد أعطيناكم الأمان على أن تخلصوا لنا وتفيدونا من علمكم المتقدم كما تدعون، سوف أعهد إلى أحد رجالي بخدمتكم وتلبية طلباتكم والإجابة على استفساراتكم وأسئلتكم، ونرى مايمكننا الاستفادة به منكم، أعلموا أننا بلد متحضر وأهله متسامحين، كل مانسعى إليه العيش بسلام وبناء حضارة زاخرة، إن استطعتم مساعدتنا في ذلك فأهلاً بكم.

- سيادة الحاكم، لقد غمرتنا بكرمك وعطفك، ولكن لي سؤال أود إجابته، لقد رأينا عددا من العمالقة يجوبون الأرض ويسيرون بين الناس؛ وقد كان ذلك غريبا علينا، فقط نود معرفة من هؤلاء؟

- نعم ياسليم،هؤلاء هم الأنوناكي، أنهم الهابطون من السماء، وهم من نخشاهم، ولذلك طلبت منكم الإخلاص وعدم الخيانة، إنهم كائنات فضائية قادمة من السماء، يدعون أنهم من كوكب "نيبيرو"..عموما لاتسبق الأحداث، فسوف يأخذكم الآن من وكلت إليه أمركم وسيجيب على أسئلتكم ويوضح لكم كل شيء، سوف ألقاكم مرة أخرى بعد عودتي من رحلتي السريعة.

أشار الحاكم إلى أحد الرجال الجالسين في مجلسه؛ فقام الرجل وصحب معه سليم وأصحابه وخرجوا جميعا من البهو الكبير.

* * *

سار الرجل وخلفه سليم وأصحابه، بعد حوالي أربعة كيلومترات توقف الرجل ونظر إليهم نظرة فاحصة وسألهم سؤال مباغت

- من كبيركم؟

- نظر الصحبة بعضهم إلى بعض فلم يتوقعوا سؤالاً كهذا ولم يدر يوما في خلدهم أن يكون لهم كبيرا يُجيب عنهم؛ أجابه سليم بعد تردد

- ليس لنا كبير، كلنا سواسية.

- عظيم جدا، سأتحدث معكم بصيغة الجمع إذا.

يمكنكم أن تنادوني باسمي "أكاكا"، أنا الموكل من الحاكم بمتابعة أمركم وإجابة طلباتكم.

أشار الرجل بيده إلى بيت كبير يبعد حوالي عشرين مترا عن مكانهم.

- هذا البيت مخصص لكم، البيت مقسم من الداخل إلى عدة حجرات يمكنكم التشاور واختيار كل منكم الحجرة التي تناسبه، سوف أترككم الآن تستريحون بعض الوقت وسأرسل لكم بعض المأكولات والمشروبات التي تعينكم على الحياة إلى أن ألقاكم مرة أخرى لأوضح لكم ما استعصى على فهمكم وما تودون السؤال عنه، مع الصباح سوف أعود إليكم مرة أخرى.

"أكاكا"يتركهم ويغادر المكان، يقف الجميع كل منهم ينظر للآخر ولايدري من أمره شيء، يشير إليهم الشيخ السوداني بالدخول إلى البيت..يدخل الجميع يتفقدون الحجرات، ثم يجتمعوا معا ثانية لاستبيان أمرهم.

- ماذا يحدث لنا؟ وما هذه الأرض الغريبة؟ والقوم الغرباء؟ رائحة هذا الزمان تختلف عن رائحة الأزمنة التي عشناها من قبل، إن هذه الرائحة تُذكرني برائحة زمان خلق الأرض، إننا في زمن عتيق، زمن غابر، أكاد أشك في كل شيء حولي.

- نعم يا أحمد، معك الحق، أشعر معك بالغربة، حقا.. إنها غربة بداية الخلق، ولكن دعنا نرى ماسوف يحدث.

- ياشيخ سليم، إن أهم مايشغلني ويستحوذ على تفكيري هؤلاء العمالقة اللذين رأيناهم، من هؤلاء؟ وماذا يفعلون؟ ولماذا هم مختلفون عن باقي البشر؟

- ياليلى..إن الحاكم يقول أنهم "الأنوناكي".

- ومن هم الأنوناكي؟

- في الحقيقة لست أعلم، ولم أسمع عنهم من قبل، لكن الرجل يقول أنهم كائنات فضائية أتت من السماء

- ياللهول، ماذا يعني هذا، ملائكة أم شياطين؟ أم ماذا يكونون؟

-لا أدري ياليلى، ولكن دعينا نسأل أكاكا عندما يأتي في الصباح كما قال.

تهب الأعاصير حول البيت، تَسخن الأجواء في محيط حجرات ميرفت وليلى، إنها نائلة أم الشعور وقد تمركزت واستكانت بجوار غُرفتهما، وهاهي تستعد لمباشرة عملها الذي تُخلص له وتعمل بجد وهمة للوصول إليه، تشعر بالسعادة بعد أن شاهدت العماليق وأدركت أنهم هدفها المقبل، ما أسعدها بمضاجعة العماليق؛ صنف جديد لم تمارس الجنس مع مثيله من قبل، يالها من تجربة فريدة، تجربة ربما تظل في ذاكرتها فترة طويلة، أنهم العماليق، رجال حقيقيون وليسوا أنصاف رجال مثل باقي البشر.

"أكاكا" يصل في موعده في الصباح، يجتمع بهم ويستمع إلى أسئلتهم ويجيبهم على استفساراتهم ويوضح لهم ما استعصى عليهم فهمه.

- بداية لم ولن أسألكم عن السبب الذي جئتم من أجله، فهذا ليس من صميم عملي، وأيضا لن أسألكم عن بلدكم أو زمانكم، فقط أنا أعرف أنكم أغراب ومن زمان غير زماننا ومكان غير مكاننا، أنتم الآن في بلاد الرافدين، هل تعرفونها ياشيخ سليم.

- نعم أنها العراق عندنا، ولازلنا نعرفها ببلاد الرافدين.

- حسناً.. كي لا أطيل عليكم، تلك هى بلادنا، وهذا هو حالنا، لاجديد ولا اختلاف عن باقي المدن حولنا.

- ولكن ماذا عن الأنوناكي؟

- نعم نعم يا امرأة.

- يمكنك أن تدعوني ميرفت.

- الأنوناكي يا امرأة، أقصد ميرفت، كائنات فضائية هبطت إلينا منذ أكثر من خمسة أشهر، وهم كما ترونهم يختلفون عنا؛ عماليق الجسد..أقوياء، أذكياء جدا. أصابنا الرعب عندما رأيناهم وظننا أنها نهاية العالم، ولكنهم استطاعوا بذكائهم ودهائهم أن يزيلوا الخوف من قلوبنا، اعتدنا التعامل معهم وألفنا وجودهم بيننا، غير أننا نتحاشى الاقتراب الشديد منهم، هم أيضا يحافظون على المسافة بيننا وبينهم فلايحتكون بنا أويضايقوننا.

- ولكن ماذا يفعلون في أرضكم؟

- تلك حكاية طويلة ياسليم، فقد ادعوا في البداية أنهم ضلوا الطريق وهم يتجولون في السماء وسقطوا إلى الأرض، ولكن مع الأيام اعترفوا لنا أنهم من كوكب "نيبيرو"وقصدوا الأرض للبحث عن الذهب اللازم للحياة على كوكبهم وأيضا لإطالة أعمارهم.

- وهل تمتلكون ذهباً يعينهم على ذلك؟

نظر أكاكا إلى ليلى نظرة ريبة وتابع حديثه

- نعم يا امرأة نمتلك كميات هائلة من الذهب.

- ولماذا يبقى الأنوناكي في بلادكم بعد أن أخذوا الذهب.

- تلك هي النقطة المهمة في حديثنا يا امرأة، وهو ماحذركم منه الحاكم في لقائكم به.

- ماذا تقصد؟

- أيها الشيخ السوداني، إن الأنوناكي لم يعثروا بعد على الذهب، ولم ينالوا مرادهم، لذلك هم مازالوا عندنا ولم يغادروا أرضنا، لقد أخفينا عليهم مكان الذهب وحرصنا على عدم البوح لهم بمكانه.

- ولكن لماذا؟

- لقد راعينا أمرين هامين يا امرأة،أولهما أن هذه المخلوقات الهابطة من السماء بلغت من العلم والحضارة الكثير ولديهم علوم متقدمة في جميع نواحي الحياة، لذلك حرصنا أن نأخذ من علومهم، ونستفيد بهذه العلوم في مختلف المجالات، نشعر أن الصدفة جاءت بهم ليعلمونا ويثقفونا، وسوف ترون بأنفسكم مدى التقدم الذي وصلنا إليه على أيديهم في وقت قصير جدا، وسوف تشاهدون التقدم في مختلف مجالات الحياة، في الفل، العلوم، الهندسة، أنهم يؤسسون

حضارة عظيمة على أرضنا، وقد كان هذا هو اتفاقنا، نعطيهم الذهب ويمدوننا بالعلم والحضارة.

- هذا أمر،وماهو الأمر الثاني؟

- نعم يا امرأة، أنهم كما شاهدتموهم قوماً من العماليق، يمتلكون العلم الحديث وأدوات القوة، أنهم ألهه يستطيعون فعل كل شيء، ونحن لاطاقة لنا بهم، ولانستطيع مواجهتهم أو محاربتهم، وهم كما ترونهم مسالمين ودودين، ولكن ماذا يدرينا أنهم لايمثلون علينا هذا الدور المسالم وبعد أن يحصلوا على الذهب وينالوا مرادهم ينقلبوا علينا يُذبحون رجالنا ويغتصبون نسائنا.

- يغتصبون النساء! قالتها ليلى وعلى شفتيها ابتسامة مكر ودهاء، نظر إليها أكاكا وتابع حديثه

- هل عرفتي الآن يا امرأة لماذا لم نطلعهم على مكان الذهب، ولن نطلعهم عليه حتى نرتب أمرنا بشأنهم، ولذلك كل مانحرص عليه هو عدم إفشاء مكان الذهب لهم، وقد أوصاني الحاكم بأخذ العهد منكم على هذا الأمر ففيه هلاكنا جميعا.

- ولكننا لانعرف مكان الذهب حتى نفشي سركم؟

- نعم يانبيل لاتعرفونه الآن ولكن لاندري ماذا في الأيام القادمة، عاهدوني الآن على ذلك وأيضا على الابتعاد عن الفضائيين الأنوناكي وعدم التعاون معهم إلا بمعرفتنا، هذه شروطنا للإقامة بيننا في أمان وسلام وإلا عليكم المغادرة فورا والذهاب إلى أي أرض أخرى.

نظر الأصحاب بعضهم إلى بعض وبدأ الشيخ سليم بمعاهدة الرجل وتبعه الباقيين.

* * *

احتشد الجن والشياطين وعلى رأسهم المارد دنهش بجوار حجرات ليلى وميرفت وبدأوا في وضع الخطط والترتيبات اللازمة لوضعها قيد التنفيذ

- العفريت طارش، الآن جاء دورك، عليك بأمر أتباعك من القرناء لتأجيج الأطماع والمصالح والعمل على إيجاد الوسائل الشيطانية لتنفيذ الوصول إليها.

- السمع والطاعة أيها المارد دنهش.

- وانتِ يا أم الشعور، لن أطيل عليكِ فأنتِ تعرفين دورك وتجيدين التنفيذ.

تبتسم أم الشعور نائلة ابتسامة خبيثة ولاتعليق

- الوليد.. أيها المارد الحكيم، سوف نحتاج إليك في هذه المرحلة.

- لاتقلق يادنهش، دائما أنا جاهز.

- كاردل.. الأمر سوف يحتاجك أيها المارد القاتل.

- وأنا على استعداد دائما أيها المارد دنهش.

- فليستعد الجميع، هلم انطلقوا.

تخرج ليلى مسرعة من حجرتها، تنادي على ميرفت

- ماذا هناك ياليلى، مابكِ؟

- لا أدري ياميرفت، شعرت بحركة غريبة وأصوات غير مفهومة خارج الحجرة، وسرعان ماهبت عاصفة شديدة وشعرت بعدها بحرارة الجو تزداد وأتصبب عرقا.

- نعم ياليلى، أنا أيضا شعرت بذلك، وكنت أظنها تخيلات، ولكنك تقولين انه انتابك نفس الشعور، لا ادري ماهذا؟

- هل تظنين أن أحدا يتجسس علينا؟

- لاأدري ياليلى، ربما.. إننا في أرض غير أرضنا ولانعرف بها شيئا، وأيضا هناك مخلوقات فضائي، لانعلم عن تصرفاتها وإمكانياتها أي شيء، كل شيء جائز، هيا بنا نذهب إلى الرجال ربما وجدنا عندهم الإجابة.

* * *

مضت الأيام سريعة،وبدأت الأطماع والمصالح، اتفق أحمد مع نبيل على ضرورة معرفة مكان الذهب، ومن ناحية أخرى اتفق صادق والشيخ السوداني على محاولة الوصول إلى الذهب، بينما كان لميرفت وليلى رأيا آخر وفكراً آخر، وظل الشيخ سليم متفردا في فكره ونظرته للأمور، انطلق الجميع، الكل يبحث عن مبتغاه، الكل يحاول، سليم يبحث عن تلك الحضارة ويحاول الوصول إلى حقيقة الأمور وحقيقة هذه المخلوقات الغريبة، بينما الأصحاب انطلقوا يجوبون الأرض شمالا ويمينا للبحث عن كنوز الذهاب حتى أعيتهم الحيل، سألوا الكثير من سكان بلاد الرافدين، وكانت الإجابة دائما حاضرة، لا أحد يعلم مكان الذهب؛ استشاط الجميع غضباً، كيف لايعرفون مكان هذا الكنز وتلك الكميات الهائلة من الذهب؟ هل متخوفون من كونهم أغراب ولايريدون البوح لهم بمكان الذهب أم أنهم حقا لايعرفون مكانه؟ ربما كان الخاصة من الناس فقط هم من يملكون الإجابة عن هذا السؤال،ربما الحكام فقط ورجالهم المقربين هم يمتلكون مفتاح تلك الكنوز ولديهم حل لتلك المشكلة. عند هذه النقطة توقف أحمد ونبيل، وبدأت الأفكار تتأرجح في رأسيهما، وكان أحمد الأكثر ايجابية ودموية في هذا الأمر.

- نبيل.. لقد ضقت ذرعاً بما نحن فيه، وكما ترى فقد أعيتنا الحيل، مضى على وجودنا أكثر من شهر ومازلنا مكاننا، لا نستطيع التحدث مع العمالقة، ولم نعرف مكان الذهب، ويبدو أننا لن نعرفه بهذه الطريقة فهذه البلدة كما ترى سكانها بهم من الخبث الكثير، أو ربما لايعرفون مكان الذهب حقيقة كما يدعون.

- نعم يا أحمد، ولكن ماذا عسانا نفعل؟

أحمد ينظر إلى نبيل نظرة ذات مغزى،تتغير ملامحه وتأخذ الهيئة الشيطانية، نبيل ينظر إليه ويفرك عينيه غير مصدق هيئة أحمد الجديدة، سرعان مايعود إلى هيئته الطبيعية ويتحدث بطريقة جادة حازمة.

- نبيل.. يجب علينا قتل الحاكم أو أكاكا.

يبدو على نبيل الاندهاش والانزعاج

- ماذا تقول يا أحمد ولماذا القتل؟

- لأنه من المؤكد أن الحاكم ورجاله يعلمون مكان الذهب، وهذا ماسوف نجبرهم على البوح به بعد تهديدهم.

- ولماذا قتلهم اذاً ؟ لنعرف منهم السر فقط ونتركهم لحالهم.

أحمد يضحك ضحكة شيطانية وينظر في عين نبيل نظرة عميقة مخيفة

- استمع لي جيدا يانبيل، إذا تركناهم أحياء فسوف يلقون القبض علينا وربما يقتلوننا، لذلك يجب قتلهم بعد معرفه السر.

- معك الحق يا أحمد، ولكن دعنا نحاول بعض الوقت ربما عرفنا مكان الذهب دون أن نلجأ للقتل

- لقد حاولنا كثيرا، ومضى من الوقت الكثير، وقد حانت ساعة الصفر، هل أنت معي أم لا؟

- نعم أنا معك، ولكن دعنا نبدأ أولا بأكاكا، ربما استطعنا الحصول منه على سر الذهب.

- فليكن يانبيل، وان لم يبُح به يكون التالي هو الحاكم .

- اتفقنا ياأحمد.

* * *

صادق والشيخ السوداني يتحدثان بصوت مرتفع بعد منتصف الليل؛ صوتهما يصل إلى ليلي فحجرتها قريبة منهما، الشيخ السوداني يطلب من صادق بطريقة عصبية التحدث بصوت منخفض، تندهش ليلى من حوارهما؛ تضع أذنيها بجوار الحائط تسترق السمع في محاولة لسماع ما يقولانه ويستدعي اجتماعهما في تلك الساعة المتأخرة.

- قلت لك ياصادق مرارا وتكرارا أخفض صوتك ونحن نتحدث،مابينا لايجب أن يعرفه أحد وإلا كان مصيرنا الهلاك.

- معك الحق أيها الشيخ، ولكنك تعلم أن صوتي جهوري وقد اعتدت على الصوت المرتفع.

- حاول أن تتحكم في نبرة صوتك خاصة في الأمور الهامة.

- اتفقنا.. ولكن قل لي ماذا فعلت؟

- فعلت كل الخير، ما اتفقنا عليه نفذته.

- هل تعني انك استعنت بالجن لمعرفة مكان الذهب؟

عند هذه النقطة اتسعت عين ليلى وألصقت رأسها بجدار الحجرة حتى تستمع إلى كل مايقال ولاتفوتها فائته

- نعم استعنت بالجن، وقد تعبت كثيرا في تحضيرهم.

- لماذا؟

- يبدو أنهم لم يألفوا هذا الزمان الغابر، ووجدوا صعوبة شديدة في الانتقال والحضور، ولكن أخير ا استطاعوا النفاذ والوصول إلينا.

- وهل أخبروك بمكان الذهب؟

نعم وصفوا لي المكان ولكن للأسف لم أفهم شرحهم، فأنا لا اعرف جغرافية هذه الأرض جيدا.

- ياللهول.. وماذا نفعل الآن؟ هل انتهى الأمر عن هذا الحد؟

- لا تقلق.. لقد اتفقت معهم أن اتبعهم غدا حتى يصلوا بي إلى مكان الذهب، ورأيت أن هذا هو الحل الأمثل.

- هل تعني انك سوف تذهب في الغد إلى مكان الكنز؟

- نعم.

- هل أتي معك؟

- لا.. أنا فقط، سوف أذهب وأعرف المكان ثم أخبرك به.

- ومتى سوف تذهب؟

- سوف أخرج مع آخر الليل والجميع نيام قبل أن ينبعث أول ضوء للشمس .

- جيد هذا، فليكن.. هذا يعني انه مع الصباح نكون قد علمنا مكان جبال الذهب؟

برقت عين ليلى وهى تستمع إلى حديث الشيخ السوداني مع صادق.. طار النوم من عينيها جلست قليلا تفكر؛ ثم قامت واستعدت لرحلة البحث عن الذهب.

قبل أول ضوء أنطلق الشيخ السوداني خارجاً من البيت، وانطلق وراءه شبح يرتدي السواد ولايظهر وجهه، أنها ليلى، سار الشيخ السوداني مسافة بعيدة ووراءه ليلى تتبعه مثل ظله ولايتوه عن عينيها.. شعر الشيخ السوداني بالتعب، وأُنهكت ليلى تماما، فالمسافة بعيدة جدا والطرق ملتوية ومتعرجة، وقبل أن تفكر ليلى في العودة وترك الأمر برمته توقف الشيخ السوداني أمام بوابة ضخمة، البوابة لايمكن أن يراها عابر الطريق فقد أقيمت في مكان تخفيه الجبال الطبيعية، وعلى جوانبها جبال من الرمال والصخور لاتدل أبدا على وجود شيء غير عادي، فقد أقيمت هذه البوابة للتمويه عن الدهاليز والسراديب الموصلة لمخازن الذهب والتي تبعد حوالي 100 متر وتختفي عن الأنظار بطريقة تمويه عبقرية، وربما هذا التمويه هو الذي حافظ على هذا الذهب بعيدا عن أعين العماليق ولم يتمكنوا من العثور عليه على الرغم من وجوده بالقرب منهم . نظر الشيخ السوداني إلى جهة اليسار بعد أن اجتاز أحد السراديب فبرقت عيناه وانفتح فمه من الدهشة، كانت ليلى تتبعه وتراقبه بينما يتبع هو خطوات الجن للوصول للذهب دون أن يُكتشف أمره. عند هذه النقطة نظرت إلى الاتجاه الذي ينظر إليه فهالها الكميات الضخمة من الذهب الخالص التي تمتد إلى مسافات طويلة تحت الأرض وقد ضافت بها المخازن وتم تخزين الكثير منه خارج المخازن ، لم تصدق ليلى نظرها، فركت عينيها أكثر من مرة، ثم لملمت حالها وانطلقت عائدة إلى البيت قبل ان يلحظها أحد.

* * *

بينما نجحت خطة الشيخ السوداني وليلى في الوصول للذهب، واستقر نبيل وأحمد على خطتهم لمعرفة مكان الكنز، جلست ميرفت في حجرتها تفكر وتمعن التفكير في طريقة تستطيع بها أن تحصل على المزيد من المكاسب في تلك الرحلة، تركت التفكير في الحصول على الذهب وانحصر تفكيرها في طريق آخر، أخذت الأفكار تدور في رأسها وتتلاعب بها

- كيف أصل إلى هؤلاء العماليق؟ إنهم فضائيون، جاءوا من الفضاء، والبعض يقول إنهم ساقطون من السماء، إذا فهم يعلمون الكثير، ولديهم الكثير، وعاجلا أم آجلا سوف يعرفون مكان الذهب، وسوف يملكون الأرض ومن عليها، وربما يعودون مرة أخرى إلى الفضاء حيث الحياة الحقيقية لاموت فيها ولاحزن ولافقر، إن هذا هو ما أطمح إليه، فليكن هذا هدفي ومطمعي، الوصول إلى أحد العماليق، ولكن كيف يكون ذلك؟ الحاكم يُحرم علينا التعامل معهم، والأهالي يراقبون تحركاتنا، كيف الوصول إليهم؟ وما خططتي في ذلك؟.. وماذا بعد الوصول إليهم؟ ماوسيلتي معهم لاستقطابهم ونيل رضاهم؟.

هنا جاء دور القرين، وسوس لها بفكرة وبما يجب فعله، وقد ارتضت تلك الفكرة تماما

- الزواج من أحدهم، هذا هو الحل، ولايوجد حل آخر، ولكن ماذا عن نبيل زوجي؟ لا لا.. انه ليس بزوجي، نحن في زمان غير الزمان ومكان غير المكان، لازوج ولاولد، أنا حرة أفعل ما أريد، الزواج من أحد الفضائيين هو الحل، ربما أتوج ملكة على الأرض، وربما وربما.. وربما... استراحت ميرفت إلى هذه الفكرة، ولكن ماوسيلتها إلى ذلك؟

لم تكن أم الشعور غائبة عن المشهد، فهاهو دورها يناديها وهذا ملعبها تصول وتجول كيفما شأت، انطلقت ميرفت من توها بعد أن تزينت وارتدت من الملابس مايظهر مفاتنها ويؤجج الشهوة ، ذهبت متخفية إلى حيث يتواجد أحد الفضائيين، اقتربت ميرفت إلى مسافة قريبة منه وهنا تلبستها أم الشعور لتكمل الدور كاملا، نظر إليها العملاق، أشارت إليه إشارة ذات مغزى وأزاحت ملابسها حتى ارتفعت فوق ركبتها، سارت بخطوات يملؤها الدلال والميوعة، فماكان من العملاق إلا أن تبعها حتى وصلت إلى مغارة مهجورة في حضن أحد الجبال، دخل ورائها العملاق الفضائي، وهنا نشطت نائلة

أم الشعور في إظهار مفاتنها وجمالها وجاذبية شعرها المسترسل، ولكن الفضائي فاجأها بأنهم أخذوا العهد من الحاكم على عدم الفساد والتعدي على أحد، فما كان منها إلا أن تمايلت وتمايعت وزادت وأفرطت في الدلع حتى ضرب الفضائي بالعهد عرض الحائط وسبح معها في بحر الغرام والرذيلة وضاجعها وأفرط في المضاجعة، وانتشت ميرفت بعد أن وصلت لهدفها وكانت نشوة نائلة أم الشعور أكبر بكثير مع مضاجعة هذا العملاق.

* * *

أحمد ونبيل يتبعان أكاكا بعد أن جاء للاطمئنان عليهم ثم تركهم عائدا إلى البهو، أخيرا يجد أبناء العم الفرصة مواتية بعد أن انحرف أكاكا عن الطريق الرئيسي وسار في طريق منزوي تحتضنه الجبال على الجانبين، هنا أسرع أحمد نحو أكاكا وقام بشل حركته وتبعه نبيل،أمسكا الاثنان بالرجل وساقوه عنوة إلى خلف أحد الجبال وأشهر أحمد سكينا في وجهه مهددا إياه، بينما المارد كاردل يجوب المكان ويثير أعاصيره

- سير أمامنا ولاداعي للعنف أو المقاومة.
- لاداعي للعنف سوف أنفذ كل ماتطلبوه .
- سأغرس السكين في قلبك إذا حاولت التلاعب بنا أو المقاومة.
- لاتخشوا شيئا، سوف أفعل ماتريدونه.
- سؤال واحد أجبنا عليه، أين مكان الذهب؟
- ماذا؟ الذهب.. الذهب!
- نعم الذهب، أين مكانه؟
- لا أعلم.
- تكلم وإلا قتلك.
- انتظر يا أحمد، الرجل سوف يتكلم، تكلم فنحن جادون في هذا الأمر، سوف تدفع حياتك ثمنا لصمتك.
- صدقوني أنا لا أعلم.
- ومن الذي يعلم؟.. قل وإلا غرست السكين في عنقك وقطعت لسانك.
- لا أدرى، لا أدري.
- هل الحاكم يعلم المكان؟
- لا أدري.
- هل هناك حارس للذهب يعلم مكانه؟
- لا أدري.

- قلت لك يا نبيل لافائدة منه، سوف اقتله واجعله يستريح ولايدري.
- انتظر يا أحمد،إن الرجل عاقل وسوف يجيب طلبنا، عليك أن تعلم يا أكاكا إنك إن لم تخبرنا عن مكان الذهب سوف نقتلك ونتجه إلى الحاكم ونقتله بعد أن نعرف منه المكان.
- لا لا، الحاكم لا، اقتلوني أنا، مالكم ومال الحاكم؟
- هذا هو ماعندنا، إن لم تقل أين الذهب ستموت ويموت معك الحاكم.
- لقد أخذت العهد على عدم البوح بمكانه، ولايهمني الموت فداءً للعهد.
- نعم أخذت العهد ولكن بهذا السكين سوف نقتلك ونقتل الحاكم أيضا.
- لا أرجوكم، الحاكم كبيرُنا وان قُتل ضاع الشعب.
- إذا قل أين المكان؟
- سأقول وليغفر لي الرب نقض العهد.. فأنا انقضه لمصلحة وطني ومصلحة الحاكم.
- هل ستخطب يارجل وتُلقي بالمواعظ، تكلم بسرعة.
- هل تعرفان الربوة الفضية؟ تلك الربوة التي ذهبنا إليها منذ عدة أيام.
- نعم نعرفها.
- شمال تلك الربوة مباشرة بين أحضان الجبال الصخرية توجد مخازن الذهب داخل سراديب تحت الأرض.
- عظيم عظيم، متأكد أن هذا هو العنوان الحقيقي؟ إن لم يكن كذلك فسوف يموت الحاكم.
- لا.. انه العنوان الصحيح .
- حسنا.. الآن سوف تموت ليموت السر معك .
- أعلم هذا،فليس من المعقول أن تتركوني أعيش وأشي بكم.
- يالك من إنسان عاقل، خذ هذه الطعنة في قلبك تريحك من الحياة والعهود.

لقد قتلته يا أحمد، هيا بنا بسرعة قبل أن يكتشف أحد أمرنا. يُسرع الاثنان عائدان إلى البيت

***

الشيخ السوداني يركب أحد الدواب ويعود به في الطريق إلى البيت، العرق يتصبب منه بعد هذا المشوار المرهق، الأفكار تدور في رأسه، عقله يأخذه بعيدا ثم يعود به مرة أخرى، مخازن الذهب كادت أن تشت بعقله تماما، ماذا يفعل بهذه الكميات المهولة، انه كنز يفوق جميع الكنوز، بل انه كنز عالمي، كميات هائلة من الذهب الخالص

- ماحيلتي أمام هذا المخازن؟ وكيف أصل إليها وحاميها هذا الحرس الشديد وتلك الجبال الوعرة؟ ليس أمامي حل سوى الاستعانة بمن يستطيع الاستفادة منها والوصول إليها، ومن يا ترى يستطيع ذلك؟ أنهم الفضائيون، نعم العماليق هم الأقوى والأقدر، ويمكنني مساومتهم والحصول على ما أريد أو الاتفاق معهم على حصة من هذا الذهب احصل عليها بمفردي، فليكن هذا هو الحل، ولكن ماذا عن صادق؟ سوف يطالبني بحقه ويشاركني في هذا الكنز،بل ربما يدعي انه من اكتشفه ويغدر بي، لابد من حل معه.

كاد الشيخ السوداني أن يصل إلى البيت، في هذه الأثناء انطلقت ليلى إلى حيث يوجد العماليق، فقد أدركت أنها ضعيفة ولن تقدر على شيء ولن تجد سوى العماليق سندا لها ومعينا على تحقيق أحلامها. لم تكن تدري أن العملاق الذي ضاجع ميرفت قد أفشى سر هذا اللقاء وذاع بين الفضائيين مافعله مع المرأة البشرية، وزاد وأرغى بما شعر به من نشوة، وجمال وفتنة نساء الأرض حتى أشعل الغيرة في نفوس الكثير من الفضائيين وانطلقت الرغبة داخلهم تنهش أجسادهم وتشعل نيرانهم، نادت ليلى على أحد الفضائيين وطلبت منه ضرورة الاجتماع معهم لأمر هام، لم يعنيها أن يراهم أحد من أهل المدينة أو لا يراهم فقد أدركت انه بعد هذا اليوم سيتغير الحال في بلاد الرافدين بعد أن يعرف العمالقة مكان الذهب الذي يبحثون عنه، وقد كان وأخذها العملاق إلى حيث يوجد أصدقائه، وكانت نائلة أم الشعور خلفها وحولها تحيطها في كل مكان، وما أن دخلت على الفضائيين حتى خاطبها كبيرهم

- ماذا عندك يا امرأة؟وماذا تريدين؟ وان كنت أجد عندك الكثير من الجمال والدلال.

تلقفت أم الشعور كلمات الغزل من العملاق وأسرعت تلعب لعبتها التي تتقنها تماما، تغيرت لغة ليلى واكتسى صوتها بالدلال وعلت لغة الجسد، أخذت تُعدل من ثيابها لتظهر مفاتنها بطريقة تبدو عفوية، فقد أدركت أن صفقتها مع العماليق لابد أن تمر عبر جسدها

- عندي لكم صفقة أود أن اتفق معكم عليها.
- أي صفقة تقصدين؟
- سأخبركم بمكان الذهب الذي تبحثون عنه.
- حقا.. هل تعنين ماتقولينه يا امرأة؟ لقد أعيتنا الحيل منذ شهور ولم نعثر عليه.
- سوف أخبركم بمكانه الآن، ولكن ماذا سوف يعود عليه.
- أطلبي ما تشائين، سوف ننفذ جميع طلباتك.
- حسنا.. سوف أخبركم بطلباتي ونتفق عليها، فأنا أبغي السلطة والمال والجاه، هل بإمكانكم تقديم كل هذا لي.
- نعم وأكثر من ذلك بكثير.
- حسنا اتفقنا.
- اتفقنا يا أميرتي الجميلة، لم أظن يوما أن تكون منقذتنا بهذا الجمال والدلال، تعالي معي يا جميلتي نضع بنود الصفقة ونوقع عليها.
- ليلى تضحك بدلال ضحكة ذات مغزى وتذهب مع كبير العمالقة إلى غرفة بعيدة بعض الشيء، تصاحبها أم الشعور نائلة، يتم توقيع الصفقة بين الآهات وسكرات النشوة، ينتهي اللقاء وقد انتشى الجميع ونال مراده، ليلى نالت ما سعت إليه، أم الشعور سعيدة بإنجاز مهمتها وفوزها بهؤلاء العماليق، بينما فاز العماليق بنساء الأرض والذهب.
الشيخ السوداني يصل إلى البيت، يستقبله صادق واللهفة في عينية
- لماذا تأخرت كل هذا الوقت أيها الشيخ السوداني؟
- لقد ذهبت إلى أكثر من مكان.
- هل عثرت على الذهب؟
- لا ياصادق.
- كيف ذلك؟ ألم يكن موعدك مع الجن ليدلوك على المكان؟
- نعم.. ولكن يبدو أنهم ضلوا الطريق أو اختلطت عليهم الأمور فلم يستطيعوا الوصول للذهب.
- ياله من حظ سيء، وماذا نفعل الآن ياشيخ؟
- لاشيء.. ماذا سنفعل!

- هل ضاع منا الحلم تماما؟
- يبدو هذا.
- لماذا لاتستعين بالجن مرة أخرى ياشيخ؟
- لن يستطيعوا معرفة المكان أو فعل شيء.
- لماذا؟
- هذا ماقالوه.
- أيها الشيخ السوداني، أرى في عينيك نظرة مكر،أخشى أنك تكذب في حديثك.
- لا ياصادق،أنا لا أكذب.
- وماذا يضمن لي ذلك، ربما علمت بمكان الذهب وترغب في الاستحواذ عليه بمفردك.
- لا.. لم يحث هذا.
- بل هذا ماحدث.
- اسكت ياصادق أنني متعب وأريد أن أستريح.
- لن تستريح قبل أن تصدق معي وتقول الحقيقة.
- لقد قلت لك الحقيقة.
- ماقلته كذب.
- فليكن.. كذب.. مالك أنت؟ أنا الذي سخرت الجن، وأنا الذي تَعبت حتى علمت بالمكان، مادورك أنت؟
- دوري أننا اتفقنا على ذلك وتعاهدنا أن نتقاسم الكنز.
- لن أتقاسم مع أحد الذهب .
- أتخون العهد أيها الشيخ؟
- لم نتعاهد، وان تعاهدنا فلاعهد لك عندي.
صادق يقوم من مجلسه يشد الشيخ من جلبابه بقوة ويهدده.
- لن أسكت على فعلتك تلك أيها الشيخ، سوف أفضحك أمام الجميع، سوف أبلغ الحاكم بنيتك أخبار العماليق بمكان الكنز، سوف تُقتل أيها الشيخ.
- لا لن تستطيع فعل ذلك، سوف تموت أنت أولاً ياصادق.

الشيخ يخرج سكينا من بين طيات ملابسه ويوجهها نحو صادق، صادق يخطف السكين وفي لحظة انفعال وغضب يسدد ضربتين قويتين إلى قلب الشيخ الذي سرعان ما أن سقط مضرجاً في دمائه.. يصرخ صادق مذعورا. بينما المارد كاردل ينطلق من المكان مخلفاً ورائه إعصارا من الهواء الساخن وضحكته تجلجل في الفضاء.

عثر العماليق على الذهب الذي جاءوا من أجله، ووقع المحظور الذي كان يخشاه حاكم بلاد الرافدين وأعوانه، فبعد أن نال العماليق مرادهم وحصلوا على مايريدون من الذهب عاثوا في الأرض فسادا وضربوا عرض الحائط بالعهود بينهم وبين حاكم المدينة، انطلقوا بقوتهم الجبارة وعلومهم الحديثة في التخريب والتجبر وقتل الرجال، ثم الأهم اغتصاب النساء بعد أن راقت لهم نساء الأرض وشعروا معهم بالنشوة والسعادة،؛ساد الظلم والجبروت وكان لابد من نهاية.

* * *

أطلق دنهش صرخة مدوية كانت كافية لجمع أعوانه من المردة والشياطين وبسرعة أصدر أوامره للجميع بضرورة المغادرة ولملمة أشياءهم والمحافظة على البواتق السحرية حتى تأتيهم الأوامر بالخطوة القادمة، وأوعز إلى أعوانه أن المهمة قاربت النهاية وأن القادم ربما يتولاه إبليس العظيم بنفسه.

انطلقت العاصفة الترابية حتى غطت السماء تلتها عدة زوابع..التهب الجو بشدة الحرارة، وفجأة هدأت الأمور وغابت بلاد الرافدين عن الأنظار.

تجمع الشياطين في الصحراء انتظارا للجديد،أمرهم دنهش بإطلاق سليم وأصحابه من البواتق حتى صدور أوامر أخري، وبينما الشياطين في الانتظار وأصحاب سليم تائهون لايعلمون من أمرهم شيئا بعد أن أُطلق سراحهم دون توجيه أو إيحاء بخطواتهم القادمة، بينما هم في هذا الحال صرخ أحمد كمن اهتدى إلى المنقذ

- أنظروا.. أنظروا من هذا الرجل الذي يأتي من بعيد.

نظر الجميع إلى حيث أشار أحمد وشاهدو الوليد قادما نحوهم والابتسامة تعلو شفتيه

- أهلا بك يا الوليد، جئت في الوقت المناسب، يبدو أننا ضللنا ولانعرف من أمرنا شيئا.

- لاتتعجل يا أحمد،أنتم لم تضلوا، كل شيء على مايرام .

تعجب الجميع من رد الوليد وعقدت الدهشة ألسنتهم، وقبل أن يعاودوا طرح الأسئلة عاجلهم الوليد بسؤال

- ماذا فعلتم ببلاد الرافدين؟ هل علمت ياشيخ سليم مافعله أصحابك بتلك البلدة الآمنة المسالمة التي استضافتكم وأحسنت استقبالكم.

أطرق الجميع برؤوسهم إلى الأرض بما فيهم الشيخ سليم وقد شعروا بعظم الذنب الذي اقترفوه والعهد الذي خانوه

- نعم يا الوليد، علمت بما فعلوه وللأسف لم أستطع فعل شيئا أو حتى الحد من تلك التصرفات، لقد تم كل شيء بعيدا عني ولم أتواجد معهم أثناء التخطيط أو تنفيذ ما اقترفوه.

- ياشيخ سليم أصحابك جميعا مُدانين، مذنبين، اقترفوا من الخطايا الكثير، ومن عظائم الذنوب والمعاصي، هل تدرك مافعله أحمد ونبيل،لقد خانا العهد وغدرا برجل أعطاهم الأمان، وقتلا نفساً بريئة وكادا يقتلان الثانية وانعقدت نيتهما على ذلك، وأيضا الشيخ السودان، لم يتوانى عن خيانة العهد، واستعان بالجن مجددا، وانعقدت نيته على قتل صادق، بينما صادق قتل بالفعل بعد أن خان العهد، وميرفت التي ألقت بنفسها في أحضان العماليق فارتكبت جريمة الزنا بعد أن تملك منها حب الذات والسلطة والجاه، بينما ليلى قلبت الطاولة على الجميع بعدما تملكها الطمع وخانت العهد وأفشت السر وأغوت العماليق ثم باحت بمكان الذهب، وسلمت نفسها طواعية للفضائيين. الجميع خائنون غدارون لم يروا سوى أنفسهم ولم يراعوا مصلحة بلد وأهلها اللذين ضايفوهم وأكرموهم، خائنون للعهد، فاسدون، هؤلاء هم أصحابك.

استدار الوليد عائدا من حيث أتى وقبل أن يغادر نظر للشيخ سليم وأصحابه وقال لهم والابتسامة تعلو شفتيه

- تذكروا ذلك جيدا، فالحساب قادم، تذكروا ولاتنسوا أفعالكم.

هنا التفت إليه الشيخ سليم وعاجله بسؤال

- انتظر يا الوليد، انتظر أريد أن أسألك سؤلاً قبل أن ترحل.

- أسأل ما شئت ياشيخ سليم.

- أريد أن أعرف حقيقة هذه الأمور، وهذا الزمن الذي تركناه، وحكاية العماليق وهل هى حقيقة أم أننا عشنا خيالا.

ضحك الوليد ضحكة باهتة وأجاب سليم

- انتم تعيشون الآن في عالم افتراضي لايعنيكم إن كانت تلك حقيقة أم لا ولكن لكي أريحكم فقد اختلف المؤرخون حول حقيقة الكائنات الفضائية فمنهم من أيد ذلك وساق الدلائل والبراهين ومنهم من رفض تلك الفكرة تماما.

- ولكن هل حقاً وجد على الأرض هؤلاء العماليق؟

- يوجد يامبرفت الكثير من الدلائل على أن الأنوناكي قد عاشوا بالفعل على الأرض منذ حوالي 450 ألف عام، وقد وجد ذكرهم في الحضارة السومرية القديمة في بلاد الرافدين، وذُكر أنهم كائنات فضائية سقطت من السماء على الأرض بعد أن كانوا يسكنون كوكب"نيبيرو" والذي تعادل السنة فيه 3600 سنة من سنين الأرض؛ وكان هدفهم الحصول على الذهب اللازم لاستمرار الحياة على كوكبهم، ويحكى السومريون أن نساء الأرض راقت لهؤلاء الفضائيين فتزوجوهم وأنجبوا منهن كائنات نصف بشرية أطلق عليهم في اليهودية "النفاليم" أي العماليق، وقد عاثوا هؤلاء العماليق فسادا في الأرض وتجبروا فيها، فأرسل الله عليهم الطوفان الذي قضى عليهم وأبقى على الجنس البشري فقط.

- ولكم مامعنى كلمة "أنوناكي"؟

- انها ياليلى تعني السلالة الملكية أو الدم الملكي.

- كنت قد قرأت قديما شيئا مشابه لذلك عن هبوط ملائكة عصاه من السماء إلى الأرض وزواجهم من نساء البشر، هل يوجد تشابه في الروايتين.

- نعم ياشيخ سليم، بعض المؤرخين يؤكدون أن هؤلاء الفضائيين كانوا ملائكة عصوا الله وتمردوا وكان عقابهم الطرد من السماء إلى الأرض، وهم من جاءوا إلى الأرض وعُرفوا بالكائنات الفضائية "الأنوناكي " وكان منهم الملاك نسروخ أو مردوخ كما أطلق عليه الأشوريين الذي كان يتمتع بنفوذ كبير ومكانة عظيمة بين الملائكة، ولكنه تمرد مع لوسيفر الذي عصى ربه، وتم طردهم من السماء واستقروا على الأرض وأقاموا مستعمرة أطلقوا عليها أسم عدن التي جاء ذكرها في الكتاب المقدس وهو المكان الذي خُلق فيه أدم أبو البشر، ويقال في رواية أن عدد هؤلاء الملائكة خمسين بينما في روايات أخرى أنهم ثلاثمائة ملاك.

- وهل هناك مايدل على ذلك؟

- نعم يا أحمد إن العالم الغربي كله يؤمن بتلك الروايات خاصة وانه ذكر في التوراة والإنجيل نصوصاً كثيرة تحدثت عن الملائكة الساقطين من السماء، وتحدثت التوراة صراحة عن تزاوج الملائكة بنساء البشر بعد أن أعجبهم حسنهن، وان ذريتهم من العماليق أفسدوا

في الأرض وتجبروا فأرسل الله عليهم الطوفان الذي قضى عليهم، وذكر في سفرحزقيال14-28 عن ثورة قام بها عدد من الملائكة في السماء والتمرد على الله بزعامة لوسيفر، فنفاهم الله وطردهم من الجنة إلى الأرض.

وفي سفر التكوين 2:6 (وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَات، أَنَّ أَبْنَاءَ الله رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا فَقَالَ الرَّبُّ: دَخَلَ بَنُو الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ الله، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوت).

- هل تعني بالطوفان الذي أغرق الجبابرة طوفان سيدنا نوح.

- نعم ياميرفت هو طوفان نوح الذي جاء ذكره في القرآن، وبعض من يدعي صدق تلك الروايات يزعم أن مايؤيد حديثهم أن القرآن يشير إلى أن هناك الكثير من الملائكة أرسلهم الله إلى الأرض، بل وتجسدوا في صورة بشر فكما في الآية:

(ولَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)[هود:77]،و الآيات من سورة الذاريات: (هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْراهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَها وَقالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قالُوا كَذلِكَ قالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيم)

- هل تعني يا الوليد أن الأنوناكي وأبنائهم "النفاليم "الجبابرة قصة حقيقية حدثت بالفعل؟

نظرالوليد إلى الشيخ سليم وهو يغادر المكان وضحكته تجلل وقال له بنبرة ساخرة

- ألم تقل ياسليم من قبل أن كل شيء على الأرض مُختلف عليه، قل أنها رواية أو أسطورة أو ربما تكون حقيقة، فهي قصة سمعناها

وهناك الكثير يؤمن بها ويعتقد أنها حقيقة لاتقبل الشك، بينما هناك البعض يحسبها على الخرافات والأساطير التي اعتاد عليها الجنس البشري، وفي النهاية تضيع الحقيقة مثلها مثل الكثير من أحداث التاريخ والماضي البعيد والقريب.

لوح الوليد لهم بيده مغادرا المكان، وسرعان ما اختفى تاركاً سليم وأصحابه في حالة ذهول واندهاش.

* * *

فجأة ثارت عاصفة هوجاء، وعلى غير المتوقع انطلق صوت المارد دنهش منخفضاً خائفاً آمراً أعوانه بالاستعداد للانطلاق من هذه الأرض؛ وبحركات سريعة معتادة بدأ الأعوان في التجهيز للرحلة القادمة وإن كان صوت دنهش قد ألقى عليهم بغيوم من القلق وعدم الارتياح وأزال منهم حماس كل رحلة كانوا يقدمون عليها.

- هيا بنا إلى رحلتنا القادمة.

- أنك لم تخبرنا إلى أي زمن نحن ذاهبون، ولانعرف مكان رحلتنا القادمة أيها المارد دنهش.

- سأخبركم ياكاردل، نحن لن ننتقل إلى زمن آخر، سنظل في زماننا هذا، انتقالنا فقط سيكون إلى مكان مختلف.

- أي مكان هذا أيها المارد دنهش؟

- لقد قلت سابقا سوف نذهب إلى إبليس ملك الجن فهو من سيكمل تلك الرحلة بمعرفته وبحضوره شخصياً يانائلة أم الشعور.

- نعم يادنهش، ولكن أين المكان؟ إبليس يسكن أماكن كثيرة في البر والبحر، فأين وجهتنا؟

- سوف نذهب إليه في مثلث الشيطان يانائلة.

- هل تقصد مثلث برمودا؟

- لا.. قصدت بحر الشيطان، مثلث التنين الواقع في المحيط الهادي قرب الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة مياكي اليابانية، تحديدا في منطقة حلقة النار، هل تعرفين المكان يانائلة؟

- نعم يادنهش، إنها أخطر منطقة في العالم، الآن أدركت سبب خوفك والقلق الذي يجتاحك من هذه الرحلة.

- الآن هيا بنا، فليستعد الجميع لتلك الرحلة القاسية.

انطلق إعصار جامح، تبعه عدد من الأعاصير والزوابع، اشتدت حرارة الجو، وسرعان ما هدأ كل شيء.

* * *

الرعب يجتاح قلب الشيخ سليم وأصحابه،أنهم في قلب المحيط، تلك رحلتهم الأولى داخل المياه، اعتادوا رحلات البر والصحارى ولكنهم لم يعتادوا البحار والمحيطات ولم يألفوها

- أين نحن الآن ياشيخ سليم؟ أشعر بالخوف ويكاد قلبي يتوقف.

- نعم ياليلى معك الحق، أنا أيضا لا أعرف أين نحن، ولماذا نحن هنا؟ وفي أي البحار نحن وأي الأزمنة؟

- الرعب يجتاحنا جميعا، أين نحن، وماهذا البحر اللامتناهي وتلك المياه السوداء، الأسماك ووحوش البحار تحيط بنا من كل اتجاه ولا أحد يجيب أسئلتنا ويكشف لنا مانحن فيه؟

- أصبر يا أحمد، فقد ذهبنا في أزمنة عدة؛ وتملكنا الخوف في كل مرة، فلنصبر قليلا حتى نرى ماسوف يحدث.

- معك الحق يانبيل، فلنصبر ونرى ماسوف يحدث.

- يا ألهى.. ماهذا؟ ماذا يحدث؟انه يوم القيامة، البحر ثائر والأمواج عاتية.

- نعم ياميرفت، ماذا يحدث؟ إن البحر يقذف لهبا وكأنما تفجرت براكينه، ومياهه تلونت بلون الدم الساخن ياللهول.. هل تسمعون هدير الأمواج العاتية؟.

- نسمع ياصادق، انظروا هناك، الأمواج قادمة كالجبال، ياللهول.. إنها النهاية، نحن ميتون لامحالة، إن البحر يتفجر بنا، ياللهول تلك نهايتنا جميعا.

- نعم أيها الشيخ السوداني، تلك نهايتنا جميعا، ماذا نفعل ياشيخ سليم، أنها النهاية.. النهاية .

- لاتفعلوا شيئا ياصادق، أغمضوا عيونكم وانطقوا الشهادة واستعدوا للموت، هيا فالأمواج قادمة وسوف تسحقنا وتبتلعنا مياهها.

الجميع يغمض عينيه في انتظار الموت، بينما البحر هائجا والأمواج هادرة واللهب والدخان يتصاعد من كل مكان، تنطلق صرخات شيطانية من جميع الأنحاء، تسود حالة من الرعب تزلزل القلوب، تمر دقائق كالسنين فى ثقلها، تهدأ الأجواء تماما، سرعان ما تنطلق ضحكة مجلجلة تخترق قلوب الأصحاب وتُعيد أرواحهم وتبث

الحياة في أوصالهم، يفتح الأصحاب عيونهم ولايكادوا يصدقوا أن الذي يقف أمامهم هو الوليد، ينطلق الجميع نحوه يعانقونه ويقبلونه وكأنه من بعث فيهم الحياة مرة أخرى

- لقد جئت في وقتك تماما يا الوليد، لقد كدنا نموت حقا، ولكن كيف جئت هنا؟ ولماذا نحن هنا؟ وماذا يحدث بالضبط؟وماهو القادم؟ أسئلة كثيرة عليك الإجابة عليها يا الوليد، والأهم من هذا من أنت حتى نجدك في كل مكان نذهب إليه؟

- سوف أجيبكم على كل شيء ياشيخ سليم؟ لقد انتهى الأمر ويحب أن تعلموا ماخفي عنكم،وتعلموا ماعليكم فعله وخاصة أنت ياشيخ سليم، ولكن في البداية دعنى أجيب على أسئلتك الكثيرة التى لاتجد لها تفسيرا، انتم الآن في زمنكم لم تنتقلوا إلى زمن آخر، وهذا هو المحيط الهادي تحديدا مثلث الشيطان أو مثلث التنين كما يُطلق عليه منذ آلاف السنين، وهو من أخطر الأماكن في العالم فقد ابتلع الكثير من السفن، وكان مقبرة للكثير من الطائرات التي سقطت في مياهه، وقد ذاعت خطورته في أرجاء العالم وكالعادة انتشرت الأساطير التي تؤكد أن الشيطان يسكن مياهه وهو المسئول عن كل تلك الحوادث، بينما أساطير أخرى أكدت أن التنين يقيم قصره أسفل المياه وهو المسئول عن كل تلك الحوادث، والكثير من الأساطير الأخرى المختلف عليها، ولكن تبقى في النهاية حقيقة واحدة أن تلك المنطقة هى الأخطر في العالم كله.

- أليس هذا المثلث هو مثلث برمودا؟

- لا يا أحمد، أنت تقصد تلك المنطقة الواقعة في الجزء الغربي من المحيط الأطلسى والمسماه أيضا بمثلث الشيطان وتبلغ مساحته مليون كيلو متر مربع، ويشتمل مثلث برمودا على فلوريدا، وجزر برمودا التابعة لبريطانيا؛ وسميت المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى جزر برمودا والتي تتكون من مجموعة من الجزر عددها 300 جزيرة.

- ولكننا نعلم أن مثلث برمودا خطر جدا أيضا وتسبب في الكثير من الحوادث للسفن والطائرات ولايعلم أحد السبب في ذلك حتى الآن.

- نعم ياليلى معك الحق، مثلث برمودا بقعة خطرة جدا وقد اختفت فيه العديد من السفن والطائرات ولم يُعرف مصيرها حتى الآن؛ وهذا ما دعا العلماء لتبني عدة نظريات لتفسير تلك الظاهرة الغامضة ولكن حتى الآن لم يستدل على السبب الحقيقي وبقي مثلث برمودا لغزا مثله

مثل مثلث التنين، وعُرف كل منهما بمثلث الشيطان، وكالعادة عندكم بين الواقع والأساطير تضيع الحقائق.

- ماذا تقصد بقولك عندكم، هل تنتمي إلى جنس غير جنسنا يا الوليد؟

- نعم ياشيخ سليم، انتمي إلى الشياطين.

- ماذا تقول؟

نطقها الأصحاب في صوت واحد، وهنا تغير صوت الوليد وتغيرت هيئته إلى شكل شيطاني أصاب قلوب الأصحاب بالرعب، انتصب الشيخ سليم واقفاً وصرخ في وجه الوليد

- هل كنت تخدعنا طوال الوقت.

قاطعه الوليد صارخا قبل أن يكمل جملته

- اسمعني ياسليم، اسمعوني كلكم، الآن جاء وقت الجد، ونحن الآن نحصد نتيجة عملنا معكم طيلة الفترة السابقة، انتم الآن في مملكة إبليس ملك الجن الأعظم، وما شاهدتموه في مياه المحيط وهدير أمواجه وتصاعد اللهب والدخان من قلب المياه ماهو إلا مظاهر حضور إبليس وموكبه لحضور المحاكمة التي سوف تتم بعد دقائق قليلة.. إبليس الآن يتفقد عرشه ومملكته في مثلث الشيطان وبعد دقائق سوف يتجه مع كبار العشائر من المردة والشياطين إلى قاعة المحاكمة ليشهد وقائعها بنفسه؛ لذا يجب أن تتجهزوا لتكونوا على أهبة الاستعداد وبدء المحاكمة فور دخوله القاعة، هل فهمتم حديثي؟.

- لا لم نفهم شيء أيها الشيطان الوليد.

- استمع لي جيدا ياشيخ سليم، إن محاكمة اليوم ستكون لأصحابك على الجرائم التي اقترفوها أثناء رحلاتهم عبر الأزمنة المختلفة.

- ولماذا تحاكمونا انتم أيها الشياطين؟ قوانيننا غير قوانينكم، وطبيعتنا غير طبيعتكم.

- نحن لن نحاكمكم، بل أنت الذي تحاكم أصحابك.

- أنا أحاكم أصحابي! ولماذا أنا؟

- أنت الذي تمثل الضمير الحي للإنسان، وقد حافظنا عليك في جميع الرحلات عبر الأزمنة المختلفة أن تكون بعيدا عن الخطايا ولاتقترف أي ذنباً استعدادا لتلك المهمة الموكولة إليك، أنت من سيحاكم أصدقائك جميعا، وسوف تُصدر الأحكام المناسبة لأفعالهم

وجرائمهم، تَذكر معي أنه في نهاية كل رحلة كنت أطلب منكم تَذكر تلك الجرائم وعدم نسيانها، الآن جاء وقت الحساب عليها.

- ومادورك أنت أيها الشيطان الوليد؟

- أنا الوليد ابن شمهورش قاضي قضاة الجن، وان كنت لاتعلم فأنا أقوم بحل النزاعات والفصل فى قضايا الشياطين بعد أن تقدم السن بشمهورش ولم يعد قادرا على النظر في جميع القضايا، وقد كنت مرشحا للفصل فى قضاياكم والحكم على أصحابك ولكن إبليس ملك الجن فَضل أن تكون أنت القاضي حتي لاتثار الشكوك حول عدالة الأحكام الصادرة ويتم التشكيك في نزاهة القضاء نظرا للعداوة الأبدية بين الإنسان والشيطان، ولذلك فسوف أتولى أنا دور النيابة العامة وأضع أمام المحكمة التهم التي يحاكم عليها أصحابك، وعليك أن تتذكر مقولتك في زمن معركة إبليس مع مهلاييل: "هذا هو العدل كل من أفسد وبغى يجب قتله وإبادته" فقط عليك تنفيذ ذلك الآن.

- ولكن من يدريك أنني سوف أكون عادلا في أحكامي خاصة أن المحكومين من أهلي وجنسيتي؟.

- أدرك أن القانون يعطيك الحق في التنحي عن نظر القضية لو جود بعض أقاربك ضمن المتهمين، ولكن لاعليك من هذا..فقد اتخذنا الاحتياطات الواجبة التي تضمن نزاهتك فى الحكم على أصدقائك، وأيضا أصر إبليس أن تكون المُحَاكمة تحت المياه في قاعة مُحكمة تماما حتي لايقع أي تأثير خارجي عليك أو على أحد المتهمين ونضمن بذلك تحقيق العدالة.

- شيء عجيب!

- ماهو العجيب ياشيخ سليم؟

العجيب أن الشياطين تطلب العدالة والنزاهة،أليس ذلك بالعجيب؟

- لاداعي للسفسطة والحديث فيما لايعنيك، هيا استعد للمغادرة والذهاب للقاعة.

- سؤال أخير قبل الذهاب، وماذا بعد ذلك؟ ما الفائدة التي تعود عليكم جراء هذه المحاكمة؟ولماذا كل تلك الرحلات وتلك النهاية الغير مفهومة؟.

- لاتوجد إجابة على سؤالك ياسليم، لا علم لي بأبعاد القضية، كل ماعندي قلته لك، والباقي يعلمه إبليس ملك الجن فقط ولا علم لنا به.

انعقدت المحاكمة،القاعة بأكملها تحت المياه،إبليس يتصدر الحضور في القاعة، جسده شيطاني نيراني، تتصاعد من جوانبه حرارة شديدة، تتوهج بعض أجزاءه، يخرج اللهب مع أنفاسه وفي حديثه، الغضب بادي على وجهه، مقطب الجبين، تتوسط جبهته عين واحدة مستطيلة، ويعلو رأسه قرنين مدببين، الجميع ينظر إليه فى خشية وخشوع، تتراص المردة وكبار العشائر وقبائل الجن بجانبه وقد ظهر الجميع بهيئتهم الشيطانية ووجوههم المنفرة وقد اختلفت أشكالهم وهيئتهم وفقا لنوعياتهم، غير أنهم اتحدوا جميعا في جلستهم المتخشبة وكأنهم ألواح مثبته لاتتحرك ولاتبدي ردود أفعال، وعلى الجانب الآخر جلس القاضي سليم بمفردة على منصة القضاء، بينما على يمين القاعة وقف الوليد ممثلا للنيابة بوجهه الشيطاني المرعب وقسماته الجادة الحادة، وفي قفص حجز القاعة وقف المتهمون جميعا أحمد ونبيل وليلى وميرفت والشيخ السوداني وصادق وعيونهم تكاد تخرج من محاجرها بينما قلوبهم يكاد الخوف يقتلها ، نظر سليم إلى إبليس وحاشيته، ثم نظر إلى أصحابه وقرأ الرعب في عيونهم، ارتبك بعض الشيء، ثم سرعان ما بدأت المحاكمة.

* * *

القاضي سليم يفتتح الجلسة ويوجه حديثه للجميع وخاصة المتهمين.

- إن تلك المحاكمة تحاكم الإنسان، فهي معنية في المقام الأول بالإنسان والإنسانية، لذلك فمرجعنا القانوني هو الإنسانية، قانون الإنسانية فقط، سنُنحي الإقليمية والجنسية والديانات والمعتقدات جانباً، قانوننا قانون عالمي يحاكم الإنسان على ما اقترفه في حق الإنسانية ويستبعد ماعدا ذلك، فليكن ذلك واضحا منذ البداية، ومن ناحية أخرى سوف نتيح لجميع المتهمين الدفاع عن أنفسهم ونعطي كل منهم الفرصة كاملة للدفاع عن نفسه ضد التهم الموجهة إليه، وليكن دفاعه موجزاً شاملاً لانريد سفسطة أو الخروج عن الموضوع، سوف نواجه كل متهم بجميع جرائمه والتهم الموجهة نحوه دفعة واحدة، ونستمع إلى دفاعه وفي نهاية الجلسة تصدر الأحكام وهى أحكام نافذة قاطعة لايوجد عليها استئناف أونقض. بسم الإنسانية نفتتح الجلسة، المتهم الأول أحمد عبد التواب

- أفندم.

- التهم الموجهة إليك، الإلحاد في زمن بدء الخليقة، وقتل نبيل في زمن خلق سيدنا أدم، وتهمة خيانة العهد في زمن الأنوناكي والغدر بأكاكا هذا الرجل الذي أعطاك الأمان وقتلته أنت ونبيل وكذلك انعقدت نيتكم على قتل الحاكم لمعرفة مكان الذهب لولا أن أخبركم به أكاكا قبل قتله ، تلك هى التهم الموجة إليك، وبداية سوف نسقط تهمة الإلحاد، فقانون المحكمة كما أشرت سابقا هو القانون الإنساني وسوف نستبعد العقائد والديانات فهى مسائل فردية لاتدخل في اختصاص المحكمة، وإن كنت أرى أن تهمة الإلحاد من أكبر التهم وكان يجب إدخالها ضمن المحاكمة كجريمة إنسانية، فالإنسان الذي لايدرك أن له خالق لابد أن يحاكم إنسانيا على إنكاره فضل من أعطاه هبة الحياة والتي لايستطيع أن يمنحها له سوى خالق عظيم قادر على العطاء والأخذ، وإذا أضفنا إلى ذلك أن الخالق لم يترك الإنسان بعد خلقه ليتوه في هذا الكون الفسيح بل أفصح عن نفسه وأنزل من السماء كتباً وملائكة وبعث أنبياء كي لايكون للإنسان حجة عدم المعرفة، ثم

بعد ذلك يأتي هذا الإنسان وينفي وجود الله، أنها تهمة تستحق القتل وتعد في الأعراف التهمة الأكبر، ولكننا سنتغاضى عنها وفقا لقانون محكمتنا.

- نعم ياسيدي القاضي، أرجوا أن تسمح للنيابة بتوضيح شيء في هذه النقطة.

- تكلم يا الوليد.

- إن هذا حال الإنسان، يُلحد وينكر وجود الله تماما ثم يأخذ فرصة وفرصة وأخرى، بينما إبليس الذي تتعوذون منه وتمقتونه لم يفعل ذلك، فهو مؤمن بالله، ومدرك لعظمته، حتى عندما عصاه ولم يسجد لأدم لم ينكر وجود الله بل انه تذلل له طالبا منه الخلود حتى قيام الساعة، هل ترى المحكمة ذلك؟ معصية صغيرة يُطرد إبليس على إثرها ويُلعن ويكتب عليه الخلود في النار بينما الإنسان يعصي ربه كل يوم بل وينكر وجوده أيضا ثم يتوب ويدخل الجنة،أليس إبليس مظلوماً في هذا الأمر.

- أسمع يا الوليد، المحكمة لم تنعقد لمناقشة قضايا إبليس والشياطين، هى محكمة للبشر فقط، فهذه المحكمة ليست المكان المناسب لهذا الحديث، ولاداعي أن تستغل النيابة تلك المحاكمة للزج بقضايا إبليس، ومع ذلك دعني أوضح لك سريعا أن مشكلة إبليس أنه تكبر وأصر على المعصية، حتى عندما طلب الخلود لم يطلبه للعودة إلى الله أو التوبة بل طلبه لإضلال العباد ومحاربتهم والوسوسة لهم، والآن دعك من هذا الحديث وأحذرك من الخوض فيه مجددا.

- تمام ياريس.

- والآن التهم التي ستحاكم عليها يا أحمد هى الغدر وخيانة العهد والقتل، هل عندك دفاع؟

- نعم أيها القاضي، لقد قتلت نبيل لأنه اغتصب صديقتي ليلى ،و خنت العهد لأني في زمان غير زماني، وسعيت لتأمين حياتي وامتلاك الذهب الذي يتيح لي الحياة بأمان، لذلك فخيانة العهد لم تكن إلا لسبب قوي وهو الحصول على الذهب والقدرة على الحياة في هذا العصر الغريب بالنسبة لي، وقد غدرت بأكاكا وقتلته مع نبيل لأنه لم يكن أمامنا حل آخر غير ذلك فإن لم نقتله كان سيشي بنا ويقتلنا قومه

، وانعقاد النية على قتل الحاكم كان تحصيل حاصل، فمن يَقتل مرة من السهل عليه القتل ثانية.

- إذا أنت تعترف بالتهم الموجهة إليك؟

- نعم يا حضرة القاضي اعترف بها ولكن عندي مبرراتي التي سوقتها لسيادتكم.

- القتل ليس له مبررات، أنت تقتل إنسان، تقتل الإنسانية كلها ممثلة في هذا الإنسان، وكذلك الغدر وخيانة العهد صفات لاتتفق مع الإنسانية في شيء ومن شأنها جلب الخراب والدمار على البلاد والعباد، إن هذه الصفات إذا تَملكت من البشر أصبحت حياتهم غابة وتوحشوا كالديابه، إن جرائمك خطيرة والمحكمة لم تقتنع بالمبررات فتلك التهم تودي بصاحبها إلى التهلكة،هل للنيابة تعليق؟

- لا ياسيادة القاضي.

- والآن المتهم الثاني نبيل، التهم التي تحاكم عليها هى إتيان الفاحشة واغتصاب الراقصة ليلى في زمن خلق سيدنا أدم، وتهمة قتل ميرفت في زمن الفراعنة،وفي زمن الأنوناكي خُنت العهد وغدرت بأكاكا وقتلته مع أحمد وانعقدت نيتك على قتل الحاكم، هل عندك دفاع لذلك؟

- نعم أيها القاضي، فقد ارتكبت الفاحشة بعد أن تعرضت لإغراء شديد من ليلى لم استطع مقاومته، وأنا بشر حاولت أن أتماسك ولكني ضعفت في النهاية، وعندما هممت بها وجدتها تحاول التهرب والانفلات ولكن الرغبة كانت قد وصلت إلى منتهاها فاغتصبتها عنوة، ولا أدري حتى الآن هل ماتم بيننا كان بإرادتها أم تم بالغصب كما تدعي.

- وهل كل من تعرض لإغراء يرتكب الفاحشة أو الاغتصاب؟ في أي قانون هذا؟ حتى قانون الغابة لايوجد به ذلك، إن مافعلته يبتعد تماما عن الإنسانية ويتجاوز الحيوانية ويُعد تعدي على النفس البشرية والأعراض والحقوق ومن شأنه هدم الإنسان والمجتمع والعلاقات الإنسانية وكل القيم الفاضلة النبيلة التي يسعى الجميع لتأصيلها، جُرمك عظيم يانبيل وتستحق عليه أقصى العقاب، ثم وماذا عن قتل أكاكا وخيانة العهد والغدر؟

- ليس عندي دفاع سوى ما ذكره أحمد شريكي في التهمة والواقعة.

- وماذا عن قتل ميرفت في زمن الفراعنة؟

- قتلتها لخيانتها لي ومعاشرة الشيخ السوداني معاشرة الأزواج.

- ومن أعطاك الحق في قتلها؟

- كوني زوجها يعطيني الحق في قتلها؟

- لماذا؟ هل أنت الذي منحتها الحياة حتى تسلبها منها؟ لماذا لم تُطلقها، تتركها لحال سبيلها، هل القتل بهذه السهولة، أنه من أبشع جرائم الإنسانية فلو أعطينا هذا الحق للجميع لأصبح الكل قتله ولكل منهم مبرراته وأسبابه وتحول المجتمع إلى حالة من الفوضى والضياع، دفاعك غير مقبول يانبيل، هل النيابة لها تعليق؟

- لا ياحضرة القاضي.

- المتهمة ميرفت، التهم الموجهة إليكِ هى الطمع في الجاه والسلطة ومعاشرة الشيخ السوداني جنسيا بدون زواج في زمن الفراعنة، وأيضا حب الذات والسلطة والجاه في زمن الأنوناكي وتسليم نفسك للعماليق طواعية وممارسة الزنا معهم لنيل مطامعك، تكلمي.. دافعي عن نفسك .

- ليس عندي ما أدافع به عن نفسي.

- إذا أنتِ تعترفين بفداحة الجرم الذي اقترفتيه في حق نفسك وحق الإنسانية.

- نعم اعترف بهذه التهم المزرية، وقد ارتكبتها جميعها ولا أجد مبررا أو حجة أسوقها للدفاع عما فعلته.

- حسنا.. أنها تهم ضد الإنسانية وضد الأخلاق وتودي بصاحبها إلى التهلكة وتخلق مجتمعا فاسدا قائما على الرذيلة والفسق والفجور، جرائمكِ غليظة أيتها المتهمة والعقوبة ستكون بغلظتها، هل للنيابة من تعليق؟

- لا ياريس.

- والآن المتهم الرابع الشيخ السوداني، التهم الموجهة إليك كثيرة وهى،الكذب والفجور والفسوق والاستعانة بالجن والسحر والزنا بميرفت في زمن الفراعنة، والوشاية والفتنة والاستعاذة بالجن في

مدينة النحاس، وفى زمن الأنوناكي لم تتواني عن خيانة العهد، واستعنت بالجن مجددا، وانعقدت نيتك على قتل صادق، هل لديك ماتقوله وتدافع به عن نفسك؟

- نعم ياسيادة القاضي، كل تلك التهم جاءت بالمصادفة ولم أسعى إليها؟

- يارجل تحدث بحديث غير هذا، الاستعانة بالجن جاء بالمصادفة.

- الاستعانة بالجن ضمن متطلبات عملي.

- وتلك مصيبة أكبر،إذاً عملك كله مُخالف وضد الإنسانية، تستعين بالجن في السحر وتَمَلك أمرك، لقد خالفت كل القوانين الإنسانية، والزنا ومعاشرة ميرفت في زمن الفراعنة هل كان بالمصادفة؟

- لا ياسيدي بل كان من متطلبات العمل.

- ماذا تقول، ماهذه السفسطة، أي عمل هذا الذي تهدم به القوانين وتعتدي على الأعراض، انه الطمع والجشع وحب السلطة الذي جعلك تضرب بالقيم عرض الحائط وتبيع مبادئك وأخلاقك في سبيل الوصول إلى مبتغاك والحصول على ماتريده من أطماع، من أجل هذا سَحرت وزنيت وكذبت وادعيت انك من الفراعنة؟

- لقد خشيت أن يقتلوني لو عرفوا حقيقتي.

- الحقيقة لابد من ظهورها في النهاية، وقد رأيت بنفسك أن حقيقتك قد انكشفت ونلت جزاءك العادل في هذا الزمن، ثم ماذا أيضا عن تهمة الوشاية والفتنة في مدينة النحاس؟

- لقد أردت النجاة بنفسي.

- النجاة بنفسك وترك الغير يذهب إلى الجحيم، أي إنسانية تلك، وأي أخلاق تدعي، الفتنة قد تودي بالجميع إلى الهلاك وكذلك الوشاية، كلها تهم بغيضة وكبيرة ولا أجد لها أي مبرر، ثم ماذا عن محاولة قتل صادق في زمن الأنوناكي وخيانتك للعهد مع حاكم المدينة واستعانتك بالجن مجددا لمعرفة مكان الذهب، هل لديك دفاع عن تلك التهم؟ أنت مذنب وارتكبت أكثر من جريمة في حق الإنسانية وحق الجميع، وتهمك تلك تستحق عليها أقصى عقوبة،النيابة هل لديها تعليق؟

- لا ياريس.
- المتهم الخامس رئيس العمال صادق.
- تمام يافندم.
- هل تعرف التهم الموجهة إليك؟
- نعم يا افندم.
- حسنا.. سأذكرك بها مرة أخرى، أنت متهم بالوشاية بالشيخ السوداني و ابتزازه في زمن الفراعنة، وخيانة العهد مع الحاكم وقتل الشيخ السوداني في زمن الأنوناكي ، ماهو دفاعك؟
- اعترف بتلك التهم، وقد وشيت بالشيخ السوداني بعد أن زاد نفوذه وكاد أن يفتك بي وخشيت أن يقتلني وقد كان قادرا على ذلك بما يمتلكه من مال وسلطة ونفوذ، لذلك أسرعت بالوشاية به قبل أن ينال مني.
- وماذا عن خيانتك للعهد مع الحاكم واتفاقك مع الشيخ السوداني على العثور على الذهب ثم قتلك له.
- نعم اعترف بخيانة العهد، ولكن قتل الشيخ السوداني كان دفاعا عن النفس فقد قتلته عندما حاول قتلي.
- لقد قتلته متعمدا، فقد كان باستطاعتك السيطرة عليه نظرا لفارق القوة الجسمانية بينكما، ولكنك فضلت التخلص منه بقتله وتذرعت بحجة الدفاع عن النفس فقد كنت تحمل في قلبك له كره شديد حملك على التخلص منه وقتله، هل هذا صحيح؟
- نعم ياسيدي، فقد كرهت هذا الرجل من أفعاله البغيضة وصفاته الكريهة، وكم تمنيت موته كثيرا وعندما واتتني الفرصة المناسبة لم أتوانى عن قتله والتخلص منه.
- حسنا.. هل للنيابة من تعليق؟
- لا ياسيدي.
- المتهمة السادسة الراقصة ليلى.
-أفندم .

- التهم الموجهة إليكِ هى،إغواء نبيل وممارسة الفاحشة معه في زمن خلق سيدنا أدم ولانعلم حتى الآن هل كان ذلك بإرادتك أم بغير إرادتك؟ وكذلك البوح بمكان الذهب للعماليق في زمن الأنوناكي بعد أن تملكك الطمع،وخيانتك العهد مع الحاكم وإغواء العماليق وتسليم نفسك لهم طواعية، ماقولك في هذا؟

- نعم اعترف ياسيادة القاضي، فقد أغويت نبيل غير انه قام باغتصابي عنوة ولم أكن أريد الوصول معه إلى تلك النهاية فقد أردت فقط كسب وده ومحبته وضمان ولاءه لي، وفيما يخص العماليق فقد كشفت لهم مكان الذهب طمعا في الحياة والرفاهية، وسلمت نفسي طواعية لهم واستباحوا جسدي في صفقة حسبتها رابحة، ولكن الآن أدرك فداحة الجرم الذي اقترفته.

- إذا تعترفين بالجرائم الموجهة إليكِ وتدركين فداحتها؟

- نعم سيدي القاضي.

- النيابة.. هل لديها أسئلة أو شيئا تود إضافته قبل الحكم على المتهمين في هذه القضية؟.

- نعم سيدي الرئيس، فبعد أن انتهينا من بيان تهم هؤلاء الجناة واستمعنا إلى دفاعهم الواهي فالنيابة تطالب بتوقيع أقصى العقوبة على هؤلاء العتاة في الإجرام نظير ما اقترفوه في حق الإنسانية والبشرية، ونحن نثق تماما في عدالة المحكمة وأن الأحكام التي ستنالهم ستتوافق تماما مع فداحة الجرائم التي ارتكبوها، ولكن اسمحوا لي سيادة القاضي قبل النطق بالحكم على هؤلاء المتهمين أن يُضم للمحاكمة عددا من طواغيت البشرية على مدار الأزمنة المختلفة ممن ارتكبوا من الجرائم مايفوق الخيال ويخجل إبليس نفسه من الوسوسة بها، أنها جرائم فاقت العقل والمعقول، وكي لا أطيل عليكم، ارجوا من الحراس إدخال هؤلاء الطغاة إلى قفص الحجز لينضموا إلى باقي المتهمين.

- المحكمة تستجيب لطلب النيابة وتوافق عليه،المحكمة مستمرة لمحاكمة المتهمين اللذين أضافتهم النيابة.

يمتلئ قفص الحجز الثاني بالمتهمين الجدد

- لتسمح لي عدالة المحكمة أن يكون المتهم الأول جنكيز خان إمبراطور الإمبراطورية المغولية.

- هل المتهم الذي قدمته النيابة موجود؟ المتهم جنكيز خان.
- أفندم، موجود سيادة القاضي.
- ألست أنت إمبراطورالإمبراطوريةالمغولية في الفترة من 1165حتى 1227م، والشهير بسفاك الدماء؟
- نعم أنا.
- التهم الموجهة إليك،ارتكاب مجازر بشرية يندى لها الجبين وقتل مايزيد عن أربعين مليونا من شعوب المناطق التي احتلتها جيوشك حتى أصبحت رمزا للوحشية والقسوة البالغة، هذا بخلاف المآسي والفظائع التي ارتكبها جنودك بموافقتك وتشجيعك لهم وكأنكم بلاء وابتلاء، هل أنت معترف بهذه الجرائم؟
- نعم سيدي القاضي .
- هل للنيابة من إضافة تحب إضافتها عن هذا الطاغية عتي الإجرام.
- فقط تود النيابة أن تضيف أن وفاة هذا الطاغية ومكان دفنه مازال لغزا يحير العالم.
- المتهم الثاني.
- سيادة القاضي أنا لم أدافع عن نفسي.
- أي دفاع تتحدث عنه، هناك من الجرائم مايفوق أي دفاع ويخرس كل لسان يحاول تبريرها، وأنت لست مجرما عاديا بل طاغية من طواغيت الزمان، وقد استمع العالم إلى مبرراتك كثيرا فلم يقتنع بها أحد ولم يتعاطف أحد معك، وهل بعد قتل أربعين مليون نفس يمكنك أن تجد ما تدافع به عن نفسك، يالك من طاغية متبجح،لادفاع لك عندي أيها السفاح.
- سيدي القاضي، المتهم الثاني عيدي أمين.
- عيدي أمين. هل هو موجود؟
- نعم سيادة القاضي.
- أنت عيدي أمين رئيس أوغندا في الفترة من 1971 إلى 1979 والشهير بالدكتاتور العسكري.
- نعم أنا.

- أنت تُحاكم بتهم قتل أكثر من 500 ألف شخص من أفراد شعبك..وعشقك أكل لحوم البشر، والدموية التي اشتهرت بها وامتلاء ثلاجات قصرك بالجماجم واللحوم البشرية..واستخدامك السحر والجن في حكم البلاد والسيطرة على مقاليد الحكم حتى انتهيت منفياً عن البلاد ومت في منفاك دون أن تحاسب على جرائمك، هل تعترف بتلك الجرائم؟

- نعم اعترف.

- كالعادة أيها الأباطرة والطواغيت ليس لكم عندي دفاع ولا أستمع إلى دفاعكم.

- سيادة القاضي، المتهم الثالث هتلر.

- هتلر.. أنت حاكم ألمانيا النازية في الفترة من عام 1933الى 1945

- نعم أنا.

- التهم الموجهة إليك تطلعك إلى احتلال أوروبا وفي سبيل ذلك تسببت في مقتل الملايين من شعبك وعشرات الملايين من الشعوب الأخرى، بالإضافة إلى ارتكاب محرقة الهولوكوست التي أعدمت فيها ستة ملايين يهودي بغرف الغاز حرقا، ومارست الديكتاتورية وطغيت في البلاد والعالم أجمع..وبعدما أدركت أن هزيمة ألمانيا حتمية في الحرب العالمية الثانية أقدمت على وضع نهاية لحياتك بالانتحار، هل تعترف بهذه التهم؟

- نعم اعترف بها.

- كالعادة ليس لك عندي دفاع ، فالطواغيت قتلة الشعوب لاتوجد لهم مبررات لارتكاب مجازرهم البشرية.

- المتهم الرابع جوزيف ستالين.

- أنت ستالين حاكم الاتحاد السوفيتي في الفترة من 1924 حتى 1953 وأحد قادة الثورة البلشفية؟

- نعم أنا.

- التهم الموجهة إليك الديكتاتورية الدموية وتجاوز ضحاياك خمسين مليون إنسان، وكان القتل في دمك تقتل الناس لمجرد الشك فيهم.

- نعم اعترف بهذه التهم ولكن أود الدفاع عن نفسي.

- تقتل خمسين مليون نفس وتود الدفاع عن نفسك، أصمت يارجل، فقد سمع دفاعك العالم كله ولم تقنع أحدا على مدار السنين الماضية فالتاريخ حَمل دفاعك و صنفك ضمن الطغاة الأكثر دموية في العالم.

-المتهم الخامس،وأطلب من النيابة اختصار العدد، فمن يحاكموا هم رموز الديكتاتورية وليسوا كل طغاة البشرية.

- تمام ياريس لم يتبقى سوى متهمين، المتهم الخامس هاري ترومان.

- أنت هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من 1945 الى1953 م.

- نعم أنا.

- التهم الموجهة إليك إصدار الأوامر بإطلاق قنبلة ذرية على هيروشيما وأخرى على مدينة نجازاكي بعد رفض اليابان الاستسلام، وتسببت بذلك في مقتل أكثر من 220 ألف من سكان المدينتين بخلاف الدمار الهائل لتلك المدن وانتشار الأمراض الخطيرة والأوبئة بين السكان والتي استمرت لفترات طويلة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واستسلام اليابان.

- نعم اعترف بتلك الجرائم.

- هل قلت بعد انتهاء الحرب عن هذه الجريمة البشعة في حق الإنسانية:"لا أشعر بأي ألم، وتحت نفس الظروف كنت أود أن أفعلها مرة أخرى".

- نعم قلت هذا، ولكن عندي ما أدافع به عن نفسي.

- لقد استمع العالم بأكمله إلى دفاعك ولا أظنه أقنع أحدا، انك تصر على جريمتك التي راح ضحيتها آلاف البشر، أنت ديكتاتور دموي وطاغية من طواغيت البشر، انتظر حتى تسمع الحكم عليك أخر الجلسة .

- المتهم السادس والأخير، ممثل الشعوب المقهورة والخانعة، ويعرف مجازا بالمقهور.

- أنت المقهور.

- نعم سيدي القاضي.

- وجهك مألوف لدي، لست غريبا، شاهدتك كثيرا في مختلف بقاع الأرض، وقرأت عنك الكثير في كتب التاريخ ، وتواجدت بقوة في مجتمعات الديكتاتورية والطغاة، أنت إذا ممثل الشعوب المقهورة، أنت شهير جدا يامقهور.

- نعم ياسيدي.

- ولماذا الخذلان يا مقهور؟ لماذا التفريط في حقك؟ لماذا لم تطالب بحريتك؟ لماذا لم ترفع شعار الرفض في وجه الطاغية والديكتاتور؟ لماذا استسلمت لأقدارك وتركت الأمور بيد هؤلاء الطغاة يتلاعبون بكم ويسرقون أقواتكم ويتحكمون في مصائركم ثم يقتلوكم ويسوقوكم إلى المجازر؟ لماذا لم تثور وتقول لا؟ لماذا الخنوع والخشوع والذل والمهانة؟ لماذا ارتضيتم بتلك الحياة؟ لماذا فرعنتم فرعون وألهتم الطاغية؟ اسمع يامقهور، تهمتك أكبر من جرائم هؤلاء الطواغيت، أنت وأمثالك من صنعتم تماثيلهم ونفختم فيها الروح وألهتموهم عليكم، تستحقون مايفعلونه بكم، تستحقون ظُلمهم، تستحقون حياتكم البائسة، لن أتعاطف معك كما تود،أنت مُدان ومن مثلك مدان معك، شعوبكم مُدانة، وتستحقون ما أنتم فيه، إن أذلوكم فأنتم المخطئون،وإن أبادوكم فبأيديكم أعطيتم لهم هذا الحق، قف مع زملاءك المتهمين فليس لك عندي دفاع، وانتظر الحكم نهاية الجلسة، والآن فترة استراحة قليلة وبعدها النطق بالأحكام، رُفعت الجلسة.

* * *

إبليس يشير إلى الوليد وهو في مجلسه، يهرع الوليد مسرعا لتلبيه أمره، إبليس يسر له ببعض الكلمات التي ربما يفصح بها عن الخطوة التالية من المحاكمة..يُنصت الوليد لكلمات إبليس ويهز رأسه بالموافقة ثم يتجه مباشرة إلى منصة النيابة، بعدها بدقائق قليلة يدخل سليم القاعة ويجلس على كرسي القضاء ويبدأ في النطق بالأحكام.

- المتهمون من 1 إلى 6 أحمد و نبيل وميرفت والشيخ السوداني وصادق وليلى، بعد الاطلاع على القانون الإنساني والجرائم التي اقترفوها في حق الإنسانية حكمت المحكمة عليهم جميعا بالإعدام شنقا.

سرت همهمة في القاعة، انفرجت أسارير إبليس ونظر إلى الوليد نظرة ذات مغزى، وسرعان ما استطرد القاضي سليم سرد الأحكام

- المتهمون الآخرون من 1الى 6 جنكيز خان وعيدي أمين وهتلر وجوزيف ستالين وهاري ترومان والمقهور، بعد الاطلاع على القوانين الإنسانية حكمت المحكمة على جميع المتهمين بالإعدام رمياً بالرصاص، رفعت الجلس.....

قبل أن يكمل سليم جملته وينهي المحاكمة برفع الجلسة صرخ الوليد ممثل النيابة صرخة مدوية موجهاً حديثه لسليم .

- انتظر يا حضرة القاضي، مازال هناك المزيد.

نظر سليم إلى الوليد نظرة اندهاش؛ بعدها أدار نظره إلى القاعة ثم المتهمين وهو لايدري من أمره شيئا، ثم وجه حديثاً مقتضبا إلى الوليد.

- ماذا هناك؟ لقد انتهت المحاكمة، ماذا عند النيابة لتضيفه؟

- ثواني سيادة القاضي، أيها الحراس افتحوا أبواب الحجز للمتهمين.

يجلس سليم وهو لايدري من أمره شيئا وقد أفُلت الزمام من يده تماما، تارة ينظر إلى الوليد ، وتارة يدير نظره نحو القاعة، وتارة أخرى للمتهمين، وفجأة ينتصب واقفا وقد بدا الاندهاش على وجهه تماما، أخذ يفرك عينيه ويعيد فركها مرة أخرى ليتأكد أن مايشاهده واقع وحقيقة، أخذ يتطلع إلى المتهمين ويتفحص وجوههم، هاله أن

جميع المتهمين قد تشكلوا على هيئته، هاهو أحمد ونبيل وليلى وميرفت والشيخ السوداني وصادق، لم يعد لهم وجود، أنهم على شاكلته، والمتهمون الآخرون جنكيز خان وهتلر وعيدي أمين وغيرهم، أين هم؟ أنهم جميعا قد تشكلوا على هيئته، إنهم يتقدمون نحوه في خطى ثابتة؛ الصمت يخيم على القاعة،سليم انعقد لسانه فلم يعد قادرا حتى على السؤال، يستمر المتهمون في التقدم نحو سليم وقد صاروا على هيئته تماما، وفجأة بدأوا في التوحد معه وأصبح هو الجسد الذي يأويهم، فقد تداخلوا معه تماما الواحد تلو الآخر وتلبسوه تماما حتى انه لم يعد لهم أثر ولم يتبقى سواه يحمل بداخله كل المحكومين وجرائمهم ، وقبل أن يفيق من هول تلك المفاجأة صرخ الوليد ممثل النيابة صرخة ارتجت لها القاعة وأشار بكلتا يديه إلى سليم

- والآن ماقولك أيها القاضي سليم؟ ماقولك أيها الإنسان؟ ليس هناك مجرمين أو متهمين، المتهم الحقيقي هو أنت، أنت أيها الإنسان الذي يحمل بداخله كل تلك الصفات البغيضة والعدوانية والدموية، أنت المتهم الأول.. أنت الديكتاتور.. الطاغية.. القاتل.. خائن العهد.. الملحد، الفاحش، الجبار في الأرض، كل ما يخطر على بالك من التهم والموبقات أنت صاحبها وأنت فاعلها، تلك الصفات هي صفاتك أيها الإنسان، قد تختلف من إنسان لآخر ولكنها موجودة كامنة داخل كل منكم وعندما تواتيها الفرصة تنطلق بلاوعي تنشر الفساد والدمار والخراب، هذه حقيقتك أيها الإنسان، لقد حكمت أيها القاضي العادل على المتهمين وأصدرت حكمك بالإعدام عليهم جميعا، فما قولك الآن وقد أدركت انك أنت المتهم الحقيقي وان تلك التهم أنت صاحبها وفاعلها ومسئولا عنها؟.

انتصب إبليس واقفا فجأة ، اهتزت القاعة وزادت شدة الحرارة حتي كاد سليم يختنق، أشار إبليس بيده إلى أحد أعوانه الذي انطلق في خفة وسرعة نحو منصة القضاء ووضع مسدسا أمام سليم ثم عاد إلى مكانه فورا، قطب إبليس جبينه وتصاعدت ألسنة اللهب من فمه وتوهج جسده وارتفع صوته كالرعد صارخا في سليم

- هل أدركت الآن أيها الإنسان كم أنت ظلوما جهولاً، أنت لست بأفضل من الشياطين، أنت من تقتل الملايين وتحرق وتشرد الملايين وتفعل الكبائر وتأتي الفواحش وترتكب كل الجرائم ثم تتهم الشيطان بالوسوسة، أي وسوسة تلك التي تجعلك بكل هذه الدموية، أنت قاتل بطبعك، فاجر بطبعك، ديكتاتور بطبعك، أنت المجرم الحقيقي في هذا العالم، وأنت من يستحق القتل، قد تركناك تحكم على نفسك، على

أفعالك، على جرائمك؛ وقد اخترت عقوبة الإعدام، لم نختارها نحن بل أنت الذي حكمت وأنت الذي اخترت، سندعُك الآن لتحاسب نفسك بما تبقى من ضميرك الحي، ونحن في الانتظار.

سليم ينظر يمينا ويسارا، يعيد النظر إلى القاعة ليجد العيون كلها قد اتجهت إليه في انتظار ماسيفعله، يتكئ بيده اليسرى على المنصة، تدور الأسئلة متسارعة في رأسه

- هل هذا حقيقي؟ تلك الصفات والتهم تسكُنني وأنا صاحبها! أنا ذلك الإنسان الطاغية القاتل الفاحش الداعر خائن العهد! أنا كل ذلك وأكثر،هل إبليس محق في قوله أن الإنسان تعدى شروره وتجاوزه بكثير، ولكن أين الأخلاق؟ أين الضمير؟ ربما ماتبقى منه هو الذي أضاء لي الطريق وبه اهتديت إلى الحقيقة، تلك الحقيقة المؤلمة والتي كانت غائبة عني ولكن ها أنا أدركها الآن، نعم أدرك حقيقتي الواهية، حقيقتي المجرمة، حقيقة الإنسان البعيد تماما عن الإنسانية.

يترأى له حبل المشنقة يتراقص أمام عينيه، قدماه لم تعد قادرتان على حمله، ياللهول.. ياللهول، في لمح البصر يقبض سليم على المسدس ويوجهه نحو رأسه ويطلق الرصاص وسرعان مايسقط مضرجاً في دمائه. يطلق إبليس ضحكة مدوية تتبعها ضحكات هستيرية من الوليد ودنهش وكاردل وأم الشعور وكبار عشائر الشياطين والمردة تهتز على إثرها القاعة وتسود حالة من البهجة والشعور بالانتصار بنجاح المؤامرة. إبليس يشير بيده للجميع؛ يسود الصمت القاعة، ويخاطبهم في سعادة.

- لقد آن لنا أن نحتفل يامعشر الجن والشياطين بعد انتهاء مؤامرتنا ضد الإنسان، لن نحتاج بعد الآن للوسوسة ومحاولة الإيقاع بالبشر وحثهم عل الرذيلة والخطيئة، فقط كل ماعلينا أن نضيء ضمائرهم للحظات ونكشف عن خطاياهم وشرورهم وذنوبهم الكثيرة، ثم نتركهم بعد ذلك يحاسبوا أنفسهم ويقتلوا بعضهم بعضاً، وبذلك ينتهي الجنس البشري وتخلو الأرض للشياطين يسكنوها ويرتعوا فيه كيفما شاءوا، لقد نجحت مؤامرتنا وآن للجميع أن يحتفل.

فجأة ينتفض سليم فوق سريره في بيته بنجع حمادي، يستيقظ من النوم وهو يرجف والعرق يتصبب من جبينه ويبدو على وجهه الفزع والخوف، ومابين اليقظة والنوم تنتابه حالة من التوهان لايعلم هل ماحدث له كابوساً جثم على صدره أم انه واقعا وجميع ماحوله حقيقة، يعتدل جالسا على السرير ،يفرك عينيه جيدا، يشرب قليلا من الماء من كوب بجانبه و يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يلقي بجسده المنهك على السرير مرة أخرى لاستكمال نومه. يصرخ إبليس صرخة مدوية ويسقط على الأرض يتلوى من الألم، بينما صرخات

الشياطين والمردة تنطلق من كل مكان، صرخات ألم وحزن، تتمايل قاعة المحكمة يمينا ويسارا داخل مياه المحيط بعد أن انطلقت الأمواج هادرة تخلع عرش إبليس ليبتلعه المحيط ويلقي به في غياهب المجهول ، وعلى الجانب الآخر ترقد جثة سليم بجوار منصة القضاء محاطة ببقعة كبيرة من الدماء بعد أن استقرت الرصاصات داخل رأسه وأردته قتيلا. ومابين الواقع والخيال تتوه الحقيقة كما تعودنا.

"تمت"